وزارة الـتـعـلـيـم الـعـالــي و الـبـحـث الـعـلـمـي

جــامعــة الجــزائــــر

كـلية العـلوم الإجـتماعيــة و الإنســانيـــة

قـــســم التــاريــخ

دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في الـمشرق الإسـلامـــي و مـغربـه (من منتصف القــرن 5هـ/ 11م إلـى بدايـة القـرن 8هـ/14م) .

مذكـرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعـداد الطـالـب :

مغـزاوي مـصـطـفى .

إشـراف الأستـاذ الدكتـور :

خـالـد كبيـر عـلال .

السنـة الجامعيـة :

1428 - 1429 هـ / 2007 - 2008 .

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 5هـ/ 11م إلى بداية القرن 8هـ/14م) .

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب :
مغزاوي مصطفى .

إشراف الأستاذ الدكتور :
خالد كبير علال .

اللجنة المناقشة

- د قويد بشار ....رئيسا .
- د محمد الأمين بلغيث ....مُناقشا .
- أ.د شهبي عبد العزيز ....عضوا .
- أ.د خالد كبير علال ....مُشرفا .

السنة الجامعية :

1428 - 1429 هـ / 2007 - 2008 .

<u>بسم الله الرحمان الرحيم</u>

قال رسول الله صلى الله عليه و له و سلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه " .

اللهم اجعل عملي هذا خالصًا لوجهك الكريم .

<u>اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين</u>

شـــكـر و تــقـديـر

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده :

الحمد لله أولا و أخيرا ...

" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " – حديث صحيح -

انطلاقا من ذلك لا يفوتنني في هذه الفرصة الطيبة و في فاتحة هذا العمل المبارك إن شاء الله تعالى أن أقدم جزيل شكري إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل ، و أخص من بينهم الأستاذ المشرف خالد كبير علال والذي تأكدت من تعاملي معه ما بلغني عنه من جدية و إخلاص و إتقان ... ، و لا يسعني إلا أن أدعو له بظهر الغيب أن يجازيه الله عني خير الجزاء لما ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الثناء".

كما لا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الذين كان لي الشرف أن أجالسهم و أغترف من علمهم ، و لا بأس أن أخص منهم بالذكر الأستاذ بن عميرة محمد و الأستاذ عبد العزيز بوكنة و الأستاذ شهبي عبد العزيز ... ، دون أن أنسى الطاقم الإداري لقسم التاريخ .

و التحية الخالصة أيضا لزملاء الدفعة (دفعة 2005) .

و إلى كل العاملين المخلصين في الحقل الإصلاحي ، سواء منهم من قضوا نحبهم فهم أحياء عند الله يرزقون ، أو من هم أحياء فهم بين الناس غرباء يتألمون .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إهـداء

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده :

إلى القلبان الرحيمان اللذا ن رعاني بعطفهما و حنانهما منذ الصغر فبعثا بي إلى شاطئ الإيمان و العلم ثم سارا بي على طريق الشهامة و الكرامة ... إلى أبي و أمي حفظهما الله .....

إلى القلوب الرحيمة التي أعطتني دون مقابل : العائلة الكريمة ، و أخص منهم بالذكر عمي و جدتي .....

إلى أعز ما أهدت لي أمي : إخوتي الكرام ...

إلى أصدقاء الإخلاص و الوفاء و أشقاء المبادئ و الصفا ، و أخص بالذك ر رفيقي : موسى هواري و حسين جيلالي بن فرج ......

إلى زملاء الدراسة و رفقاء درب الحياة الجامعية الطويلة ، و خاصة دفعة ما بعد التدرج دفعة 2005 .....

إلى زملاء المهنة في ثانوية بني راشد .....

إلى كل من عرفتهم و جعلت لهم مكانة في قلبي ....

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل .

مـقـدمـــة

لا يُمكن للأمم أن تنهض بغير تاريخ أو أن تقوم بغير ذاكرة ، و إن كان الأمر كذلك فإن التاريخ الإسلامي أكثر أهمية وأشد خطورة في حياة المسلمين من التاريخ في حياة أية أمة أخرى ، وتشويهه وطمسه أو وتمزيقه بالنسبة للمسلمين أسوأ وأفظع منه بالنسبة لأية أمة أخرى ، ذلك لأن التاريخ الإسلامي هو الإسلام مطبقًا منفذاً على أرض الواقع في حياة الناس اليومية ، فهو في حقيقة الأمر حركة الأمة التي رباها محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام، وحركة الإسلام بالأمة .

فقد كان تشويه التاريخ الإسلامي بابًا – من أخطر الأبواب – سلكه أعداء الملة و أعداء السنة لضرب الشريعة الإسلامية و الجناية عليها بتزييف التاريخ الإسلامي وتمييعه بما يتماشى و أهدافهم و أهوائهم .

و أخطر ما يُمكن أن يُستهدف في تاريخ الأمة الإسلامية ما يتعلق بعقيدتها و دينها مصدر عزها ، فكان من واجب الأمة الإسلامية العناية بتاريخها عامة و ما يتعلق بتاريخ حركتها العقدية و المذهبية بشكل أخص ، بحثا وتحقيقا ونشرا .

فكان أن عزمتُ البحث في التاريخ الإسلامي و ما يتعلق منه بالجانب العقدي والمذهبي خصوصا لأجل هذا الغرض ، و أملي أن يُسهم هذا البحث و لو بالشيء البسيط في خدمة عقيدتنا و تاريخنا .

ومن خلال مطالعاتي – في الحركة المذهبية في التاريخ الإسلامي- كثيرا ما وجدتُ الجزم و التأكيد الجُزاف بأن المذهب الأشعري هو مذهب الجماهير بل و مذهب أهل السنة و الجماعة ، و عليه جمهور الأمة سلفا و خلفا ، فكان التساؤل عن سبب هذا الانتشار الواسع ، بل و حقيقة هذا الانتشار أيضا- بعد فترةٍ أُضطهد فيها المذهب الأشعري - وعن سيادته في فترة زمنية معينة دون أخرى ، بالإضافة إلى مواقف العامة

و الخاصة من انتشار المذهب ، والعلاقة بين ذلك الانتشار و الدول الإسلامية التي قامت في تلك الفترة :

فما حقيقة الانتشار الواسع للمذهب الأشعري في الفترة ما بين القرن 5هـ / 11 م و مطلع القرن 8هـ / 14م ؟ ، ولماذا تأخر انتشارهُ حتى هذه الفترة المذكورة ؟ ، وما موقف السلطة، و العلماء والعامة من المذهب ؟ وهل كان انتشار المذهب و استقراره على المستوى الرسمي (السلطة) أم على المستوى الجماهيري(العامة) ؟ ، وهل كانت سيادة المذهب الأشعري في العالم الإسلامي – شرقا و غربا - في تلك الفترة بقوة ذاتية من أصوله و قواعده ، أم بقوة خارجة عنه ؟ و أيهما كان أشد تأثيرا وإسهاما في ترسيخ المذهب الأشعري : قوة السلطان أم قوة البرهان ؟ ثم هل كان العامل السياسي عامل ثانوي أم عامل حسم في انتشار و سيادة المعتقد الأشعري في العالم الإسلامي ؟ .

و لمعالجة هذه الإشكالية من جهة و بالنظر إلى طبيعة الموضوع و الأهداف المرجوة منه من جهة أخرى رأيتُ تتبع خطة عمل من أربعة فصول ، أولها فصل تمهيدي عنونته بـ : ظهور المذهب الأشعري و انتشاره المشرق الإسلامي و مغربه (300هـ - 505 هـ / 913م – 1112 م) ، تناولتُ فيه المذهب الأشعري بصفة عامة و بشكل موجز ، بدءً بنشأته وقواعده ، مروراً بمراحل تطوره ، وانتهاءً باستقراره في المشرق الإسلامي خلال الفترة (300هـ - 457هـ / 913م - 1065م) ، ثم – في مبحث آخرٍ مستقل – تناولت ظهور المذهب الأشعري و انتشاره في المغرب الإسلامي خلال الفترة (300هـ - 505 هـ / 912 م – 1111 م) ، و عددتُ أثناءها كل ما توفر لدي من العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب الأشعري من غير العامل السياسي ، ليسهل علينا بعدها المقارنة بينها و بين العامل السياسي ، كما ترجمت – أثناء الفصل أيضا - لأبرز أئمة المذهب بإيجاز ، مبرزًا دورهم في تطور المذهب ، و من خلال تلك التطورات و التغيرات أيضا تتبعت المسائل التي خالف فيها متأخرة الأشاعرة متقدميهم ، و في هذا الفصل دائماً أفردت مبحثا ثالثا مستقلا استعرضت فيه حالة الضعف و الإضطهاد و التضييق السياسي التي عرفها المذهب الأشعري في الفترة (433هـ - 457هـ / 1042 م – 1065 م) أي قبل انتشاره شرقا و غربا .

أما الفصل الثاني فقد جاء مُعنوناً بـ : الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية في المشرق الإسلامي و مغربه (465 هـ - 709 هـ / 1169 م – 1310 م) ، و قسمته إلى أربع مباحث ، خصصت كل مبحث للحديث عن مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية لأهم الدول الإسلامية القائمة أنذاك ، و راعيت في ترتيبها الترتيب الزمني دون الجغرافي ، فرصدتُ مظاهر التأييد و الدعم في الدولة السلجوقية ثم الدولة الزنكية ، ثم الدولة الموحدية في المغرب ، ثم الدولة الأيوبية .

بينما خصصت الفصل الثالث لمظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الجانب العلمي ، لذا جاء مُعنوناً بـ : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي و مغربه (457هـ - 660 هـ / 1065 م - 1262 م) ، و رصدت في ثلاث مباحث تلك المظاهر في الدولتين السلجوقية و الزنكية ثم الأيوبية خلال الفترة المذكورة ، كما أفردت مبحثا بمظاهر الدعم السياسي علميا في الدولة الموحدية بالغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة بين (505 هـ- 554 هـ / 1133 م- 1163 م) .

و أما الفصل الرابع و الأخير فقد تعلق بمظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الجانب الإجتماعي و المذهبي ، فكان - بناءً على ذلك - معنونًا بـ : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية في المشرق الإسلامي و مغربه (465 هـ - 595هـ / 1073 م - 1102 م) ، و كان هو الآخر مُقسم إلى ثلاث مباحث ، أحدها يتعلق بمظاهر الدعم السياسي السلجوقي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية ببغداد (469 هـ / 521 هـ / 1077 م-1127 م) ، و المبحث الثاني تمحور حول مظاهر الدعم السياسي الأيوبي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بدمشق و أصفهان (595 هـ / 1199 م) ، و المبحث الثالث رصدَ مظاهر الدعم السياسي المملوكي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بالشام و مصر (698 هـ - 709 هـ / 1299 م – 1310 م) .

وفي نهاية البحث خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها ، ثم ألحقت البحث ببعض الملاحق و الفهارس لتعم الفائدة .

و لقد فرضتْ علي طبيعة الموضوع المتشعب اتباع منهج جمع بين الإستقراء و التحليل و الإستنتاج و الإحصاء ، للوقوف على حقيقة انتشار المذهب الأشعري و تبيُّن دور العامل السياسي في ذلك ، فالإستقراء وظفته في تتبع بعض جزئيات الموضوع و جمعها و إعادة ترتيبها وفق أهداف الموضوع ، ثم التحليل - الذي يتبع الإستقراء - إذ به تمكنت من فهم و إدراك كلام و آراء المؤرخين و العلماء ، أما المقارنة فقد وظفتها عند إيراد الأقوال و الأقوال المعارِضة لها للوقوف على أوجه الخلاف و الوفاق .

و لتحرير العمل تتبعت مادة الموضوع في مضانها ، لاسيما مصادر التاريخ العام و كتب التراجم والطبقات ، بالإضافة إلى كتب العقائد و الملل والنحل وغيرها من المصادر، بالإضافة إلى جملة من المراجع ، وهي في مجموعها تتطلب تتبعًا و استقراء واستنتاجا لانتقاء ما يُمكن أن يخدم الموضوع .

و لعل أهم المصادر التي نفعتني بصفة خاصة كتب الطبقات و التراجم كوفيات الأعيان لابن خلكان (تـ681 هـ / 1283 م) و الوافي في الوفيات لابن أيبك الصفدي (تـ 764هـ / 1363 م) ، إلا أن استفادتي الكبرى غنمتها من مصدرين : أحدهما سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين الذهبي (تـ 748 هـ / 1348 م) ، و ثانيهما طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (تـ 771 هـ/ 1312 م) الذي تضمن كتابه - من أربع أجزاء – ترجمات وافية لأقطاب المذهب الشافعي الأشاعرة و سيرهم بإسهاب و تفصيل و توسع ، مما أفادني كثيرا دون الانزلاق – طبعًا - خلف مواقف و آراء المؤلف التي تعكس تحامله و تعصبه الشديد لمذهبه . كما استفدت في دراسة الوضعية السياسية و العقيدية بالمغرب من كتابين ، أحدهما كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين لعبد الواحد المراكشي (تـ 647 هـ / 1250 م) ، و المصدر الثاني كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، لابن أبي زرع أبو الحسن بن الحسن الفاسي (تـ 728 هـ / 1328 م) .

ومن كتب التاريخ العام التي استفت منها أيضا كتاب تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ، و البداية و النهاية للحافظ بن كثير الدمشقي (تـ 774هـ / 1373 م) و المنتظم لابن الجوزي البغدادي (تـ 597 هـ / 1201 م) .

و أما عن المراجع فكانت استفادتي منها متوازية تقريبا و لم يكن لمرجع معين أهمية بارزة عن غيره ، و أهمها كتاب الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث خلال القرنيين 5 – 6 الهجريين للدكتور خالد كبير علال حيث أعطاني الكتاب تصور عـام حول الموضوع ، و كتاب موقف بن تيمية من الأشاعرة و هو في الأصل رسالة دكتوراة لمحمود بن عبد الرحمان ، و كتاب التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي لبدوي عبد المجيد أبو الفتوح ، و كتاب جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة لإبراهيم التهامي ، و من الكتب الإلكترونية كتاب عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي للدكتور محمد علي الصلابي ، و كتاب منهج الأشاعرة في العقيدة للدكتور سفر الحوالي .

و عمومـا كان سير البحـث عاديـا ، إذ توفرت لدي معظم المصـادر و المراجع المطلوبة ، و غابت عني المنهجية و الخبرة في التعامـل مـع المصـادر و المراجع ، مما تطلب مني جهداً كبيراً و وقتـًا طويل ، و أملي أني قد أتدارك بعضًا من ذلك بهذه التجربة و هذا العمل .

و أحمد الله عز وجل أولا و أخيرا على ما يسر و وفق ، كما لا يفوتني بعد ذلك أن أعترف بالفضل الكبير للأستاذ المشرف الذي كان لي العون و الموجـه في كل أطـوار العمل .

📖📖📖

الفصل الأول (التمهيدي) : ظهور المذهب الأشعري و انتشاره في المشرق الإسلامي و مغربه

(300هـ - 505 هـ / 913م – 1112 م) :

- **المبحث الأول : ظهور المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و انتشاره به (300هـ - 457هـ / 913م - 1065م) .**
- **المبحث الثاني : التضييق و الإظطهاد السياسي للمذهب الأشعري في المشرق الإسلامي (433هـ - 457هـ / 1042 م – 1065 م) .**
- **المبحث الثالث : دخول المذهب الأشعري إلى المغرب الإسلامي و انتشاره به (300هـ - 505 هـ / 912 م – 1111 م) .**

❖ الفـصل الأول (التمهيدي) : ظـهـور المذهـب الأشعـري و انتشاره في المشرق الإسلامي و مغربه (300هـ - 505 هـ / 913م – 1112 م) :

- المبحث الأول : ظهور المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و انتشاره به (300هـ - 457هـ / 913م - 1065م) :

ظهرت أفكار أبي الحسن الأشعري (تـ 324 هـ/936 م) [1] في بداية القرن

---

1 - علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن موسى الأشعري البصري ، ولد سنة 260هـ / 874 م ، أخذ علم الكلام عن زوج أمه أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة تـ 203هـ/ 819 م و تبحر في ذلك حتى صار إماما في مذهبهم ، و أقام عل ذلك أربعين سنة ، حتى سنة 300هـ/ 912م ثار عليهم و انخلع منهم ، و كان ذلك سببا في شهرته كما سنرى. انظر عنه مثلا : السبكي ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، الطبعة 02 ، الجيزة ، مصر ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، 1413هـ / 1992 م ، ج : 2، ص: 113 ، 114 .

4هـ/10م في بغداد ، موافقة لأفكـار أبــي منصــور المــاتريـدي (تـ333هـ/945 م) [1] بسمرقند في ما وراء النهر [2] بالرغم أنه لم يثبت أي لقاء أو معرفة بين الرجلين ، و أرجع أكثر الباحثين [3] هذا التقارب إلى استناد الرجلين إلى أفكار عبد الله بن كلاب البصري(تـ241هـ/855م) [4] .

فكان المذهب الأشعري – في حقيقة الأمر- تجـديـد و إحيـاء لأفكـار عبد الله بن كلاب لاتفاق المدرستين في أكثر الأصول العقيدية [5] ، كتأويلهم للصفات الفعلية القائمة بذات الله تعالى كصفات : العلو و الإستواء و الكلام [6] ، و إن كانا يختلفان في

---

1 - محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي، ولد فى ماتريد من أعمال سمرقند فيما وراء النهر، ولا يعرف على وجه اليقين سنة مولده ، تلقى علوم الفقه الحنفى والكلام على نصر بن يحيى البلخى تـ 268هـ/ 881م أحد علماء عصره ، له كتاب التوحيد ،وكتاب بيان أوهام المعتزلة ، وكتاب تأويلات القرآن ، توفي سنة 333هـ انظر : عبد القادر القرشي ، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، دار مير محمد كتب خانه ، كراتشي، بدون ت.ط ، ص : 130 -131 .

2 - اصطلح العرب على تسمية الأقاليم الواقعة شمال نهر جيجون القديم ببلدان ما وراء النهر (و كان هذا النهر حد فاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية و الناطقة بالتركية) و سمرقند هي إحدى تلك الأقاليم الواقعة شمال النهر ، على بُعد 130 ميلا عن مدينة بخارى ، يُنسب إليها عدد من العلماء . أُنظر : ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، دار الفكر ، بيروت ، دون ت.ط ، ج : 5 ، ص : 79 . و كي لسترنج ، **بلدان الخلافة الشرقية** ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ص : 476 و 507 .

3 - اُنظر مثلا : السلالي هدى ناصر ، **أراء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة** ، الطبعة 01 ، مكتبة الرشد بالرياض ، 1420 هـ / 2000م ، ص : 145 و ما بعدها . و عند عبد الرحمان أبو زهرة أن هذا التقارب يرجع إلى اتفاق الرجلين في الرد على المعتزلة العدو المشترك الذي أحدث التقارب في أفكارهما ،أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية** ، القاهرة ،دار الفكر العربي ، بدون ت.ط ، ص: 179.

4 - أبو محمد عبد الله بن كلاب القطان الفقيه البصري ، لقب بن كلاب – بضم الكاف و تشديد اللام – لقوة مناظرته و بيانه و بلاغته بحيث يجتذب من يناظره كما يجتذب الكلاب الشي على حد قول السبكي ، تميزت أفكاره بالاعتماد على العقل وعلى النص ، و قد أشار ابن تيمية إلى ذلك في موضعين ، فقال " لكن الأصل العقلي الذي بنى عليه بن كلاب قوله في كلام الله و صفاته هو أصل الجهمية و المعتزلة بعينه" و في موضع آخر قال عنه " و هو خير و أقرب إلى السنة منهم " . أُنظر : ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ،ج 5 ، ص 558 ، السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 02 ، ص :51 . و الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة 09 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ / 1992 م ، ج :11 ، ص : 174 .

5 - يقول الباحث عبد الرحمان المحمود " أما الكلابية فهم أسلاف الأشعرية حقا، وقد اندمجوا فيهم حتي وصل الأمر- بعد انتشار مذهب الأشعرية - إلى أن يطلق اسم الطائفتين على الأخرى " ، انظر كتابه : **موقف بن تيمية من الأشاعرة** ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ج :1 ، ص : 545 ، و نجد بعض أعلام الأشاعرة عند حديثهم عن العقائد يقولون " شيخنا الكلابي " ، أُنظر : الشهرستاني ، **نهاية الإقدام في علم الكلام** ، مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص : 303 .

6 - التأويل في اللغة مأخوذ «من الأوْل ، أي الرجوع إلى الأصل ، و هو بمعنى البيان و التفسير ، و المقصود بتأويل الكلام لغة : عاقبته و ما يؤول إليه ، أُنظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار صادر ، دون ت.ط ، ج : 11 ، ص : 32 . و أما اصطلاحا فالمـلاحظ أن التأويل تعددت استعمالاته و اختلفت من قرن لآخر، ومن قوم إلى آخرين، ومن بيئة ثقافية إلى أخرى ، لذا أكد ابن تيمية أنه ينبغي في تحديد دلالتة الإصطلاحية التفريق بين السلف و الخلف ، فهو عند مفسري السلف يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه ، و عند الفقهاء هو بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عين المُخبر به، وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به ، أما عند متأخري الفقهاء والمتكلمة والمتصوفة : فالتأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر الراجح إلى معنى مرجوح لقرينه أو احتمال مرجوح ، والمتأول بالمعنى الأخير مُطالب بأمرين : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد منه. و أن

مسائل معدودة محدودة في الصفات الخبرية [1] ، حيث أثبتت الكلابية الصفات الخبرية الذاتية لله تعالى ولم تتأولها [2] ، في حين أثبتها الأشاعرة على اختلاف بينهم ، فبينما أثبتها متقدموهم ، أولها المتأخرون [3] ، و مثال ذلك صفات الوجه و العينين و اليدين التي أثبتها الأشعري في كتابه الإبانة [4] و أوّلها من المتأخرين مثلا الأصولي المتكلم فخر الدين الرازي (تـ606هـ / 1210 م) في تفسيره [5] .

فأبوالحسن الأشعري إثر رجوعه عن الإعتزال وضع منهجا ً كانت قاعدته المذهب الكلابي [6] ، قبل أن يتراجع في آخر المطاف عن مقولاته التي سلك فيها مسلك التأويل وقرر أن يلحق بركب أهل الحديث في البُعد عن التأويل فأبان عن ذلك فى كتابه

يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح. وبدون ذكر ذلك يكون التأويل فاسدا وضربا من التلاعب بالنصوص، وحملها على الهوى وصرفها عن معناها الحقيقي المُستفاد من ظاهرها، وتعطيل لشرائع الله . أُنظر مثلا : ابن تيمية : **مجموع الفتاوى** ، ج : 4 ، ص : 68 – 69 – 70 .

1 - يمكن تقسيم الصفات الثابتة لله تعالى إلى صفات **ذاتية**: وهى التي لا تنفك عن ذات الله تعالى، كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر.. الخ . وصفات **فعلية** : وهى التي تتعلق بمشيئته وقدرته بمعنى إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش والنزول والمجيء ، و بعض الصفات تجمع الأمرين ، فتكون ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار آخر، مثل صفة الكلام فهي ذاتية باعتبار أن الله تعالي لم يزل ولا يزال يتكلم لا تنفك عن ذاته هذه الصفة، وهى فعلية باعتبار أن الله يتكلم حسب مشيئته . و هناك أيضا الصفات **الخبرية**: وهى التي ثبتت بالخبر – السمع – دون النظر إلى ثبوتها بالعقل، كالاستواء، والنزول، والوجه، واليدين . وهذه الصفات تشمل : الصفات الفعلية الاختيارية، المتعلقة بمشيئة الله تعالى، كالنزول، والاستواء، والرضى، والغضب، والإتيان ، والمجيء ، والفرح والسخط . أُنظر مثلا : ابن تيمية ، **الصفدية** ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة 02 ، دار العاصمة ، 1406 هـ / 1986 م ، ج : 2 ، ص : 89 . و **مجموع الفتاوى** ، ج : 16 ، ص : 375 . و أبو حنيفة النعمان ، **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر** (المنسوبين لأبي حنيفة) ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن الخميس ، الطبعة 01 ، عجمان ، مكتبة الفرقان ، 1420 هـ / 1999 م ، ص : 16 .

2 - حيث نقل الأشعري عن بن كلاب قوله : " أطلق اليد والعين والوجه خبرا، لأن الله أطلق ذلك، ولا أطلق غيره، فأقول هي صفات لله عز وجل كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات " ، أُنــظر : الأشعري ، === === **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، تحقيق : هلموت ريتر، الطبعة 03 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ج :1 ، ص : 218 . و للمزيد يـُنظر : هدى ناصر السلالي ، **أراء الكلابية** ، ص : 134 و ما بعدها .

3 - قال ابن تيمية في ذلك " فمن قال أن الأشعري كان ينفيها و أن له فى تأويلها قولين فقد افترى عليه ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه " ، و قال عن ذلك الذهبي " فلو انتهى أصحابنا المتكلمون إلى مقالة أبي الحسن هذه و لزموها لأحسنوا ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ومشوا خلف المنطق فلا قوة إلا بالله " ، و من المعاصرين الحافظ الحكمي إذ يقول " و بالجملة فبينه و بين المنتسبين إليه بـون بعيد بل هو بريء منهم و هم منه براء و الموعد الله و كفى بالله حسيبا وهو حسبنا و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله "انظر : ابن تيمية ، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة 01 ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، 1392 م ،ج :1 ، ص : 78 . و أيضا : **مجموع الفتاوى** ،ج : 12 ، ص : 203 . و الذهبي ، **العلو للعلى الغفار**، تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود ، الرياض ، مكتبة أضواء السلف ، 1995م ، ص 222 ، حافظ حكمي ، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ، الطبعة 01 ، الدمام ، دار ابن القيم ، 1410 / 1990 ، ج :1 ، ص : 378. و انظر أيضا : هدى ناصر السلالي ، **أراء الكلابية** ، ص : 157 .

4 - الأشعري ، **الإبانة عن أصول الديانة** ، تحقيق : د. فوقية حسين محمود ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار الأنصار ، 1397هـ / 1977 م ، ص : 79 .

5 - فخر الرازي ، **أساس التقديس فى علم الكلام** ، ط01 ، 1415هـ / 1994 م ، بيروت ،مؤسسة الكتاب الثقافية ،ص : 95 و ما بعدها .

6 - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 06 ، ص : 178 . و **درء تعارض العقل والنقل** ، تحقيق : محمد رشاد سالم ،الرياض ، دار الكنوز الأدبية ، 1391هـ / 1971 م ،ج : 02 ، ص : 16 . و حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر،**التحفة المدنية في العقيدة السلفية** ، دار العاصمة – الرياض، ص : 118 . و هدى ناصر السلالي ، **أراء الكلابية** ، ص : 145 .

الإبانة ، يدل على ذلك ما قاله فيه : " ... وقولنا الذي نقول به ، وديانتنا التى ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون ، ولمن خالف قوله مُجانبون ..." [1] ، ويقول المؤرخ شمس الدين الذهبي(تـ 748هـ/1347 م) : " رأيت لأ بي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها: تمر كما جاءت ، ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين، ولا تؤول " [2] .

و عند الحديث عن ظهور المذهب الأشعري و انتشاره قبل النصف الثاني من القرن 5هـ / 11 م ، تستوقفنا مشكلة وهي : مشكلة النسبة أو التسمية ، فإذا كانت أراء بن كلاب هي الأصل و لم يكن للأشعري سوى تجديدها و إحيائها ، فلماذا إذاً لم يُنسب المذهب لابن كلاب و نُسب إلى أبي الحسن الأشعري ؟ و لماذا انتشرت آراء أبي الحسن الأشعري ونفذت شرقا و غربا خلال هذه الفترة ، في الوقت الذي بقيت فيه آراء عبد الله بن كلاب حبيسةً محصورة محدودة ؟ ولماذا كان صوت الأشعري مسموعا أكثر من صوت مُعاصره أبي منصور الماتريدي و سلفه عبد الله بن كلاب مع توافقهم في أكثر الآراء ؟ .

و يُمكن تفسير ذلك بجملة من الأسباب و العوامل و الظروف المساعدة التي توفرت للأشعري دون صاحبيْه منها :

أولا : انقلاب أبي الحسن الأشعري على المعتزلة بعدما بلغ مكانة ومنزلة في مذهبهم إذ كان من أبرز أعلامهم و منظريهم من خلال ما ألف من كتب في الذب عنهم، قال الأشعري عن أحدها بعد أن نقضه و رد عليه " ألفناه قديما ... لم يُؤلف لهم كتاب مثله ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه فنقضناه وأوضحنا بطلانه) [3] ، و لم يكتف

---

1 - أنظر: **الإبانة عن أصول الديانة** للأشعري ، ص : 52 و ما بعدها .
1 - الذهبي، **سير اعلام النبلاء**، ج : 15، ص : 86.
3 - ابن عساكر ، **تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن** الأشعري ، الطبعة 03 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1404 هـ / 1984 م ، ص : 131 .

الأشعري بهذا القرار الشجاع بل تبع ذلك بكشف جميــع ضلالاتهـم ، و الرد عليهم [1] .

ثانيا : يقودنا هذا إلى سبب يبدو مهما ً للغاية ألا وهو ذلك الصراع بين المعتزلة والأشاعرة خلال القرن 4هـ/10 م و ما بعده ، ما أكسب الأشعري و أنصاره تأييدا و شهرة و إعجابا لردودهم على المعتزلة ، فقد نـُقل عن الأشعري أنه كان يقول حال احتضاره : " لعن الله المعتزلة موهوا و مخرقوا " [2] ، ولم يتوقف هذا الصراع بموت الأشعري ، بل واصل أتباعه هجومهم على المعتزلة ، منهم الفقيه المتكلم أبو بكر الباقلاني البصري (تـ 403هـ/ 1013 م) الذي عدد ضلالاتهم في كتابه "التمهيد" ثم أعقب ذلك بقوله " ولو تتبعت ذكر ضلالتهم وقبح مذاهبهم وشنيع ما أدخلوا في الدين وخالفوا به السنن وقول كافة المسلمين وسائر السلف الصالحين لطال بذلك الكتاب ولخرجنا بذكره عما له قصدنا ولم نأت مع الإسهاب فيه إلا على القليل منه ..." [3] ، ثم أثبت الباقلاني – ردا على المعتزلة - أن لله تعالى وجها ويدين [4] ، ثم يتناول الباقلاني أشهر مسائل الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة، فيعقد بابا يقر فيه بصحة حديث الشفاعة، ويرد على المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة [5] ، ويعقد بابا آخر بعنوان "باب الكلام في جواز رؤية الله بالأبصار" يرد فيه على مذهب المعتزلة في قولهم بأن الله لا يرى بالأبصار [6] .

ثالثا: و من أسباب نفوذ و انتشار أراء الأشعري على حساب أراء سابقه عبد الله بن كلاب و معاصره أبي منصور الماتريدي هو نشأة المذهب في حاضرة الخلافة العباسية بغداد العاصمة السياسية و الثقافية للخلافة الإسلامية (عامل المكان) ، ولا شك أن أنظار الناس في شتى الأقطار تتجه في الغالب إلى دار الخلافة ، ففيها الفقهاء و المحدثون و المقرئون ، كما أنها من أهم البلدان التي يرحل إليها العلماء ليسمعوا الروايات أو يحدثوا

---

1 - نفس المصدر ، ص : 94 . و نـُقل عن أبي بكر بن الصيرفي قوله " وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فجزهم في أقماع السمسم" . أُنظر : الخطيب الغدادي ، **تاريخ بغداد** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون ت.ط ، ج :11 ، ص : 346 .

2 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، بغداد ، تحقيق بشار عواد ، 1397 هـ / 1977م ، ص : 2463 .

3 - الباقلاني ، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة 01 ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1407 هـ / 1987م ، ص : 293 .

4 - فقال في قوله تعالى " يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" و قوله "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " أن الله تعالى أثبت لنفسه وجها ويدين ، لأن قوله بيدي يقتضي إثبات يدين هما صفة له فلو كان المراد بهما القدرة لوجب أن يكون له قدرتان ، ص : 296 - 297 .

5 - نفس المصدر ، ص : 415 .

6 - نفس المصدر ، ص : 301 و ما بعدها .

فيها بمروياتهم ، فلما نشأ المذهب الأشعري في بغداد و هي على هذه الحال كثر المتلقون لهذا المذهب و الناقلون له [1] ، هذا بخلاف المذهب الماتريدي الذي نشأ في زمن الأشعري بسمرقند في ما وراء النهر من بلاد الإسلام النائية ، حتى أن أبا منصور الماتريدي صاحب المذهب لم يحظ بالعناية من جانب أصحاب التراجم ، وحتى كتب الطبقات الحنفية ترجمت له ترجمات مختصرة [2].

رابعا : ويمكن تفسير مسألة النسبة في زمن ظهور الرجلين(عامل الزمان) ، فابن كلاب لم تكن له في زمنه فرصة للبروز ، إذ جاء في زمن محنة أهل السنة من جانب المعتزلة ، فلما زالت المحنة تزعم الإمام أحمد بن حنبل لواء السنة بلا منازع ، بالرغم من أن بن كلاب و من اتبعه كان لهم أيضا إسهام في الرد على المعتزلة و الجهمية و إن كانت قوية إلا " أنهم شابوها بشيء من البدع [3] ، فإذا أضيف إلى ذلك تحذير أئمة أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل و غيره من هؤلاء [4] ، فلا شك أن قدرة بن كلاب في التأثير على الناس ستكون محصورة في نطاق معين لا تتعداه و هذا ما حدث " [5] .

خامسا: و من أسباب نسبة المذهب إلى أبي الحسن الأشعري بدلا من بن كلاب كثرة مؤلفاته ، و رسائله ، فمؤلفاته قد تزيد على ثلاثمائة كتاب [6] ، خاصة في الأصول و الردود [7] ، فاشتهرت وانتشرت بين الناس ، في حين اندثرت كتب بن كلاب و ضاعت ، و إن كان الموجود منها بقايا في بطون كتب أخرى مثل مقالات الإسلاميين للأشعري ، و

1- انظر : محمود صبحي ، **في علم الكلام ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، المعتزلة و الأشاعرة** ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1406 هـ / 1987م ، ص : 424 . و أدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري** ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة 02 ، الهيئة المصرية للكتاب ، ج : 1 ، ص : 133 .

2 - ا نظر مثلا ترجمته لدى عبد القادر القرشي في **الجواهر المضية** ، ص : 130 .

3 - المقصود بالبدعة علم الكلام ، فعده أكثر أهل العلم بدعة منذ زمن بن كلاب بل قبله و بعده ، فقد ورد عن الإمام مالك (تـ 179هـ / 795 م) قوله " لو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة و التابعون كما تكلموا في الأحكام ، و لكنه باطل يدل على باطل " ، للمزيد أنظر : إبراهيم التهامي ، **حكم الإشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام** ، الطبعة01 ، دار قرطبة ، 1427 هـ / 2006 م ، ص : 9 .

4 - فقد هجر الإمام احمد بن حنبل الحارث المحاسبي تـ 243هـ / 857 م- أحد أئمة الكلابية - و أمر بهجره رغم زهده و ورعه و قال " لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل " فاختفى إلى أن مات ، كما ذكر بن تيمية في عدد من مؤلفاته ، انظر : **منهاج السنة النبوية** ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة 01 ، مؤسسة قرطبة ، 1406هـ ، ج : 1 ، ص : 424 . و **درء تعارض العقل والنقل** ، ج : 3 ، ص : 369 . و **النبوات** ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1386 هـ / 1966 م ، ص : 46 .

5- عبد الرحمان المحمود ، **موقف بن تيمية من الاشاعرة** ، ج 2 ، ص : 497 .

6 - قيل إنها أكثر مائتين وثلاثمائة مصنف ، ابن عساكر ، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 136 .

7 - أنظر عنها : إسماعيل باشا البغدادي ، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المنتصرين** ، بيروت ، دار الفكر، 1402، هـ /1982م ، ص : 361 .

من كتبه التي ذكرت في تراجمــه كتاب في التوحيـد [1] ، و كتاب في الصفات و كتاب الرد على المعتزلة [2] ، و كتاب آخر في الرد على الحشوية [3].

سادسا: لا يمكن – أيضا - إغفال دور تلاميذ الأشعري ، ومن جاء بعدهم من تلامذتهم في ترسيخ نسبة المذهب إليه في دروسهم و كتبهم ، بالإضافة إلى دورهم في نشره و الدفاع عنه ، فقد تبنى آراء الأشعري جمهرة من العلماء في المشرق و المغرب اعتمدوه و نصروه و خاصة فقهاء الشافعية و المالكية المتأخرين : كالقاضي أبي بكر الباقلاني (تـ403هـ/ 1013 م) ، وابن فورك (تـ 406هـ/1016 م) ، وأبي إسحاق الإسفرائيني (تـ 418هـ/1027 م) ، و عبد القاهر البغدادي (تـ 429هـ/1038 م) ، وأبي بكر البيهقي (تـ 458هـ/1066 م) ، وأبي القاسم القشيري (تـ 465هـ/1073 م) ، وأبي إسحاق الشيرازي (تـ 476هـ/1083 م) ، وإمام الحرمين أبي المعالي الجويني (تـ 478هـ/1085 م) ، والإمام الغزالي (تـ 505هـ/1112 م) ، و الشهرستاني (تـ 548هـ/1153 م) ، وغيرهم كثير ممن تصدروا للإمامة في طريقته [4] ، فنصروا مذهبه وناظروا عليه وجادلوا فيه واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تُحصر ، فكان لهم أكبر الفضل وأعظم الأثر في انتشار المذهب أنذاك .

سابعا : تستـّر الأشاعرة بالمذهب الحنبلي، إذ كانوا قبل فتنة بن القشيري سنة 469هـ/1077 م و انتصار نظام الملك [5] يتستـرون بالمذهــب الحنبلـي لضعـف و اضطهاد كانوا يعيشونه ، و كان بن تيمية أكثر دقة في وصف ذلك ، فقد ذكر أنه اشتد الحال على الأشعرية في عهد الخليفة العباسي القادر بالله (تـ 422هـ/1031م) ، حتى لـُعنت على الملأ ، وقرنت بالشيعة و الجهمية ، ولو لا تسترها بالحنبلية لما حافظت على ذاتها و لا راجت بين الناس [6] ، و ساق شاهدا آخر فقال " لهذا كان الشيخ أبو إسحاق [1]

---

1 - الذهبي ، **السير** ، ج : 11 ، ص : 175 .

2 - ابن النديم ، **الفهرست** ، دار المعرفة - بيروت ، 1398 هـ / 1978م ، ص : 255 .

3 - إسماعيل باشا البغدادي ، **هدية العارفين** ، ص : 229 .

4 - القنوجي ، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398 هـ / 1978م ، ج : 2 ، ص : 449 . و المقريزي ، **المواعظ و الإعتبار في ذكر الخطط و الآثار**، بور سعيد ، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ، بدون ت،ط ، ج :4 ، ص : 162.

5 - أنظر المبحث الأول من الفصل الأول ، ص .

6- أنظر :ابن تيمية ، **نقض المنطق** ، تحقيق محمد بن عبد الرزاق ، مكتبة السنة المحمدية ، بدون ت. ط ، ص : 13 - 14 . و **مجموع الفتاوى** ، ج : 3 ، ص : 228 .

يقول إنما نفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة وهذا ظاهر عليه وعلى أئمة أصحابه في كتبهم ومصنفاتهم قبل وقوع الفتنة القشيرية [2] ، كما ذكر أيضا أن أبا بكر الباقلاني – إمام الأشاعرة في زمانه - كان يختفي و يتستر بمذهب الإمام أحمد ويكتب في أجوبته أحيانا : محمد بن الطيب الحنبلي [3] .

ثامنا: هناك عامل آخر ربما يكون قد أثر في انتشار المذهب الأشعري و هو تعويل أتباع أبي الحسن الأشعري على بعض الآثار التي فهموا منها أنها تبشر بدعوة أبي الحسن الأشعري ، من ذلك أن المؤرخ الفقيه تاج الدين السبكي الأشعري (تـ 771 هـ / 1322 م) أفرد في طبقاته بابا عنوانه " ذكر دليل استنبطه علماؤنا من الحديث الصحيح دال على أن أبا الحسن وفئته على السنة وأن سبيلهم سبيل الجنة " : أورد فيه : حديث الأشعريين : (الإيمان يمان والحكمة يمانية أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا) ، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري ، كما ذكر بأنه لما نزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ...) [4] قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (هم قوم هذا) وضرب بيده على ظهر أبى موسى الأشعرى [5] ، وممن وافق على هذا التأويل وأخذ به من حفاظ المحدثين وأئمتهم الحافظ أبو بكر البيهقى (تـ 458هـ/1066م) قال : " وذلك لما وجد من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة فى هذا الحديث للإمام أبى الحسن الأشعرى رضى الله عنه فهو من قوم أبى موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصا من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة ورد الشبهة والأشبه أن

---

1 - يقصد أبا إسحاق الشيرازي البغدادي الشافعي الأشعري المتوفى سنة 476 هـ / 1084 م أحد أئمة الأشاعرة .

2 - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 4 ، ص : 17 .

3 - ابن تيمية ، **درء التعارض** ، ص : 149 . و **مجموع الفتاوى** ، ج : 4 ، ص : 15 .

4 - سورة : المائدة ، الآية : 54 .

5 - حديث صحيح ، انظر : الألباني : **صحيح الجامع** ، حديث رقم : 53 ، و قد أورد المفسرون جملة من الإحتملات عمن قُصد بالآية و الحديث أبعد ما تكون عن تخمينات الأشاعرة ، فقيل نزلت في أبـي بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين حاربوا أهل الردة ، و أقاموا الإسلام و ثبتوا عليه حينها ، و قيل هم أهل القادسية من اليمن الذين جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في أيام عمر رضي الله عنه ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن ه على يدي قبائل اليمن ، و قيل إنها نزلت في الفرس فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على فخذ سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال "هم قوم هذا لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس " ، أُنظر مثلا : ابن كثير ، **تفسير ابن كثير** ، بيروت ، دار الفكر العربي ، 1401 هـ / 1981 م ، ج : 2 ، ص : 71 . و ابن جرير الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آى القرآن(تفسير الطبري)** ، الطبعة01 ، دار الفكر، ج : 4 ، ص : 622 . و ابن تيمية ، **منهاج السنة** ، ج : 7 ، ص : 218 . و الشوكاني ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، الطبعة01 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ج : 2 ، ص : 76 .

يكون رسول الله إنما جعل قوم أبى موسى من قوم يحبهم الله ويحبونه لما علم من صحة دينهم وعرف من قوة يقينهم فمن نحا فى علم الأصول نحوهم وتبع في نفى التشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولهم جعل من جملتهم ... ونحن نقول ولا نقطع على رسول الله صلى الله عليه وسلم: يشبه أن يكون نبي الله صلى الله عليه وسلم إنما ضرب على ظهر أبي موسى رضي الله عنه في الحديث الذي قدمناه، للإشارة والبشارة بما يخرج من ذلك الظهر في تاسع باطن، وهو الشيخ أبو الحسن "[1] .

وقد ذهب إلى ذلك أيضا بن عساكر حين عقد فى كتاب التبيين بابا " فيما روى عن النبي من بشارته بأبي موسى حين قدومه من اليمن وإشارته إلى ما يظهر من علم أبى الحسن [2] .

فهذه إذن جملة من العوامل التي أتاحت لآراء أبي الحسن الأشعري انتشارا ً و توسعا [3] على حساب أراء سلفه عبد الله بن كلاب و معاصره أبي منصو ر الماتريدي ، و هنا ننبه – مرة أخرى- إلى أن هذه العوامل المـُشار إليها تخص الفترة التي تمتد من ظهور أفكار الأشعري في مطلع القرن 4هـ/10م إلى النصف الأول من القرن 5هـ /11م ، كما أنها تخص أيضا أراء أبي الحسن الأشعري نفسه ، أما بعد القرن 5هـ/11م فقد أ تيح لأراء الأشاعرة [4] عوامل آخر جعلتها تنتشر على حساب باقي المذاهب جميعها ، و هو العامل السياسي موضوع البحث الذي سنفصل فيه لاحقا بإذن الله تعالى .

المبحث الثاني : التضييق و الإظطهاد السياسي للمذهب الأشعري في المشرق

---

1 - السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 3 ، ص : 363 .

2 - ابن عساكر ، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 45 .

3- هذا الإنتشار و التوسع نسبة إلى المذهبين الكلابي و الماتريدي ، أما بالنسبة إلى باقي المذاهب فإن أفكار الأشعري كان انتشارها بطيئا محدودا محصورا ، لأن المتتبع لتاريخ المذاهب في تلك الفترة يتأكد له أن ===
=== انتشارها في الغالب لا يكون تدينا وطلبا للحق – إلا من رحم ربي - وإنما يكون انتشارها بقوة السلطان ، و هو ما لم يتهيأ لأبي الحسن الأشعري و أصحابه في الفترة المدروسة (300 هـ - 465هـ / 913م - 1065م) .

4 - عمدتُ إلى التفريق بين أقوال الأشعري و أقوال من جاء بعده ، لأن المذهب الأشعري لم يقف عند الأفكار التي جاء بها أبو الحسن الأشعري بعد رجوعه عن الإعتزال (المرحلة الكلابية) ، فقد عرف المذهب تطورا داخليا متسارعا عبر عدة مراحل ، فى كل مرحلة تزداد الشقة بين الأشعري و المنتسبين إليه إلى درجة أصبح من الضروري معها التفريق بين الأشعري و من جاء بعده ، لذا كان ظبط العقيدة الأشعرية يحتاج لكلام طويل، نظرا للتطور المتسارع الذي حدث للمذهب ، و ليس المقام هنا لتفصيل ذلك ، و لكن يـُنظر الصفحة : 02 من هذا المبحث (التهميش الثاني) و عن أطوار المذهب الأشعري يـُراجع مثلا كتاب : نشأة الأشعرية و تطورها ، جلال موسى، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م ، و **موجز دائرة المعارف الإسلامية** ، ترجمة مركز الشارقة للإبداع الفكري ،الطبعة 01 1418هـ/ 1998م ، مادة – أشعرية،ج : 3 ، ص : 803 - 804 .

الإسلامي (433هـ - 457هـ / 1042 م – 1065 م) :

ظهرت الأشعرية في بـيئة مشرقية تموج بالمذاهب المخالفة لها ، فكان من الطبيعي أن وجهت السهام نحوها و كثرت التحذيرات منها وتوالت الردود عليها من تلك الفرق المنافسة لها [1] ، إلا أن كلامنا هنا يتجاوز هذا الصراع العقدي بين هذه الفرق ، و إنما ما يناسب موضوعنا هو الحديث عن الموقف السياسي من المذهب الأشعري في القرن 5هـ/11م ، باعتبار موضوعنا يتعلق بدور العامل السياسي في انتشار المـذهـب و تراجعه.

فقد لقي المذهب الأشعري خلال القرن 5هـ/11م تضييقا و اضطهادا ، أما التضييق فقد تولاه الخليفة العباسي القادر بالله (تـ 422هـ/1031م) [2] ، الذي نكـل بالمعتزلة و الرافضة ، ثم أصدر اعتقادا رسميا (عـُرف بالاعتقاد القادري) يوافق معتقد أهل الحديث قطع به الطريق أمام أفكار الأشعري [3] ، و قـُرئ في ديوان الخليفة ببغداد سنة 433هـ/1042م بحضرة الزهاد والعلماء ، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه : أن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر [4] .

فضاق الحال على الأشاعرة ومـُنعوا من إظهار مذهبهم ، فزادهم ذلك وهنـا على وهنهم ، و هو ما أشار إليه بن تيمية بقوله : " ....ولهذا اهتم كثير من الملوك والعلماء

---

1 - أُنظر بعض مظاهر تلك المعارضة لأفكار الأشعري لدى : خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث خلال القرنيين 5 – 6 الهجريين** ، الطبعة 01 ، دار الإمام مالك للكتاب ، 1426 هـ / 2005 م ، ص : 13 ، 14 ، 15 . و آدم متز ، **الحضارة الإسلامية** ، ص : 380 ،إلا أن المذهب الأشعري في غضون القرن 4هـ / 10 م على حد قول المقريزي : " لم يكن قد قوي بعد بحيث يعتبر خصما يهاجم " ، **الخطط** ، ج : 2 ، ص : 380 ، و لعل المقريزي يقصد بكلامه " لم يكن قد قوي " بمعنى لم تكن له سلطة سياسية تقرره و تتبناه فيتقوى بها كباقي المذاهب الأخرى التي أبدت معارضتها له .

2 - القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر تولى خلافة الدولة العباسية عام 393 هـ / 1003 م ، أُشتهر بحسن المعتقد و التدين و و إدامة التهجد بالليل و كثرة البر و الصدقات ، من محاسن سيرته أن كان أول من طعن في نسب الفاطميين بمحضر رسمي عام 408هـ / 1018 م ، و أول من استتاب المعتزلة و الرافضة في بغداد سنة 408 هـ / 1018 م أيضا ، و حكم على معتقدهم بالكفر إن لم يتوبوا ، كما انه أول خليفة وضع عقيدة لأهل السنة عرفت باسم الاعتقاد القادري عام 433هـ / 1042 م و حاول إلزام الناس بها ، انظر : السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة 01 ، مصر ، مطبعة السعادة ، 1371هـ / 1952م، ص : 356 . و ابن كثير، **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف، بيروت ، بدون ت.ط ،ج : 11 ، ص : 339 . و ابن أبي يعلى ، **طبقات الحنابلة** ، تحقيق محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار المعرفة ، ج : 2 ، ص : 118 . و ابن الجوزي ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة01، بيروت ،دار الكتب العلمية ، 1412هـ / 1992م ، ج : 8 ، ص : 109 .

3 - ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 8 ، ص : 109 .

4 - نفس المصدر ، ص : 109 ، و أُنظر نص المحضر في ص : 109 ، 110 ، 111 من المصدر نفسه .

بأمر الإسلام وجهاد أعدائه حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية وغيرهم على المنابر ، حتى لعنوا كل طائفة رأوا فيها بدعة فلعنوا الكلابية والأشعرية ، كما كان في مملكة الأمير محمود بن سبكتكين [1] ، و في دولة السلاجقة ابتداءً ، و كذلك الخليفة القادر" [2] .

و بحلول سنة 447هـ/1055م تلقى المذهب الأشعري ضربة سياسية عنيفة ، وُجهت له خصيصا ، كادت أن تـُفـقِد المذهب توازنه و تـُجهض أفكاره ، و قد عمد إلى تسديد هذه الضربة مطلع القرن 5هـ / 11م أول سلاطين السلاجقة طغرلبك (تـ455هـ / 1063 م) [3] و أول وزرائهم عميد الدولة الكندري (تـ 457هـ/1065 م) [4] ، فبالإضافة إلى محاربتهما المذهب الشيعي[5] أعلن السلاجقة حربا موازية على المذهب الأشعري ، فأُعلن لعنهم على منابر خرسان و نيسابور[6] .

و إذا كان لعن الرافضة و محاربتهم له مبررات ه العقيدية و السياسية لدى السلاجقة ، فما سر موقفهم المماثل من الأشاعرة ، مع التقارب العقيدي بينهما في الدائرة السنية الواحدة ، كما أن الأشاعرة لم يطلبوا سلطة ولم يزاحم وهم في شيء من الملك ، و مع هذا و ذاك كان موقفهم أعنف مما هو متوقع ؟ .

---

1 - صاحب بلاد غزنة وما والاها، أبو القاسم يمين الدولة (لقبه) ، الإمام العادل الفقيه المجاهد الفاتح الشجاع ، ضاقت كتب التاريخ و التراجم بذكر مناقبه ، فتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند، ولاه الخليفة العباسي القائم على ما بيده من بلاد الهند و خرسان ، كما استخلفه فيها لقتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وص لبهم وحبسهم ونفاهم عن ديارهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، توفي سنة 441 هـ / 1050 م و له من العمر 29 سنة فقط ، عطر كثير من أصحاب التراجم كتبهم بذكره ، أنظر مثلا : الذهبي ، **السير** ، ج : 17 ، ص : 483 ، 484 . و ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج : 12 ، ص : 6 .

2 - ابن تيمية ، **نقض المنطق** ، ص : 13 ، 14 .

3 - السلطان أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق التركي الملقب بطغرلبك مؤسس الدولة السلجوقية ، قهر البويهيين سنة 434هـ / 1043 م وأعاد الخلافة السنية ، و انتصر على الروم سنة 441هـ / 1050 م ، توفي في رمضان عام 455هـ / 1063 م .أُنظر : ابن كثير،**البداية والنهاية** ،ج : 12، ص : 43 . و ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، بيروت ،دار الكتب العلمية ،ج : 2 ، ص : 30 و ص : 160 .

4 - محمد بن منصور بن محمد الوزير عميد الملك أبو نصر الكندري وزير طغرلبك ، أول من وزر لبني سلجوق ، استوزره طغرلبك ونال عنده الرتبة العليا إلى أن توفي طغرلبك وقام بالمملكة من بعده ابن أخيه ألب رسلان فأقره وزاده إكراماً، قتل آخر عام 457 هـ / 1065 م . أُنظر : ابن خلكان ، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968 م ، ج : 5 ، ص : 138 . و ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج : 2 ، ص : 301 – 302 .

5 - كان السلاجقة على درجة من القوة ، فاستنجد الخليفة العباسي القائم (422 – 467هـ / 1031 م – 1075 م) بطغرلبك يستقدمه إلى بغداد ليستعين به على إزالة دولة بني بويه الشيعية المتحكمة في الخلافة العباسية، فأجابه وقضى على ثورة البساسيري وتعقبه حتى قتله سنة 451هـ وأعاد الخلافة السنية مرة أخرى وأعاد معها === === الخليفة القائم بالله ، قال ابن العماد (و ملك طغرل بك العراق ، و قمع الرافضة ، و زال به شعارهم) ، انظر : ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج : 3 ، ص : 295 .

6 - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 108. و أبو المحاسن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة** ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ص : 273 . و ا بن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 08 ، ص : 157 . و ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ،ج : 5، ص : 138 .

و قد فسّر بعض من أرّخ للحادثة بتعصب الكندري للمذهب الحنفي ، وسعيه للطعن في الشافعية من خلال الأشعرية لأن المتتبع لتاريخ المذاهب العقدية والفقهية يدرك أن المذهب الشافعي هو ألصق المذاهب الفقهية بالمذهب الأشعري، و الشافعية هم أكثر ذبا عنه و انتصارا له، وهم أعلامه وأئمته ، وشاع ذلك فيما بعد حتى قال أحدهم بعد القرن 8هـ :

لشافعي عذار ... يقول قولا زكيا
لا خير في شافعي ... إن لم يكن أشعريا [1] .

فلما كان معظم الأشعرية شافعية سعى الكندري للطعن في الشافعية من باب أشعريتهم حتى لا يُتهم بالتعصب لمذهبه ، فقد أشار المؤرخ بن الأثير (تـ 630 هـ / 1239م) إلى أنه " كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي " [2] ، و ما يؤكد ذلك ما قام به الكندري حين " عزل الشافعية عن الإمامة في نيسابور و فوض الخطابة إلى بعض الحنفية " [3] ، و يقول أحمد أمين " استعان في حربهم- أي الأشاعرة - بالحنفية ، لأن معظم الأشاعرة كانوا شافعية " [4] .

و نستبعد أن يكون ذلك التعصب الشديد و الإضطهاد البالغ فقط لأن الكندري كان حنفيا و الأشاعرة كانوا شافعية ، و لنا أن نتساءل من جهة أخرى لماذا لم يكن الكندري كذلك مع باقي المذاهب الفقهية السنية عامة و الحنبلي خاصة ؟ .

أما الحافظ تقي الدين بن عساكر (تـ 571 هـ/1180م) فألقى باللوم الكامل على الكندري ، فأكد أن السلطان طغرلبك كان حنفيا سنيا ، لكن وزيره الكندري كان معتزليا رافضيا ، و أن السلطان لما أمر بلعن المبتدعة على المنابر في الجمع قرن الكندري – للتسلي و التشفي – اسم الأشعرية بأسماء أرباب البدع ، و أنه أتبع ذلك بامتحان الأئمة [5] .

---

1 - ابن حجر العسقلاني ، **إنباء الغمر بأبناء العمر**،تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطابع الأهرام ،1389هـ / 1970 م ، ص : 351 .

2 - ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، تحقيق ، أبي الفداء عبد الله القاضي ، بيروت ، الطبعة 02 ، دار الكتب العلمية ، 1415 هـ / 1995 م ، ج : 10 ، ص : 33 .

3 - ابن عساكر ، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 108 .

4 - أحمد أمين ، **ظهر الإسلام** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون ت.ط ، ج : 4 ، ص : 70 .

5 - ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 108 .

و أما تاج الدين السبكي (تـ 771 هـ/ 1380 م) بحماسه الشديد و المعهود جمع للكندري كل قبيحة في الاعتقاد ، فهو عنده ليس رافضيا معتزليا فقط و لكنه أيضا " مشبه خبيث العقيدة لم يُجمع لأحد ما جُمع له من خبث العقيدة ... يقول بخلق الأفعال وغيره من قبائح القدرية وسب الشيخين وسائر الصحابة وغير ذلك من قبائح الروافض وتشبيهه الله بخلقه وغير ذلك من قبائح الكرامية والمجسمة وكان له مع ذلك تعصب عظيم...[1] .

و نشكك في أن الكندري كان رافضيا، فقد ذكر ابن الأثير – و غيره – أن الكندري خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خرسان فأجابه و إلى ذلك وفعل [2] ، و لو كان الكندري رافضيا ما أقدم على هذه الخطوة .

كما أن هذه الأوصاف جاءت على لسان بن عساكر و السبكي – و هما من كبار الأشاعرة – دون غيرهما [3] ، و هو ما يجعلنا نعتقد أن وصفهم له بالاعتزال و التجسيم اجتهاد منهم وانتصارٌ للأشعرية لا أكثر، و العجب من السبكي الذي وصف الكندري بالرافضي و ثنى بأنه معتزلي و ثلث بأنه مشبه ، و هذه الصفات الثلاث يندر اجتماعها في الرجل الواحد [4] .

و أما المؤرخ المصري أبو المحاسن بن تغري بردي (تـ 874هـ/ 1470 م) فأرجع قرار إضطهاد الأشاعرة إلى السلطان طغرلبك ، و ليس لوزيره الكندري إلا أنه رفع إليه بعض مقالات الأشعري ، وهي رأيه في مسألة الكلام الإلهي [5] .

و نفس التعليل سبقه إليه المؤرخ البغدادي بن الجوزي (تـ 597 هـ/1201 م) بقوله : "وكان قد رفع إلى السلطان طغرلبك من مقالات الأشعري شيء " ، فأمر بلعن أبي الحسن الأشعري الذي قال ذلك [6] ،دون أن يذكر الشيء الذي رفع إليه إن كانت مسألة الكلام الإلهي التي ذكرها أبو المحاسن ، أو غيرها ، و يقوي كلامهما ما ذكره الذهبي من أن أبا القاسم القشيري وجماعة من الأشاعرة دخلوا على السلطان طغرلبك يلتمسون رفع اللعنة

---

1 - السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 3 ، ص : 389 – 390 .
2 - ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 08 ، ص : 365 .
3 - اكتفى الذهبي بوصفه بالاعتزال ، و لم يذكر له صفة التشيع و الرفض و لا التشبيه ، الذهبي ، **السير** ، ج : 18 ، ص : 114 .
4 - هذا هو الأصل و قد نجد حالات في التاريخ يجتمع فيها الرفض و الإعتزال و التشبيه إلا أنه لا يُقاس عليها .
5 - ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ص : 273.
6 - ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 08 ، ص : 157 .

على الأشعري ، فأجابهم " الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة " [1] .

وهذا التفسير أقرب للقبول من سابقه – وإن كنا لا نقطع به - باعتبار أن مسألة الكلام الإلهي في معتقد الأشاعرة تشبه إلى حد ما رأي المعتزلة ، فكل من المعتزلة و الأشاعرة متفق في العموم على أن ما في المصحف ليس كلام الله على الحقيقة [2] .

ويبدو أن مسألة الكلام الإلهي من المسائل التي كان يفهمها من له أدنى ثقافة في ذلك العصر، بالنظر إلى أن مسألة الكلام الإلهي كانت قد أثارت زوبعة عقيدية و سياسية (محنة خلق القرآن) بقيت عالقة في أذهان المسلمين عبر تاريخهم ، لذا من الممكن أن يكون طغرلبك قد تحمس لهذه المسألة و رأى فيها نفخا في الرماد ، فسارع إلى قطع الطريق أمامها .

و أما الباحث المعاصر أبو الفتوح بدوي فقد انتهى به البحث إلى تفسير موقف الكندري تفسيرا سياسيا بحتا، منشؤه صراع بين الكندري و رئيس الشافعية بنيسابور أنذاك أبي سهل بن الموفق ، الذي وصفه السبكي في طبقاته بأنه كان (جوادا ذا أموال جزيلة ، وهبات هائلة... و كان عارفا بأصول الدين على مذهب الأشعري قائما في ذلك ، مناضلا في الذب عنه ، فعظم ذلك على الكندري بما في نفسه من المذهب ، و من ابن الموفق بخصوصه ، و خشيته من أن يثب على الوزارة ، فحسن للسلطان لعن المبتدعة فاتخذ الكندري ذلك ذريعة لذكر الأشعرية) [3] .

فالخصومة إذن بين الكندري و الأشعرية – حسب ذلك - خصومة سياسية سببها المنافسة بينه و بين معاصره الفقيه الشافعي الأشعري أبي سهل بن الموفق على الوزارة ، فسعى الكندري إلى التنديد بالشافعية و الأشعرية حتى ينال من خصمه عند

---

1 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3119 .

2 - يقول المعتزلة بخلق القرآن ، و يقول الأشاعرة بأن القرآن الكريم ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة ، وإنما هو كلام الله تعالى النفسي ، بلا حرف ولا صوت ، لا يُسمع وإنما يُسمع ما هو عبارة عنه ، انظر تحقيق ذلك و تفصيله في : **رسالة الإمام أبي نصر السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت** ، أبي نصر السجزي ، تحقيق محمد كريم عبد الله ، الطبعة 01 ، دار الراية ، 1404 هـ / 1984 م ، ص : 29 – 30 ، المقدسي ، **حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة** ، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، الطبعة 01 ، الرياض ، مكتبة الرشد، 1409 هـ / 1989 م . و سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، **منهج الأشاعرة في العقيدة** ، الطبعة 01 ، الكويت ، الدار السلفية ،1407 هـ / 1987 م ، ص : 27 – 28 – 29 .

3 - السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 03 ، ص : 390 – 391 .

السلطان [1] .

لكننا نميل إلى تعديل هذا الرأي باعتبار أن الباحث بالغ في إبراز و تقديم الجانب السياسي من الحادثة ، فكلام السبكي لا يقتصر على السبب السياسي فقط بل يوحي باشتراك السببين السياسي و المذهبي معا في قوله " عارفا بأصول الدين على مذهب الأشعري قائما في ذلك ، مناضلا في الذب عنه ، فعظم ذلك على الكندري بما في نفسه من المذهب " .

و عموما إن كان هذا السبب أو ذاك ، فقد نكل السلاجقة – في هذه الفترة بالأشاعرة أيما تـنكيل وأصدر طغرلبك قرارهُ بالقبض على زعماء الأشاعرة في خراسان ، و نفي بعضهم ، وسُجن أبو القاسم القشيري (تـ 465هـ / 1073م) و جماعة من أصحابه و مكثوا ما يقرب من الشهر إلى أن عاد أبو سهل بن الموفق الذي كان بعيدا عن نيسابور وقتها ، فجمع رجاله و أعوانه ، و هاجموا السجن و أخرجوا من فيه من الأشاعرة ، فأغضب هذا الأمر طغرلبك و أمر بالقبض على بن الموفق فقبض عليه و سجن و صودرت أمواله و ضياعه [2] .

وكانت هذه المحنة سببا في مغادرة كثير من أعلام المذهب الأشعري منطقة خرسان كأبي القاسم القشيري (تـ465هـ / 1073م) و إمام الحرمين الجويني (تـ478هـ /1085م) و غيرهما ، و كتب القشيري رسالة شرح فيها ما نال الأشعرية من البلاء و سماها : شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة [3] .

وبهذا صار الأشاعرة في المشرق الإسلامي نهاية القرن 4هـ /10م محل خلاف بين أهل العلم هل يجوز لعنهم أو الإكتفاء بمجرد تضليلهم ، و استفتي العلماء في المشرق و المغرب [4] ، و ينقل ابن تيمية صورة من ذلك فيقول : " ....ولهذا اهتم كثير من الملوك والعلماء بأمر الإسلام وجهاد أعدائه حتى صاروا يلعنون الرافضة والجهمية

---

1 - أبو الفتوح بدوي ، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى** ، دار الوفاء المنصورة، الطبعة 02 ، 1408ه / 1988م ، ص : 112 .

2 - السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 2 ، ص : 271 .

3 - ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج : 12 ، ص : 64 ، وانظر الرسالة كاملة في : **تبيين كذب المفتري** ، ص : 110.

4 - استفتى عن الأشعري في المغرب الإمام ابن رشد المالكي تـ 520 هـ/ 1126 م عن الأشعرية . انظر ص : 15 من هذا المبحث .

وغيرهم على المنابر حتى لعنوا كل طائفة رأوا فيها بدعة فلعنوا الكلابية والأشعرية " [1] .

و يتضح مما سبق ذكره أن المذهب الأشعري طيلة القرن 4هـ/10م و إلى منتصف القرن 5هـ ظل في مرحلة بين إضطهاد الكندري و السلاجقة و تضييق من أهل الحديث و العباسيين ، و لم يتغير حالهم إلا بعد تولي نظام الملك الطوسي وزارة السلاجقة عام : 457هـ / 1066م .

المبحث الثالث : دخول المذهب الأشعري للمغرب الإسلامي و انتشاره به (300هـ - 505 هـ / 912 م – 1111 م) :

يطيب لكثير من المؤرخين و الباحثين تقسيم الوجود الأشعري بالمغرب الإسلامي إلى مرحلة ما قبل بن تومرت (تـ 524هـ/1130 م) و مرحلة ما بعد بن تومرت ، فينصبون بن تومرت و دولته معلما في تأريخهم للمذهب الأشعري بالمغرب الإسلامي [2] .

و يقول المؤرخ بن خلدون (تـ808 هـ / 1406 م) حاكيا عن بن تومرت : " و انطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم و شهابا واريا من الدين ، و كان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة ، ...و ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي و الأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل و الأخذ برأيهم فيه و الإعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل و إقرار المتشابهات كما جاءت ، فبصر المهدي أهل المغرب في ذلك و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ

---

1 - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 4 ، ص : 15 - 16 - 17 - 18 .

2 - من المعاصرين الذين ذهبوا إلى ذلك: إبراهيم التهامي، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة** ، الجزائر ، دار الرسالة ، 1422هـ / 2002 م .ص : 308- 30- 351 . و عبد المجيد النجار ، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1413هـ / 1992 م ، ص : 33 ، محمود صبحي ، **في علم الكلام** ، ج :1 ، ص : 428 .

بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد[1] . و أكد ذلك المؤرخ المغربي الناصر السلاوي (تـ 1319 هـ/ 1901 م) في تأريخه لعقائد أهل المغرب [2] ، وقبله مؤرخ مصر أبي العباس المقريزي (تـ 845هـ / 1442م) عند تأريخه لانتشار عقائد أهل الإسلام منذ ابتداء الملة الإسلامية إلى انتشار الأشعرية [3] .

و بما أننا بصدد دراسة الحضور الأشعري في المغرب قبل القرن السادس هجري (300هـ - 505 هـ/ 912 م – 1110 م) ، فإن ما يهمنا هو المرحلة التي سبقت بن تومرت ، حيث كان أهل المغرب في مسائل الصفات على عقيدة السلف فأثبتوها من غير تشبيه و لا تمثيل و نزهوا من غير تأويل ولا تعطيل ، ومن خلال الإطلاع على إسهامات من حاول التأريخ للدخول الأشعري قبل بن تومرت نجده يُشير – و إن لم يصرح – بتقسيم هذه المرحلة ذاتها – أي مرحلة ما قبل بن تومرت - إلى مرحلتين : مرحلة ما قبل الإمام الباقلاني (تـ 403هـ/ 1013م) [4] و مرحلة ما بعد الباقلاني ، فقبل ظهور الإمام الباقلاني كإمام للمالكية حمل الفكر الأشعري إلى المغرب بعض الأسماء الذين عددتهم المصادر و المراجع ، بعضها لم يكن أشعريا بالمرة كابن أبي زيد القيرواني [5] ، وبعضها ذكرت بشيء من الشك و الريبة لكونها فقط رحلت إلى المشرق و التقت بأئمة الأشعرية أو أثنت على الإمام أبي الحسن الأشعري دونما دلائل واضحة تقطع

---

1 - ابن خلدون ، **تاريخ بن خلدون** ، بيروت ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،1401هـ/1981م ،ج : 6، ص : 300 .

2 - أبو العباس السلاوي الناصري ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا** ، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري الطبعة 01 ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ،1418هـ / 1997 م ، ج : 1 ، ص : 63 .

3 - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 163 .

4 - محمد بن جعفر البصري المالكي الأصولي المتكلم ، أخذ علم الكلام عن أبي عبد الله بن مجاهد الطائي صاحب الأشعري ،قال عنه ابن تيمية :أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده . توفي سنة 403هـ / 1012 م . و أنظر : ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج : 2 ص : 169 . و الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 246 . و ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 5 ، ص : 98 .

5 - فند ذلك الإمام بن رشد المالكي (تـ 520هـ / 1126 م) في فتوى خاصة سئل فيها عن أشعرية بن أبي زيد القيرواني ، أنظر : **فتاوى بن رشد** ، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1407هـ / 1987 ، ص : 1060 - 1061 ، وقال الذهبي في أول ترجمته " الإمام العلامة القدوة الفقيه ، عالم أهل المغرب ... حاز رئاسة الدين والدنيا" وقال في آخرها " وكان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول ، لا يدري الكلام ولا يتأول " الذهبي ، **السير** ، ج :17، ص : 10، و ذهب عبد المجيد النجار أن أشعرية القيرواني واضحة فيما لم يصلنا من كتبه (**فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** ص : 24) ، فكيف ذلك مادامت تلك الكتب لم تصلنا؟! .

بأشعر يتهم [1] .

و أعطى ظهور الباقلاني في المشرق – نهاية القرن 4هـ/ 10م- كحامل للواء الأشعرية دفعةً جديدة للتسرب الأشعري في المغرب ، و السبب في ذلك أنه بالإضافة إلى أشعريته و" تصدره للإمامة في طريقتهم " [2] فإنه كان من أعيان المذهب المالكي -مذهب المغاربة- بل " إليه انتهت رئاسة المالكيين في وقته " [3] ، و كان تأثيره في المغاربة كبيرا ، حيث أصبح الباقلاني محج طلبة المغرب يأخذون عنه المذهب المالكي و الطريقة الأشعرية معا ، وصار مرجعهم في المسائل و النوازل [4] .

ولم يكتف الباقلاني بمن يفد إليه من أهل المغرب [5] يلقنهم الأشعرية بل أرسل إلى إلى المغرب اثنين من أبرز تلامذته إلى المغرب هما أبو طاهر البغدادي [6] و الحسين حاتم حاتم الأذري ، قال ابن عساكر أن الباقلاني أرسله إلى المغرب تلبية لرغبة أهلها [7] .

و كان المغرب الأقصى أثناءها تحت إمرة المرابطين (448 هـ -542 هـ / 1056 م - 1147 م) الذين كانوا على معتقد السلف في الإيمان بآيات الصفات كما جاءت من غير تأويل مع تنزيهه تعالى عن التشبيه [8] فتكفلوا بتقريره و بسطه و الدفاع عنه ، على الرغم من ذلك واصلت الأشعرية تسربها إلى المغرب بشكل فردي ، مما حذا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي (تـ 500 هـ/ 1006م) لاستصدار فتوى من إمام

---

1 - منهم عبد الله بن إبراهيم الزبيدي الشهير بالقلانسي تـ 359هـ / 970 م ، و أبو الحسن القابسي تـ 403هـ / 1012 م ، أنظر يوسف احنانا ، **تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي** ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1424 هـ/ 2003 م ، ص : 51 .

2 - ابن خلدون ، **المقدمة** ، الطبعة 05 ، دار القلم ،1405 هـ / 1984 م ، ص : 429 .

3 - القاضي عياض ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، تحقيق أحمد بكير محمود طبع دار مكتبة الحياة بيروت ، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا ، ج : 04 ، ص : 429 .

4 - إبراهيم التهامي ، الأشعرية في المغرب ، **مجلة الموافقات** ، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، 1416هـ/جوان 1995 م ، مجلة صادرة عن المعهد الوطني لأصول الدين بالخروبة ، ص 29 و هي مطبوعة في كتاب بعنوان : **الأشعرية في المغرب دخولها ، رجالها ، تطورها ، و موقف الناس منها** ، الطبعة 01 ، دار قرطبة ، 1427هـ / 2006 م ص : 13 ،14 . و يُنظر أيضا : محمود صبحي ، **في علم الكلام** ، ج : 01 ، ص : 428 ، و عبد المجيد النجار ، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** ، ص : 25 ، 26 .

5 - من أشهر تلامذته المغاربة أبو عمران الفاسي تـ 430هـ / 1038 م ، انظر ترجمته عند : ابن فرحون اليعمري المالكي تـ 799 هـ / 1396 م ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج : 2 ، ص : 377 .

6 - وصفه ابن عساكر بأنه كان متقنا لعلم الكلام حتى قال عنه أبو عمران الفاسي تـ 430هـ / 1038 م " لو كان الكلام طيلسانا ما تطيلس به إلا أبو طاهر البغدادي " ، انظر : ابن عساكر ، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 121.

7 - نفس المصدر ، ص : 216 – 217 .

8 - الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ج : 1 ، ص : 246- 247 . الذهبي ، **السير** ، ج : 19 ، ص : 550 .

المغرب أنذاك بن رشد (الجد) القرطبي المالكي تـ 520هـ/ 1026م [1] عن الأشعرية و أئمتهم ، و كان بن رشد على مذهب مالك أصولا و فروعا ، لذا كانت فتواه صريحة واضحة في منع تعلم المعتقد الأشعري و تدريسه ، واعتباره مذهبا غامضا ،

بل أكد أن كل مُصرٍ على تعليم العامة من الناس المعتقد الأشعري يعتبر كافرا [2] .

و بعد وفاة يوسف بن تاشفين خلفه ابنه علي بن يوسف (500 – 557 هـ/1006م-1063م) ، وكان مثل أبيه وقافا عند إشارة الفقهاء وأهل العلم، قد رد جميع الأحكام إليهم [3] ، و هو ما لم يرق لبعض المؤرخين [4]، فلما أفتوه بإحراق كتاب الإحياء لإمام الأشاعرة الأشاعرة أبي حامد الغزالي (تـ 505هـ / 1111م) ، كتب إلى أهل مملكته في سائر الأمصار والأقطار بالبحث عن نسخ الإحياء بحثا أكيدا [5] ، فجُمع من نسخها عددا كثيرا ببلاد الأندلس، ووضعت بصحن جامع قرطبة، وصب عليها الزيت ثم أوقد عليها النار، وكذا فعل بما أُلفي من نسخ بمراكش، وتوالى الإحراق عليها في سائر بلاد المغرب في محفل كبير ، وقالوا " هذا كتاب إحياء علوم دينه وأما ديننا فإحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله " [6] ، و حجتهم في ذلك هي اشتماله على ضلالات عقيدية كلامية لا عهد لهم بها ، ، و أحاديث ضعيفة مكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ، و ما به

---

1 - وليّ مدينة قرطبة (قلعة المالكيين)، صار أكبر قضاتها أثناء حكم المرابطين ، فقد كان فقيها عالما ، حافظا للفقه ، مقدما فيه على جميع أهل عصره عارفا بالفتوى ، بصيرا بأقوال أئمة المالكية ، نافذا في علم الفرائض والأصول ، من تصانيفه كتاب " المقدمات " وكتاب " البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل " ، واختصار " مشكل الآثار " للطحاوي ، عاش سبعين سنة ، ومات في ذي القعدة سنة 520هـ / 1126 م . أُنظر : ابن أبي بكر = = القضاعي البلنسي ، **التكملة لكتاب الصلة** ، تحقيق : عبدالسلام الهراس ، بيروت ، دار الفكر ، 1415 هـ / 1995 م ، ج : 1، ص : 187 .

2 - و مع هذه الشدة و النكير الذي أبداه ابن رشد أُتجاه الأشاعرة.إلا أنه أنصفهم و اعتبر أئمتهم أئمة خير وهدى ، وممن يجب الاقتداء بهم ، لأنهم قاموا بنصرة الشريعة ، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة ،أُنظر الفتوى كاملة في : **فتاوى بن رشد** ، ص : 802 ، 803 ، 804 ، 805 .

3 - يقول المراكشي " اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء " ، عبد الواحد المراكشي ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين** ، تحقيق : محمد سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، الطبعة 01 ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، 1368 هـ / 1949 م ، ج01 : ، ص : 171 .

4 - تولى كبر هذا خاصة المستشرقين منهم اليهودي جولدتسيهر و الفرنسي ألفرد بل ، انظر : **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي** ، ترجمه عن الفرنسية : عبد الرحمان بدوي ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان ، دار الغرب الإسلامي 1389 هـ / 1969م ، ص : 240 إلى 246 ، وقولهم هذا جدير بالرد لأنه تحامل جلي ، فغاية ما في الأمر أن الوظائف كانت من نصيب رجال الشريعة ، و أي ضير أن تكون مقاليد الحكم في أيدي الفقهاء و هم أحق الناس بها و أولى إذ كانوا هم حملة الشريعة و هي قانون البلاد و دستورها المقدس .

5 - انظر نص رسالة أمير المسلمين كاملة - منقولة عن مخطوط - في كتاب الفيومي إبراهيم ، **تاريخ الفلسفة الإسلامية بالمغرب** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1412 هـ / 1992 م ، ص : 204 – 205 – 206 .

6 - ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج : 12 ، ص : 174 .

من دعوة إلى التصوف المثبط على الجهاد ،الداعــي إلى العزلـة و الإنزواء والخلوات والأذكار و الجوع والعطش والهيام في البراري والقفار، و التطلع إلى انكشاف الحجب و الأنوار [1] ، و في تفسير ثان فسر بعض الباحثين المعاصرين أن موقف المرابطين هذا " لا يعدو أن يكون موقفا سياسيا لأن المرابطين شعروا بأن خطرا ما يهدد دولتهم بالزوال إن انتشر هذا المذهب الجديد و تفشى في أوساط العامة " [2] ، و تفسير ثالث فسره أصحابه بعداء فقهاء المرابطين للغزالي نفسه بعد أن اتهمهم بالسخف و السطحية و الجهل بأصول الدين [3] ، و أورد بعضهم تفسيرا آخر يبدو ضعيفا و غير وارد وهو الإتجاه الفقهي الشافعي للكتاب المخالف لمالكية المرابطين [4] .

والصحيح على ما يبدو - أمام اختلاف تلك الآراء - هو ترجيح الرأي الأول ، ودليل ذلك أن فقهاء المرابطين كان لهم نفس الموقف مع كل كتب الفلسفة و علم الكلام أو التي كانت على شاكلة الإحياء والتي عمدوا إلى إهانتها [5] ، و هو ما يُفنّد رأي من قال بتخوفهم من ضياع ملكهم ، كما أن الفقهاء المرابطين في فتواهم لم يعتبروا موالاة الغزالي لدولتهم ، و لا نظروا إلى المودة التي كانت بين الغزالي و يوسف بن تاشفين و المراسلات الني كانت بينهما و ثناء الغزالي عليه حتى ركب البحر لزيارته فبلغه موته فرجع [6] ، فتركوا المجاملة والعاطفة ، و كان حكمهم على الكتاب نابع مما حمله من تأويلات كلامية و أثار نبوية ضعيفة و أفكار صوفية .

---

1 - أُنظر : فتوى أبي عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي المالكي تـ 521هـ / 1128 م ، في : **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب** ،: لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للملكة المغربيـة ، 1401 هـ / 1981م ،ج : 12، ص : 186-187 . و الذهبي ، **السير** ، ج : 19، ص : 327 ، و ج : 20 ، ص : 124 منه . و أُنظر محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، **العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات القسم الخامس : الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين بأمر خليفة المسلمين ابن تاشفين** - دار المنار - الرياض - الطبعة الأولى - 1414 هـ / 1994 م ، ص : 12 .

2 - يوسف احنانا ، **تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي** ، ص : 73 - 74 ، و يضيف قائلا : و فعلا ستأتي الأيام بما كان يتخوف منه المرابطون فقد حمله خصومهم التاريخيين " الموحدون " شعارا إيديولوجيا لدولتهم ، وصار اعتناق هذا المذهب ضربا من ضروب المعارضة السياسية لدولة المرابطين.

3 - محمدعبد الله عنان ، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1411هـ/ 1990م ، ص : 160 – 162 ، و ألفرد بل ، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ص : 245 .

4 - حسن إبراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي** ، الجزء 4 ، الطبعة 13 ، بيروت ، دار الجيل ، 1411هـ /19991م ، ص : 432 .

5 - الذهبي ، **السير**، ج : 20 ، ص : 124.

6 - ابن خلدون ، **تاريخ بن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 242 . و السلاوي ، **الإستقصا** ، ج : 1 ، ص : 55 - 58 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3539 .

ولنا أن نستنبط من سياق هذه الحادثة أمرين ، أولهما ما سبق الحديث عنه من نفوذ الفقهاء في بلاط السلطة المرابطية وهو ما يعكس بدوره التوجه الديني لهذه الدولة الإسلامية ، و الأمر الثاني قوة المذهب المالكي في المغرب الإسلامي ليس في الفروع فقط بل أصولا و فروعا، فهو أصل اعتقاد المغاربة .

و في الأخير إذا قوّمنا الحضور الأشعري بالمغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة فإننا سنحكم قطعا بأنه حضور فردي متواضع بل ضعيف ، بالإضافة إلى أنه تسرب متقنعا متخفيا متسترا غير سافر، إذ لم يكن في أغلبه إلا تأثرا متفاوت النسبة ببعض ما ذهب إليه الأشعري و أتباعه ، و لم يتعد القبول و التلقي إلى الإسهام في تطوير و إثراء المذهب أو الانتصار له ، و تأجل ذلك إلى غاية قيام دولة بن تومرت .

و ختاما لهذا التمهيد تبين لنا أن ظهور المذهب الأشعري في منتصف القرن 4هـ/10م كان إحياءً و تجديداً لأفكار عبد الله بن كلاب (تـ241هـ/855 م) لاتفاقهما في أكثر الأصول العقيدية ، و قد توفر للمذهب الأشعري خلال القرن 4هـ/10م و منتصف القرن 5هـ / 11م – بخلاف المذهبين الكلابي و الماتريدي - جملة من العوامل و الظروف المساعدة جعلته أكثر شيوعا وانتشارا من المذهب الكلابي و المذهب الماتريدي ، إلا أنه كان انتشارا بطيئا و محدودا بالنسبة إلى باقي المذاهب الأخرى ، فلم تحظ أفكار الأشعري بأي تأييد سياسي و لا انتصار سلطوي حينها ، بل لقي المذهب الأشعري تضييقا سياسيا من الخلافة العباسية و أهل الحديث منذ ظهور المذهب في المشرق ، خاصة في فترة الخليفة العباسي القادر بالله (393 - 422 هـ / 991- 1031م) ، ثم تطورت المضايقة إلى اضطهاد سياسي في فترة وزارة عميد الملك الكندري (447- 457هـ/ 105- 1066 م) للسلاجقة ، فقُرنَت الأشعرية بالمعتزلة و الرافضة و لُعنت على المنابر في خرسان و نيسابور .

و في الغرب الإسلامي تبيّن لنا أن أهل المغرب قبل تسرُب المذهب الأشعري (بداية القرن 6هـ/ 12م) كانوا مالكيين أصولا و فروعا على معتقد أهل الحديث في الإيمان بآيات الصفات دون التعرض لها بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر ،مُنافرين بذلك تأويلات

الفلسفة و علم الكلام ، وكان هذا الحال الغالب على الحاكم و المحكوم ، و هو ما عكسته لنا حادثة إحراق كتاب الإحياء للغزالي .

و نتيجة لذلك كان الحضور الأشعري قبل القرن 5هـ / 11م في الغرب الإسلامي فرديا ضعيفا ، لنفور المغاربة عن علم الكلام و عدائهم له من جهة ، و من جهة أخرى للموقف المتصلب للسلطة المرابطية المناهضة لأي فكر يخالف سلفيتها .



- الفصل الثانـي : الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية في المشرق الإسلامي و مغربه - (465هـ - 589 هـ / 1073 م – 1193 م) :

➢ **المبحث الأول : مظاهر الدعم السياسي السلجوقي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية بالعراق و بلاد فارس (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092 م) .**

❖ الفصل الأول : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية في المشرق الإسلامي و مغربه (465هـ - 589 هـ / 1073 م - 1193 م) .

عرفنا - فيما سبق - أنه توفر للمذهب الأشعري قبل القرن 5 هـ/11 م جملة من الظروف ساهمت في توسعه و انتشاره ، لكنه كان انتشارا بطيئا و محدودا ، فلم تتبن المذهب أي جهة رسمية و لم تنتصر له أي دولة أو سلطة قبل القرن 5هـ/11 م ، بل لقي اضطهادا سياسيا في المشرق و المغرب [1] ، إلا أن الوضع تغير خلال القرن 5هـ/11م و ما بعده ، إذ حظي المذهب بتأييد دول بكاملها و احتضنه

---

[1] - أنظر التمهيد ، ص : 3 و ما بعدها و ص : 8 و ما بعدها .

سلاطين و انتصر له وزراء ، و سنحاول تتبع هذه المواقف السياسية و تقييم دورها في انتشار المذهب الأشعري .

المبحث الأول : مظاهر الدعم السياسي السلجوقي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية بالعراق و بلاد فارس (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092 م) :

كان من سمات الحركة المذهبية في الحقبة الوسيطة من التاريخ الإسلامي مشاركة الساسة في الحياة المذهبية و الفكرية و الإسهام فيها سلبا و إيجابا ، و مرد ذلك إلى قيام أغلب الدول الإسلامية في تلك الفترة على أساس ديني مذهبي ، و تمذهب الساسة من وزراء و ملوك بأحد المذاهب أصولا و فروعا و إظهار ذلك و التحمس له ، و لكون الحركة الفكرية و ما ينجر عنها من مواقف و نزاعات كانت تمس سياسة الدولة و أمنها و نـظمها ، فكان تدخلهم في الحركة المذهبية من تلك الأبواب .

و كمثال على ذلك ما سبق الحديث عنه من موقف السلاجقة الناقم على المذهب الأشعري خلال وزارة العميد الكندري (تـ 457 هـ/ 1073 م) ، و عرفنا كيف نكّل بأنصار المذهب الأشعري وزج بهم في السجون ونفى بعضهم .

و بمقتل الوزير الكندري سنة 457 هـ /1073 م استوزر السلطان السلجوقي ملكشاه (تـ 485هـ / 1092م) بدلا منه نظام الملك الطوسي [1] ، و بذلك تغيّر موقف السلطة السلجوقية من المذهب الأشعري تماما ، فانقلب من الرفض المطلق إلى التأييد المطلق ، واتّضحت جليا مظاهر هذا الإنقلاب في الدولة السلجوقية ، حتى سُمي هذا العهد عند ابن الأثير (تـ 630 هـ / 1233 م) و غيره من المؤرخين بالعهد النظامي أو الدولة

---

1 - الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي ، من أشهر وزراء التاريخ الإسلامي ، وأشهر وزراء الدولة السلجوقية ، عينه السلطان ألب أرسلان وزيرًا له ، وكان وزيره أثناء إمارته على خراسان قبل توليه السلطنة ، و عقب وفاته استوزر لابنه ملكشاه ، فأقره ملكشاه على الوزارة و زاد على ذلك بأن فوض إليه تدبير المملكة، ولقبه ألقابًا كثيرة، أشهرها لقب " أتابك " ، ومعناه الأمير الوالد، وكان نظام الملك أول مَن أُطلق عليه هذا اللقب ، اغتالته أيدي الباطنية في (10 من رمضان سنة 485هـ / 14 أكتوبر سنة 1092م) و كانت ولادته يوم الجمعة 11 ذي القعدة 408هـ / السبت 10مارس 1018 م ، انظر عنه مثلا : السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 04 ، ص : 309 . و الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ،ج : 19 ، ص : 94 .

النظامية [1] ، نسبة لهذا الوزير و تمييزا لهذا العهد عن سابقه .

فقد كان نظام الملك أشعريا ً شافعياً بإجماع كل المصادر و المراجع التي ترجمت له أو تحدثت عن وزارته [2] ، فقد برزت أشعريته في سيرته بجلاء ، فأوَّل ما أقدم عليه و هو يتولى الوزارة أن أبطل ما كان عليه سابقه عميد الملك الكندري وسلطانه طغرل (تـ455هـ / 1063 م) من سبٍ للأشعرية ، و أعاد من انتزح منهم ، و أسقط لعنهم من على المنابر و قصر ذلك على الرافضة [3] ، و ذكر شيخ الإسلام بن تيميـة (تـ 728هـ /1328 هـ) أن ذلك كان بسعيٍ من أئمة المذهب الأشعري لما عرفوا من أشعريته ، و أفتوه بعدم جواز لعن الأشعرية و وجوب تعزير من يفعل ذلك [4] .

و عند المؤرخ البغدادي عبد الرحمان بن الجوزي (تـ 597 هـ / 1201 م) أن الأمر لم يتوقف عند المنع من لعنهم على المنابر ، بل تجاوز ذلك إلى الإنتصار لهم و التعصب لهم حين " لبى الوزير طلبهم و رفع من شأن مذهبهم و أيدهم على خصومهم من الحنابلة وأهل الحديث ، فتغير حال الأشعرية وعظـُم أمرهم و اعتنقها معظم الشافعية " [5] .

وأكد الحافظ شمس الدين الذهبي (تـ 748 هـ / 1347 م) ذلك عندما قال بأن : " الوزير انتصر لأهل مذهبه وأكرم إمام الحرمين و أبا القاسم القيشري " [6] ، و هما من أعلام المذهب الأشعري و أئمته .

في حين اعتبر الحافظ ابن عساكر الدمشقي (تـ 571هـ / 1176 م) أحد أئمة المذهب الأشعري ما قام به نظام الملك تداركا لما سلف في حقهم من الإمتحـان ، و اعتبر عهدة الوزير نظام الملك عهدة عز وصلاح " استقام في وزارته الدين بعد اعوجاجه ، وصفا عيش أهل السنة بعد تكدره " [7] .

و تشير بعض النصوص التاريخية إلى أن انتصار الوزير للمذهب الأشعري لم يقف

---

1 - أنـظر مثلا : ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 8 ، ص : 365 . و ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 9 ، ص : 93 و213 . و الصفدي ، **الوافي في الوفيات** ، ص : 615 .

[2] - أنظر مثلا : **موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أبو الحسن الأشعري** ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة 01 ، 1418هـ / 1998م ،، ج : 3 ص : 793 .

3 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3118 . و أنظر : ابن العماد ، **شذرات الذهب** ،ج :3 ،ص : 295.

4 - ابن تيمية ، **نقض المنطق** ، ص :14 و 15 . و **مجموع الفتاوى** ، ج :4 ، ص : 15 .

5 - أنظر : ابن الجوزي ، المصـدر السـابـق ، ج :6 ، ص : 332 و 359 .

2 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3174 . و ابن العماد ، المصـدر السـابـق ، ج : 3 ، ص : 295.

3 – ابن عساكر ، **تبيين كذب المفتري** ، ص : 109 .

عند حدود التشجيع الأدبي والعلاقة الودية والكلمة الطيبة ، ولكنه تجاوز هذا – على أهميته – إلى البذل والعطاء ، والمنح بسخاء ، إلى درجة أغرت كثيرا ً من أصحاب المذاهب ، فانسلخوا من مذهبهم و توثقوا بمذهب الأشعري والشافعي طمعاً في العز والجرايات ، و وُجدت هذه الظاهرة حتى بين أتباع المذهب الحنبلي أبعد المذاهب عن المذهب الأشعري [1] ، و هو ما يُفهم من كلام أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي البغدادي (ت513هـ/1120 م) حيث نقل عنه أبو الفرج بن الجوزي حسرته و تأسفه بقوله – أي ابن عقيل - : " إن أكثر أعمال الناس لا يقع إلا للناس إلا من عصم الله " [2] ، أي أن معظم الناس لا يبتغون بأعمالهم وجه الله ، وإنما يحاولون التقرب بها إلى ذوي النفوذ والجاه طمعاً في متاع الدنيا، و يضيف قائلا " ثم جاءت دولة النظام فعظُمَ الأشعرية ... فرأيتُ من كان يتسخط على بنفي التشبيه غلواً في مذهب أحمد وكان يظهر بغضي يعود علي بالغمض على الحنابلة ... ورأيتُ كثيرا من أصحاب المذاهب انتقلوا ونافقوا وتوثق بمذهب الأشعري والشافعي طمعا في العز و الجرايات " [3] .

و قد يُمتحن أمام الوزير من عُرف عنه مخالفة معتقد الأشاعرة لإحراجه ، كما نلمسه من خلال واقعة نقلها الحافظ ابن قيم الجوزية (تـ 752 هـ / 1350 م) حدثت لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي (تـ 481هـ /1088 م) [4] الذي أُشتهر بشدته على الأشاعرة ، دخل على الوزير نظام الملك فأكرمه وبجّله لعظيم شأنه ، و كان

---

[1] - المؤكد أن الطائفة الحنبلية كانت أكثر الطوائف السنية انسجاما و تمسكا بمعتقد السلف و توثـقاً به ، بخلاف باقي الطوائف السنية التي عرفت تحولا كبيرا إلى المذهب الأشعري خلال القرنين 5 و6 الهجريين . أُنظر تفصيل ذلك : خالد كبيرعلال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 59 و ما بعدها ، و ص : 73 و ما بعدها .

[5] - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 93 .

3 - نفس المصدر ، ج : 9 ، ص :93- 94 ، و سنورد أمثلة أخرى كثيرة حول هذه الظاهرة (الإنقلاب المذهبي) عند الحديث في فصل لاحق عن مدارس نظام الملك (النظاميات) و التي وُجد من أبدل مذهبه في سبيل أن يتولى وظيفة التدريس فيها .

4 - الحافظ الهروي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن مت ، الملقب بشيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي من ولد الصحابي أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، من تصانيفه كتاب الفاروق في الصفات وكتاب ذم الكلام وكتاب الأربعين حديثاً ومناقب أحمد بن حنبل و منازل السائرين و قصيدة في مذهبه ، قال عنه بن تيمية كان " يبالغ فى ذم الأشعرية مع أنهم من أقرب هذه الطوائف إلى السنة و ربما كان يلعنهم " ، وقال عنه السيوطي في طبقات المفسرين " كان شديدا على أهل البدع قائما بنصر السنة والدين من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا غيره وقد تعرضوا بسبب ذلك إلى إهلاكه مرارا فكفاه الله شرهم " ، توفي في ذي الحجة سنة 481هـ/1088 م . أُنظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 2493 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 45 . و السيوطي ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق : علي محمد عمر ، طبعة 01 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1396 هـ / 1976 م ، ج : 1 ، ص : 46 .

نظام الملك يعرف للعلماء قدرهم ، و اتفق بعض الأشاعرة في مجلس نظام الملك أن يسألوه بين يدي الوزير عن رأيه في الإمام أبي الحسن الأشعري و معتقده ، فإما أن يجيب بما يجيب به عادة بمدينة هراة فيسقط من عين الوزير ، و إما أن يتميع و يجامل الوزير فيسقط من عين أصحابه وأهل مذهبه ، فلنتدب أحدهم فقال يأذن الشيخ الإمام في أن أسأل مسألة فقال : سل ، فقال : لِمَ تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ فسكت وأطرق الوزير لما علم من جوابه فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه ، فقال : لا ألعن الأشعري وإنما ألعن من لم يعتقد أن الله في السماء وأن القرآن في المصحف وأن النبي اليوم نبي ثم قام وانصرف فلم يكن أحد أن يتكلم بكلمة من هيبته وصولته وصلابته [1] .

و ينقل لنا ابن الجوزي من أحداث سنة 484 هـ/ 1091 م – مرة أخرى – من خط أبي الوفاء بن عقيل ما نتلمس منه حرص نظام الملك على سيادة المعتقد الأشعري في دولته ، فقال – أي ابن عقيل - أن نظام الملك همّ في هذه السنة - سنة 484هـ / 1091 م - باستدعائه و جماعة من أصحابه ليسألهم عن معتقدهم ، و قد بلغه أنهم حنابلة مجسّمة ، فأخذ ابن عقيل يسوغ كلاما يقابل به الوزير و حاشيته ، و مما قاله : " ينبغي لهؤلاء الجماعة يسألون عن صاحبنا - أحمد بن حنبل- فإذا أجمعوا على حفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّموا أنه كان ثقة فالشريعة ليست بأكثر من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم و أفعاله إلا ما كان للرأي فيه مدخل من الحوادث الفقهية فنحن على مذهب ذلك الرجل الذي أجمعوا على تعديله كما أنهم على مذهب قوم اجمعنا على سلامتهم من البدعة فان وافقوا أننا على مذهبه فقد أجمعوا على سلامتنا معه لان متبع السليم سليم ، وإن أُدعِيَ علينا أنا تركنا مذهبه و تمذهبنا بما يخالف الفقهاء فليذكروا ... و إن قالوا أحمد ما شبّه و أنتم شبهتم قلنا : الشافعي لم يكن أشعريا و أنتم أشعرية فان كان مكذوبا عليكم فقد كُذب علينا ، ونحن نفزع في التأويل مع نفي التشبيه فلا يعاب علينا إلا ترك الخوض والبحث وليس بطريقة السلف ثم ما يريد الطاعنون علينا ونحن لا نزاحمهم على طلب الدنيا

---

1 - ابن قيم الجوزية، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1404هـ / 1984م ، ج : 1، ص :111.

. [1]

و أهم ما يعكس حرص و تفانى الوزير نظام الملك في الانتصار للأشاعرة - زيادة على ما ذُكر من إكرامهم و رد الاعتبار إليهم و التصدي لمن خالفهم - ما شيده لهم الوزير من المدارس في حواضر دولته ، و التي عُرفت هذه المدارس بالنظاميات نسبة إلى الوزير نظام الملك .

و كان لهذه المدارس الدور البارز و الهام في الإنتصار للمذهب الأشعري في مختلف أمصار العالم الإسلامي فضلا عن الأماكن التي وُجدت بها ، لأنها عُنيت بتكوين القضاة و الخطباء على الفقه الشافعي فروعا و العقيدة الأشعرية أصول [2] .

و هنا لنا أن نطرح تساؤلا حول موقف السلاطين السلاجقة من انتصار وزيرهما للمذهب الأشعري و الشافعي في دولتهم ، و المعلوم لدينا أن السلاجقة كانوا ماتريدية أحناف [3] ، و لم نجد أن السلطانين ألب أرسلان و ملكشاه عارضا وزيريهما نظام الملك في عمله الهادف إلى نشر و ترسيخ المعتقد الأشعري و المذهب الشافعي .

و إجابة على ذلك نورد احتمالين ، أحدهما : ما شيّده الوزير من مدارس في دولتهم خدمة لها ، و إن مكّنت لمذهب مخالف لمذهبهم إلا أنها في النهاية قد خدمت دولتهم بمحاربتها للفكر الشيعي ، و بما خرجته من موظفين أكفاء لإدارة الضرائب و الدخل و الخراج و رعاية الفقه و القوانين ممن رسخت أقدامهم في ذلك ، و ربما كان من أسباب تغاضيها- كاحتمال ثانٍ - ما أظهره هذا الوزير من مقدرة سياسية وكفاءة نادرة في تدبير شؤون الدولة و تسيير نظامها ، فلم يشأ كل منهما أن يدخل في صدام معه لحاجة كل منهما إليه ، يؤكد ذلك ما ذُكر على لسان نظام الملك من أن السلطان ألب أرسلان كان حنفيا متعصبا لا يحب الشافعية أبدا ، و كان يأسف لاحتياجه إلى وزير شافعي [4] .

---

1 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 58.

[2] - بدوي عبد المجيد أبو الفتوح ، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي** ، ص : 184 .

[3] - فقد كانت نشأتهم في ما وراء النهر أين كان المذهب الماتريدي أصولا و الحنفي فروعا ، ولا شك أنهم تأثروا بالحركة الفكرية السائدة في هذه المنطقة و لو تأثرا بالتقليد دون إعمال للفكر و النظر ، أُنظر : حسين أمين ، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**، ص :221 . و أبو الفتوح بدوي ، المرجع السابق ، ص : 108 .

4 - أبو الفتوح ، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني** ، ص : 115 . و ذكر ابن الأثير أن السلطان ملكشاه كان لا يستطيع مخالفة أوامر نظام الملك لكثرة مماليكه ومحبة الأمراء والعساكر له .ابن الأثير ، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة : دار الكتب الحديثة؛ بغداد: مكتبة المثنى، 1382هـ / 1963م ، ص : 10 .

وفى عهد السلطان ملكشاه (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092 م) الذي وزر له نظام الملك بلغ السلاجقة أقصى عظمته م وذروة مجدهم ، و كانت لهم السلطة الفعلية في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية بعد نجاحهم في إنقاذ الخلافة العباسية من سلطة البويهيين الشيعة ، فقد نقل المؤرخ أبو شامة (تـ 465 هـ/ 1073 م) بأنه ما إن ملك السلاجقة حتى " جددوا من هيبة الخلافة ما كان قد درس لاسيما في وزارة نظام الملك ، فإنه أعاد الناموس والهيبة إلى أحسن حالاتها "[1] ، و كان الخلفاء العباسيون يُعظمون السلاطين السلاجقة و يحترمونهم و يطيعونهم و يأتمرون بأمرهم ، فلم تلق سياسة نظام الملك - التي طبعها الإنتصار للأشاعرة و امتدت إلى بغداد – أي معارضة هناك ، يؤكد لنا ذلك المواقف المتحيزة لسلطة بغداد من الفتن التي وقعت بين الأشاعرة الحنابلة في بغداد كفتنة ابن القشيري (تـ 541هـ/ 1147 م) سنة 469هـ / 1077 م و فتنة أبي القاسم البكري (تـ 476 هـ / 1084 م) سنة 475هـ / 1083 م[2] ، حيث سجل الأشاعرة أثناء هذه الفتنة أول انتصار لهم على الحنابلة بقوة السلطة ، و تراجع نفوذ الحنابلة في الدولة ، بالنسبة لما كان عليه منذ أيام الخليفتين القادر بالله (تـ422 هـ / 1031 م) و ابنه القائم بأمر الله (تـ467هـ / 1075 م) ، و في المقابل تقوت شوكة الأشاعرة[3] .

و يتضح مما سبق أثر التدخل السياسي في انتشار المذاهب و تراجعها ، فقد كان تولي نظام الملك الطوسي وزارة السلاجقة سنة 465هـ/1073 م منعرجا حاسما و معلما فاصلا في تاريخ المذهب الأشعري ، فبالرغم من اجتماع جملة من العوامل التي ساعدت المذهب الأشعري على الانتشار قبل ذلك ، إلا أنها لم تقدم شيئا حتى جاءت وزارة نظام الملك ، فحظي المذهب الأشعري بانتصار سياسي كبير في العراق و بلاد فارس أسهم في توسعه و سرعة انتشاره ، و يصدُق لنا ما قرره القاضي الماوردي (تـ 450 هـ /

---

3 - حتى عُرف بعصر السلاجقة في التاريخ العباسي ، إذ اكتفى خلفاء بني العباس باسم الخلافة منذ أن منح الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة 435هـ / 1044 م الخلع السلطانية للسلطان السلجوقي لطغرلبك ، و أصبح الجيش === === السلجوقي هو جيش الخلافة ، ونُقشت ألقاب السلاطين السلاجقة على السكة وكُتبت في المخاطبات . أُنظر : ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 113 و ص : 182 ،الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3121 ، و عن مظاهر السيطرة السلجوقية على الخلافة انظر : محمد علي الصلابي ، **دولة السلاجقة** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، مؤسسة اقرأ ، 1427هـ / 2006م ، ص : 171 و 178 .

[1] - أُنظر تفصيل ذلك في المبحث الأول من الفصل الثالث.

3 - خالد كبيرعلال ، صفحات من تاريخ ، **صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة ببغداد (200- 500 هـ / 815 – 1106م)** ، دار هومة ، بوزريعة ، ص : 130 -131 .

1058م) حين قال بأنه ما من دين زال سلطانه إلاّ بـُدلت أحكامه وطـُمست أعلامه وكان لكل زعيم فيه بدعة ، كما إن السلطان إن لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى أهل الطاعة فيه فرضاً و التناصر له حتماً [1]

المبحث الثاني : مظاهر الدعم السياسي الموحدي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية بالمغرب الإسلامي (505هـ - 524 هـ / 1112 م – 1130 م) .

يُجمع أكثر من أرخ للوجود الأشعري بالمغرب الإسلامي على التمييز بين مرحلتين ، مرحلة الحضور الفردي البطيء للمذهب ، وتبدأ بظهوره في المشرق خلال القرن 4هـ / 10م إلى مطلع القرن 6هـ / 12م ، لتبدأ بعدها المرحلة الثانية و هي مرحلة التغلغل و الترسيم [2] ، و الفاصل بين هذه المرحلة و تلك هو ظهور شخصية سياسية دينية مغربية هي شخصية محمد بن تومرت [3] .

---

[1] - المـاوردي ، **أدب الدين والدنيا** ، الطبعة 01 ، دار الفكر ، 1424 هـ / 2000 م ، ص : 115، نظام الملك ، **سياست نامه (أو سير الملوك)** ، تحقيق : يوسف حسين بكار، دار الثقافة ، قطر ، الطبعة 02 ، 1407هـ / 1987 م . ص : 85.

[2] - أنظر مثلا : ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 300 . و - السلاوي ، **الاستقصا** ، ج : 1 ، ص : 63 . و إبراهيم التهامي ، **الأشعرية في المغرب** ، ص : 5 ، 6 ، 7 ، 8 . و عبد المجيد النجار ، **فصول في الفكر الإسلامي في المغرب** ، ص : 30 ، 31 .

[3] - محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الهرغي المصمودي ، ولد سنة 484 أو 485هـ / 1092 م ، نشأ في بيتٍ نسك ورباط، ثم قصد المشرق للإستزادة من العلم ، وفي مسيرته العلمية تتلمذ على أيدي شيوخ كبار أمثال القاضي عياض المالكي (تـ 544 هـ / 1149 م) الذي قرأ عليه في قرطبة ، و الإمام المازري (تـ 536 هـ / 1141 م) الذي أخذ عنه في المهدية قبل أن ينتقل إلى بغداد ليلتقي بكوكبة أخرى من الفقهاء أمثال أبي حامد الغزالي (تـ 505هـ / 1112 م) و الكيا الهراسي (تـ 567 هـ / 1172 م) وأبي بكر الطرطوشي (تـ 521 هـ / 1127 م) و أبي بكر الشاشي (تـ 528هـ / 1134 م) الذي أخذ عليه شيئا من الأصول ، و في المشرق سكن النظامية ببغداد أين التقى بأئمة الأشعرية و كبار علمائها وفحول نظاره ا ، واشتغل بالعلم وتبحر في علم الكلام . و عاد إلى المغرب لينشر العلم الذي جاء به من المشرق ، و أفنى عمره في سبيل ذلك حتى توفي في شهر رمضان عام 524 هـ / 1130 م . أُنظر : ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج : 5 ، ص : 46 . و الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 482 . المراكشي، **المعجب** ، ص : 178. القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،** تحقيق : د.يوسف علي طويل، دمشق ، الطبعة 01 ، دار الفكر ،1408هـ / 1987، ج : 5 ، ص : 132 . ابن خلدون ، **تاريخ بن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 300 . ابن كثير ،

عاد بن تومرت سنة 505 هـ / 1112 م من رحلته العلمية في المشرق بأشعرية لا كأشعرية الغزالي و الشاشي ولا كأشعرية المشارقة ، بل مجموعة آراء منتقاة من مذاهب إسلامية مختلفة و متناقضة أحيانا ، فتجد بينها آراء أشعرية ، إعتزالية [1] ، و بجانبها أفكار شيعية [2] وخارجية [3] و حتى باطنية [4] .

لكن يبقى أهم ما طبع معتقد بن تومرت هو الصبغة الأشعرية في التوحيد [5] ، لحمله – أي بن تومرت - الآيات و الأحاديث التي يُظن أنها تُوهم التشبيه على التنزيه المطلق [6] ، و من جهة أخرى لاعتباره من فتح الباب عُنوة في بلاد المغرب لدخول التأويل الكلامي [7] ، و ما كان قبله إنما هو من قبيل المحاولات الأولى [8] .

و عموما عاد بن تومرت بأشعريته إلى المغرب ، وهو يمتلك نظرةً و يحمل قناعةً بأن الإسلام في المغرب لم يُفهم كما ينبغي ، ورأى أن السلطة المرابطية التي تُمسك

المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 186 ، الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ص : 246 ،247 . و مؤلف مجهول (منسوب في هذه الطبعة لابن الخطيب) ، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية** ، قدم له السيد البشير الفورتي ، تونس ، 1329 هـ / 1911 م ، مطبعة التقدم الإسلامية ، ص : 76 - 77 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 06 ، ص : 219 ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، === === الرباط ، صور للطباعة و الوراقة بالرباط ، 1392هـ / 1972 م ، ص : 172. و عبدالمجيد النجار ، **تجربة الإصلاح في حركة بن تومرت** ، الطبعة 02 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1415هـ/1995م ، ص : 59.

[1] - تحدث بن تيمية عن ذلك في بعض كتبه أنظر : **درء التعارض** ، ج : 2 ، ص : 174 . و **شرح العقيدة الأصفهانية** ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، الطبعة 01 ، الرياض ، مكتبة الرشد ، 1415هـ / 1994 م ، ج : 1 ، ص : 41 . و **بيان تلبيس الجهمية** ، ج : 1 ، ص : 470 ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 6 ، ص : 617 .

[2] - ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 300 .

[3] - قال ابن الخطيب في **رقم الحلل في نظم الدول** ، (المطبعة العمومية بتونس ، 1316هـ / 1898 م) " له باع في علم الكلام ، و غلبت عليه نزعة خارجية " ، ،و قد ترجم معتقد الخروج عمليا ، و قيل أنها فرية رماه بها فقهاء المرابطين و لم يكن يحمل أفكارهم ، عز الدين عمر موسى ، **الموحدون في المغرب الإسلامي ، تنظيماتهم و نظمهم** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1411 هـ /1991 م ، ص : 81 – 82 .

[4] - يعكس تأثر بن تومرت بالفرق الباطنية بالمشرق في اعتماده على كتاب الجفر المكذوب ، و المعلوم أن الباطنية تهتم اهتماماً كبيراً بهذه الطلاسم و الخزعبلات. أنظر : السلاوي ، المصدر السابق ، ج : 01 ، ص : 81. و بن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص : 180 . و ابن تيمية ، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية** ، تحقيق موسى سليمان الدويش ، الطبعة 01 ، مكتبة العلوم والحكم ، 1408 ، ص : 321 .

[5] - أنظر : الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3636 . محمود صبحي ، **في علم الكلام** ، ص : 671 . وعبد الله كنون ، **النبوغ المغربي** ، ص : 102 .

[6] - عبد المجيد النجار ، **المهدي بن تومرت : حياته أراؤه و ثورته الفكرية و الإجتماعية و أثره بالمغرب** ، دار الغرب الإسلامي ، 1403هـ/ 1983م ، ص : 430 .

7 - الصلابي ، **الدولة الموحدية** ، الأردن ، الطبعة 01 ، دار البيارق ، 1419 هـ / 1998م ، ص : 47 .و اعتبر سلطة بن تومرت السبب في انحسار مذهب أهل السنة ، وفشوا مذاهب المتكلمين.

[8] - عبد الله كنون ، **النبوغ المغربي** ، ص : 121 . و يؤكد ما ذهبنا إليه أنه لم يبق من الأفكار التي جاء بها بن تومرت إلا أشعريته ، في حين زالت باقي أفكاره الأخرى التي يبدو أنه وظّفها فقط لخدمة مشروعه .

زمام السلطة في المغرب قد أغرقت أهله في التجسيم و الضلال ، كما رأى أنه من الضروري أن يُحدث انقلابا في الوضع ، و أن لا يدخر جهدا في سبيل ذلك [1] .

و سنميز في جهود بن تومرت السياسية لإقرار المذهب الأشعري جانبين أو أسلوبين ، أحدهما أسلوب غير مباشر و هو أسلوب الخداع و المراوغة و انتحال الكرامات واستمالة العامة و الأتباع ، و الأسلوب المباشر المتمثل في أسلوب القوة و العنف الذي اعتمده بن تومرت لإبادة الدولة المرابطية بصفتها العائق الأكبر الذي يحول دون استقرار المذهب الأشعري [2] ، و نورد ما توفر لدينا من آثار تصوّر لنا بعض ضخامة و جسامة تلك المجهودات السياسية التي قام بها ابن تومرت و أصحابه ، لأن حركتهم كانت حركة سياسية مذهبيـة .

فقد انتحل ابن تومرت - منذ نزوله بطرابلس مرورا بالمهدية و قسنطينة و بجاية وصولا إلى تلمسان و حلوله بمراكش - صفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و طاف في رحلته تلك يعرض أفكاره متقنعا مُتسترا بممارسة الحسبة مع إظهار الورع و الحزم ، فكان يمشي في أسواق المدينة يُريق الخمر و يكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين و لا قاضٍ و لا وزير [3] ، فكثر أتباعه و مريدوه ، و التفوا حوله يعقد لهم المجالس و الحلقات " مُفتيا بمذهبه (أي التأويل على رأي الأشاعرة) مُظهرا النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه " [4] ، و لا يُستبعد أن يكون ابن تومرت قد زرع من من خلال تلك المجالس بعض أفكاره الأشعرية ، لا سيما و قد حظي بثقة العامة و إعجابهم ، ما جعل المرابطين يتنبهون لنشاطه ، وخاصة بعد أن جاهر أمير المسلمين علي بن يوسف [5] النصيحة و وبخه ببعض المنكرات المنتشرة في بلاده ، وحمّله

---

[1] - و عند عبد الله كنون أن بن تومرت كانت تراوده فكرة الثورة على الواقع المغربي قبل رحلته إلى المشرق . أُنظر : عبد الله كنون : المرجع السابق ، ص : 99 .

2 - أشار إلى هذا المعنى و هذا التقسيم بن أبي زرع الفاسي حين قال : " إنه كان سفاكا للدماء غير متورعا فيها و لا متوقفا عنها يهون سفك دم عالم من الناس لبلوغ غرضه ، مهد الملك لغيره بالخدع و وحد قوما قد غلب عليهم الجهل و تمكن منهم " ، **روض القرطاس** ، ص : 181 .

[3] - ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 174 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 71 .

[4] - ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 67 ، 300 ، 466 . و البيدق ، المصدر السابق ، ص : 36 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 71 . و عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 88 – 89 .

5 - علي بن يوسف بن تاشفين ثاني أمراء الدولة المرابطية في المغرب والأندلس ، ولد عام 477هـ / 1084 م ونشأ نشأة دينية وعلمية مستقيمة وظهرت آثار ذلك جليـة في تصرفاته وأعماله لذلك خلف أباه يوسف بن تاشفين في الحكم

مسؤولية ذلك [1] .

و حين ناظره فقهاء المرابطين لم يتبيّـن لـهم أمر بن تومرت [2] ، إذ لم تكن لهم دراية بعلم الكلام الذي لـُقـِنه بن تومرت في المشرق إلا قاضي مراكش الفقيه القاضي مالك بن وهيب الإشبيلي الأندلسي الذي كان له نظر في الفلسفـة [3] ، و الذي ناصـح أمير المسلمين علي بن يوسف بحكمة و دراية قائلا له " احتفظ على الدولة من الرجل ، واجعل على رجليه كبلا لئلا يُسمعك طبلاً " [4] ، إلا أن أمير المسلمين أخذتـه العزة و استهونَ أمر بن تومرت وصرفه ، واكـتـفـى بإخراجـه من مراكـش [5] .

حينها قرر بن تومرت الفرار بدعوته الأشعرية إلى مسقط رأسه في هرغة إحدى بطون مصمودة ببلاد السوس حيث نزل على قومه وقبيلته سنة 515 هـ / 1121 م ، و هناك بأرض مصمود جهر بدعوته الأشعرية ، لكنه لم يكن مُـندفعا بل انتهج التدرج ، فدعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونـهاهم عن سفك الدماء ، و صنّف لهم عقيدة بلسانهم البربري [6] وعظم في أعينهم وأحبته قلوبهم خاصة الشباب و الأغمار [7] .

و استغل ابن تومرت سذاجة سكان المنطقة و بساطتهم و بدائية معارفهم فراح ينتحل لنفسه الكرامات و يتفنن في الخدع ليمكـّـن لنفسه و معتقده الأشعري في المغرب ، فاختلق حادثة نزول الملائكة لتزكيته و مباركة دعوته [8] ، و كلام الأموات الذين نطقوا

عام 500هـ / 1106 م وكان حكمه استمرارا لعهد أبيه من ناحية الجهاد والاتجاه الديني والعلمي ، توفي عام 537هـ / 1142 م في مراكش ،وضعفت بعده دولة المرابطين وسقطت بعد وفاته بأربع سنوات ، انظر مثلا : السلاوي ، المصدر السابق ، ج :01 ، ص :61.

[1] - وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه ليظنوه مجنونا و ينسب إلى الجنون أنظر : البيدق ، **أخبار المهدي بن تومرت** ، ص : 22 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3633 . و اعتذر له السبكي بقوله " وكان ربما أوهم أن به جنونا وذلك عند خشية القتل " . **طبقات الشافعية** ، ج : 06 ، ص : 110 .

[2] - أُنظر المناظرة بكامل تفاصيلها : ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 174 – 175 .

[3] - مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، ص : 73 . و ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 174 – 175 . و المراكشي ، المصدر السابق ، ص : 185 . و ذكر ابن خلدون أن بن وهيب كان ح ـزاء ينظر في النجوم ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 300 .

4 - البيدق ، **أخبار المهدي** ، ص : 57 .

5 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3634 ، و كان قبل ذلك ناظر فقهاء فاس بأمر من والي فاس ، فظهر عليهم لأنه وجد جوا خاليا وناسا لا علم لهم بالكلام ، أنظر : **تاريخ الإسلام** ، نفس الصفحة .

[6] - ابن الخطيب **رقم الحلل** ، ص :80 . و ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج : 8 ، ص : 296 . و ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 177 . و ا بن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 300 . و المراكشي ، المصدر السابق ، ص : 254 .

[7] - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3634 .

8 -ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 186 .

من قبورهم ليشهدوا له بصدق دعوته [1] ، و حادثة التمييز التي أفنى بها خلقا كثيرا ممن رآهم مشككين في دعوته [2] ، و الذي صح عند الذهبي في آخر سرده لتفاصيل حادثة التمييز مثلا أنه قتل منهم سبعون ألفا في هذه الحادثة في أربعين يوما [3] ، وقد يكون في العدد شيء من المبالغة ، لكن الحادثة بعينها تصور لنا وجها من أوجه السياسة التومرتية في المغرب الإسلامي .

و لم يكتف بن تومرت بذلك بل رأى توسيع مجال دعوته ، ف اختار جماعة من أصحابه و ندبهم إلى القبائل القريبة من بلاد السوس لاستمالة تلك القبائل لنفسه و لدعوته الأشعرية الجديدة بين المصامدة ، فبث دعاته هنا وهناك يدعون الناس إليه و يزرعون محبته في قلوبهم [4] .

و كشف عندها بن تومرت عن كامل أفكاره ف انتقل من الجانب التنظيري في دعوته إلى الجانب العملي و من الدفاع إلى الهجوم ومن الأسلوب غير المباشر إلى الأسلوب المباشر ، مُستهلا آخر خطوة من مشروعه الدعوي ، فدعا أتباعه إلى قتال المرابطين الذين نعتهم بالكفرة المجسمين [5] و أن غزوهم واجب على كل من يعرف أن الله واحد في ملكه و أن قتالهم أوجب من قتال الروم و المجوس [6] ، فقط لأنهم يخالفون ما تعلمه من أفكار أشعرية أتى بها من المشرق ، و اتبعه على ذلك خلق كثير [7] .

فقد تأكد لابن تومرت أنه لن تقوم للأشعرية قائمة بالمغرب ما دام بالمغرب سلطة قائمة تقف بالمرصاد للمذهب الأشعري ، و أن جهوده الدعوية مهما كانت لن تُؤتي

---

[1] -ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 172 . و السلاوي ، المصدر السابق ، ص : 96. الصلابي ، **الدولة الموحدية** ، ص : 67 .

[2] - و عُرفت الحادثة – على غرابتها - في تاريخ المغرب بحادثة التمييز، يقول بن خلدون في تاريخه " إلى أن كان شأن البشير وميّز الموحّد من المنافق" أنظر : ابن خلدون ، **تاريخ بن خلدون** ، ج : 6 ، ص : 228 . الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3634 ، نقلا عن اليسع بن حزم ، الذي أكد أن كلامه هو مما عاينه أو نقله بتواتر . ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 5 ، ص : 48 . و السلاوي ، المصدر السابق ، ج :1 ، ص : 82 . و أشار إليها البيدق بأنها كرامة للموحدين كشفت لهم المنافقين المندسين بينهم **أخبار المهدي** ، ص : 71 .

[3] - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3634 .

[4] - بن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص : 176 . و الناصري ، المصدر السابق ، ص : 96. و المراكشي : المصدر السابق ، ص : 254 .

[5] - اصطنع بن تومرت لأعدائه المرابطين ألقابا شنيعة كالزراجنة و الحشوية إمعانا في التحقير بهم ، و سنتحدث عنها في المبحث الثاني من الفصل الثالث بحول الله تعالى . و عن مصطلح الحشوية أنظر : فيصل بن قزار الجاسم ، **الأشاعرة في ميزان أهل السنة** ، الطبعة 01 ، الكويت ، المبرة الخيرية لعلوم القرآن و السنة ، 1428 هـ / 2007 م . ص : 73 .

[6] - البيدق ، المصدر السابق ، ص : 65 و ما بعدها ، و ملحقه ص : 177 .

[7] - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 186 .

ثمارها .

فأخذ يُشنّع على المرابطين و يدعوا لقتالهم ، و ألف رسائل لأجل ذلك منها : رسالة في بيان طوائف من المبطلين من الملثمين و المجسمين و وجوب جهادهم [1] ، و رسالة في غربة الإسلام و البشارة بانتصار الحق على الباطل [2] ، تشتمل على مجموعة أحاديث في هذا المعنى ، و رسالة أخرى مماثلة ذكرها بنصها صاحب الحلل الموشية [3] .

.

فخاض ابن تومرت انطلاقا من ذلك حروبا شعواء ضد المرابطين و أميرهم علي بن يوسف (تـ 557هـ / 1162م) خلدت كتب التاريخ بعضها [4] ، ففي إحدى وقعات بن تومرت مع المرابطين يقول بن كثير أنه قتل منهم نحوا من سبعين ألفا [5] .

و قد فصل في سرد تلك الوقائع مؤرخ بن تومرت و رفيقه أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق (تـ أواخر القرن 6هـ/ 12 م) الذي اعتز بالمشاركة في تلك المعارك ، و أرخ لها بـ " غزوات و فتوحات المعصوم " [6] ، لأن بن تومرت كان يؤكد لأتباعه مرارا أن ذلك هو الجهاد بعينه ، بل أن الجهاد ضد المرابطين فرض من فروض الدين ، أهم من الجهاد ضد النصارى و المشركين ، قائلا " اجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين ، فجهادهم أعظم من جهاد الروم و سائر الكفرة بأضعاف كثيرة ،لأنهم جسموا الخالق سبحانه ، و أنكروا التوحيد و عاندوا الحق" [7] .

.

و يتضح لنا من النصوص التي خلدت تلك الوقائع أن بن تومرت أثناءها كان يقاتل المرابطين قتال الكفرة و يُجري عليهم أحكام القتال مع الكفار من سبي و غنم و

---

[1] - ابن تومرت ، **أعز ما يطلب** ، ص : 242 – 255 .

[2] - نفس المصدر ، ص : 266 – 270 .

[3] - مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، ص : 81 – 82 .

4 - أنظر مثلا : لذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3636 ، ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج : 09 ، ص : 197 . البيدق ، المصدر السابق ، ص : 74 – 75 . و **الحلل الموشية** ، ص : 85 - 86 . و المراكشي ، المصدر السابق ، ص : 193 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3637 .

[5] - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 186 .

[6] - البيدق ، المصدر السابق ، ص : 65 و ما بعدها ، و ملحقه ص : 177 .

7 - نفس المصدر ، ص : 9 . و ألفرد بل ، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي** ،ص : 258 – 259 .

غيرها [1] ، و حجته دائما أنهم مجسمة ، والمجسمة في نظره مارقون عن الدين يشبهون الله بالإنسان و هو كفر غليظ يجب مقاومته بالقول و القلم و السيف [2] .

لذا حكم أغلب المؤرخين و الدارسين على سياسة بن تومرت بالوحشية و القساوة ، و شاع بينهم ذلك ، و اعتبره بعضهم طاغية من طغاة العصور الوسطى و أن دعوته الأشعرية تحولت بفعل ممارساته إلى دعوة قرمطية باطنية دموية [3] .

و عموما لا يمكن إخراج سياسة بن تومرت عن طابع الوحشية مع أهل المغرب ومع من رآهم هو من المتشككين في دعوته الأشعرية فضلا عن مخالفيه من المرابطين ، فلستباح دماءهم و أموالهم في سبيل إ زاحتهم و إزاحة مذهبهم العقيدي من المغرب الإسلامي ، فضلا عما أُشتهر به بن تومرت في التاريخ من الحيلة و التلفيق كاختلاق معجزة التمييز ، ومعجزة كلام الأموات ، والإستفادة من نتائج هذه الحيل وتأثيرها العاطفي ، فهذه السياسة التومرتية التي جمعت بين التقتيل و المراوغة لا تتلاءم إطلاقا مع أدنى ميزات الحركة الإصلاحية ، كما أنها جمعت بين الإفراط و التفريط ، و يُمكن تلخيصها بما يُعرف اليوم بمبدأ الميكيافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) .

وعلى كل ٍ فقد نجح بن تومرت في إقامة دولته على أسس عقيدية بحتة ، و لا يُمكن تفسير مجهوده الكبير في إقامة دولته تفسيرا سياسيا كما قد يُفهم ، فإن تسمية دولته بالموحدية و أنصاره بالموحدين تحمل دلالات و معان تؤكد الصبغة العقيدية لحركته و دولته ، فلم ينسبها إليه و إنما أعطاها الصبغة العقيدية التي كانت لحمتها و سداها ،

---

[1] - نلمس ذلك أيضا في مواضع عدة من كتاب **أخبار المهدي** للبيدق الذي عاين تلك الوقائع و ساهم فيها فنجده يسمى تلك الحروب غزوات و مكاسبها غنائم .

2 - ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص : 252 .

3 - أُنظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 19 ،ص : 540-541 . الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، ص : 247 .ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 187 . ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج 11 ، ص : 478 . ابن القيم ، **المنار المنيف في الصحيح و الضعيف** ، الطبعة 02 ، الرياض ، دار العاصمة ، 1419 هـ / 1998 م ، ص : 153 . المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 151 – 167 . ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص : 181 . و منهم القاضي عياض الذي قُتل بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت أُنظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 20 ، ص : 217 . و من المعاصرين المستشرق يوسف أشباخ ، **تاريخ الأندلس** ، ص : 195. و حمد بن صالح السحيباني ، حقيقة دعوة ابن تومرت ، **مجلة البيان** - العدد 17، شعبان 1409 - مارس 1989، ص : 78 . الصلابي ، **الدولة الموحدية** ، ص : 290 . وعبد الحليم عويس ، **دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية** ، الطبعة 03،دار الوفاء، 1410هـ / 1989م ، ص : 83 . وخالفهم في ذلك مؤرخ الأشاعرة السبكي و ابن أُنظر : **طبقات الشافعية** ، ج : 08 ، ص : 185 . و ج : 06 ، ص : 109 . ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص : 26 . و ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 6 ، ص 300 .

فالعقيدة كانت أهم عنصر في دعوة المهدي و ليس طلب الحكم إلا وسيلة لإقامتها [1] .

ويُمكن الجزم بأنه ما من دولة قامت في المغرب الإسلامي طيلة الحقبة الإسلامية إلا على أساس مذهب ديني ، بل لا يمكن التأريخ لكثير من هذه الدول دون البدأ بتسجيل الآراء الدينية أو الأفكار المذهبية لداعية أو فقيه قامت الدولة على هدي من أقواله أو اجتهاداته ، وكيف يمكن التأريخ لدولة المرابطين دون ذكر الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي أو دولة الموحدين دون ذكر للمهدي بن تومرت الموحدين [2] .

ومن هذا كله يمكن الجزم أن الدور السياسي للموحدين كان الحسم في توطيد المذهب الأشعري في شتى أنحاء إمبراطوريتهم المترامية الأطراف [3] .

وقدم لنا السلاوي (تـ1319 هـ / 1901 م) نتيجة جهود بن تومرت و دولته في تقرير مذهبه ، قائلا : " فبعد أن طهره الله – أي المغرب- من فرقة الخارجية والرافضة ثانيا، أقاموا على مذهب أهل السنة و الجماعة مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه و عدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب و أفضلها ، واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر بن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق و أخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري و متأخري أصحابه ، ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب و دعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة ، و جزم بتضليل من خالفها ، بل تكفيره ، و سمى أتباعه بالموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد . ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشعري و تقريره و تحريره درسا و تأليفا ، و إن كان قد ظهر بالمغرب فظهورا ما " . [4]

و سبقه في تقرير ذلك بن خلدون (تـ 808هـ / 1406 م) فيما ترتب عن حركة بن تومرت فيقول " وانطلق هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم ،وشهابا واريا

---

[1] - انظر : عبد المجيد النجار ، **المهدي بن تومرت** ، ص : 401 . و عز الدين موسى ، **الموحدون في المغرب الإسلامي** ، ص : 86 . و أيضا ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص : 249 . و يوسف احنانا ، **تطور المذهب الأشعري** ، ص : 80 - 81 .

2 - أُنظر : محمود صبحي ، **في علم الكلام** ، ص : 641 ، محمد رينر ، حول بعض الوقائع الموحدية ، **مجلة البحث العلمي** ، يناير / إبريل 1967م / شوال / محرم 1387هـ ، ص : 47 .

3 - و هو ما يتفق مع رأي جملة من الباحثين ، منهم المستشرق ألفرد بل ، المرجع السابق ، ص : 287 . و محمود صبحي ، **في علم الكلام** ، ج : 1 ، ص : 428 . و حمد بن صالح السحيباني ، المرجع السابق ، ص : 62 .

[4] - السلاوي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 63 .

من الدين ،وكان قد لقي بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة و أخذ عنهم و استحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية و الذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدور أهل البدعة ،وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي و الحديث ،بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل و الأخذ برأيهم فيه ، اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كما جاءت ،فطعن على أهل المغرب في ذلك ،وحملهم على القول بالتأويل ، و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد و أعلن إمامتهم و وجوب تقليدهم " [1] .

و قال الحسن الوزان (ليون الإفريقي) (تـ 873 هـ / 1469 م) " و الواقع أنه لا يوجد في عصرنا غير مذهبين لهذه الديانة (الشريعة الإسلامية) أحدهما المذهب الأشعري المنتشر في كل إفريقيا و مصر و الشام و الجزيرة العربية و تركيا كلــها ، و الثـاني مذهب الإمامية المنتشر في جميع بلاد فارس و بعض مدن خرسان " [2] .

و مما سبق نخلص أن انتشار المذهب الأشعري بالمغرب اتخذ طابعا سياسيا حين ارتبط بالدور السياسي للموحدين ، فقد وجد بن تومرت أهل المغرب على معتقد أهل الحديث ، فنقم عليهم ، وحمّـل السلطة المرابطية مسؤولية ذلك ، فأعلن حربا دامية عليهم بدعوى أنهم مجسمين .

و أردف العمل العسكري الحربي سياسية تلفيقية تـُأيّد دعوى مهدويته التي وظفها خدمة لدعوته الأشعرية مـُستغلا سذاجة أهالي المغرب .

و مع أن عقيدة بن تومرت لم تكن أشعرية خالصة و لم تندمج في تيار الأشعرية العام إلا لاحقا فإنه مع ذلك قد تحقق - بهذه القوة السياسية الجديدة - التمكين رسميا للاعتقاد على رأي الأشاعرة في المغرب ، و العدول بأهالي المغرب الإسلامي من اعتقاد السلف إلى مذهب التأويل بعد أن حملهم على ذلك بن تومرت رغبة و رهبة .

و لا شك أن أي سلطة سياسية تتوفر لها من وسائل النشر المادية و المعنوية ما يُساعد على تبليغ العقائد و المذاهب في أسرع وقت و أوسع رقعة حتى كان لها الظهور و الرسوخ .

---

1 - ابن خلدون ، **<u>تاريخ ابن خلدون</u>** ، ج : 6 ، ص : 300 .

2 - الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي) ، **<u>وصف إفريقيا</u>** ، ترجمة : محمد حجي ، و محمد الأخضر ، الجزء 01 ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1403 هـ / 1983 م ، ص : 273 . و مع ذلك يـُلاحظ بوضوح المبالغة في كلامه ، إلا أن الأشاعرة كانوا يتمعون بسلطات سياسية واسعة في تلك المناطق .

المبحث الثالث : مظاهر الدعم السياسي الزنكي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية بالشام (541هـ - 570 هـ / 1146 م – 1175 م) .

عرفنا فيما سبق كيف أصبح السلاجقة في النصف الثاني من القرن 5هـ / 11 م أكبر قوة سياسية في العالم الإسلامي ، وفكريا رأينا كيف دعم بعض السلاجقة المذهب الأشعري أملاً في تقويض المذهب الشيعي الذي مثله البويهيون في إيران والعراق من جهة ، و العبيديون الفاطميون في مصر والشام من جهة أخرى .

و من رحم هذه الإمبراطورية انبثقت في منتصف القرن 6 هـ / 12 م دولة سارت على نهجها ، و أخذت أهم سماتها : الجهاد ضد الزحف الصليبي و مقاومة المد الشيعي فكريا و سياسيا ، عُرفت هذه الدولة تاريخيا بالدولة الزنكية النورية نسبة إلى آل زنكي .

و الحديث عن الدولة الزنكية – سياسيا - هو حديث عن مُؤسس الدولة الفعلي ، نور الدين محمود (تـ 564 هـ / 1169 م) الذي لم يكن – في حقيقة الأمر - رجل سيف و حرب و سياسة فحسب ، بل و رجل علم و فكر أيضا ، اتفقت المصادر في الحديث عن ولعه الشديد بالعلم والعلماء ، فقد كان في قمة سلطانه يتشبه بالعلماء و يقتفي

سيرتهم[1] ، وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ، ويجلسه معه ويقبل عليه بكليته تعظيماً وتوقيراً واحتراماً [2] ، فيسمع نصيحتهم ويجلها [3] ، و بالغ المؤرخ بن سليمان اليافعي اليمني الصوفي (تـ 768 هـ / 1367 م) و أخطأ لما نقل زعما أن الدعاء عند قبره مُستجاب [4] .

بل كان نور الدين نفسه عالماً قبل أن يكون حاكماً ، عارفاً بمذهب أبي حنيفة ، ملتزماً به ، من غير تعصب منه ولا تحيّز[5] ، سمع الحديث حتى حصل على الإجازة العلمية التي تُتيح له أن يُسمعه للآخرين ، فقد نقلت لنا المصادر أنه مارس مهمة التحديث وكان يعقد المجالس لذلك رغم كثافة عمله السياسي والعسكري ، محاولة منه لتعزيز مكانة السنّة ونشرها بالحفظ والأداء والتحديث [6] .

هذا و لم أعثر في كتب التراجم و التاريخ القديمة منها و الحديثة ما يقطع بأشعرية نور الدين زنكي [7] ، و إنما ما يُمكن إثباته هنا أن المذهب الأشعري وجد في دولته بيئةً خصبة - أخرى - للانتشار ، كونه – أي السلطان نور الدين - أتاح للأشاعرة الشافعية فرصا في دولته أكثر من غيرهم حتى من علماء مذهبه الأحناف ، لثلاث اعتبارات أساسية :

أولها : الثقة الكبيرة التي يبدوا أن نور الدين أودعها في فقهاء الأشاعرة من خريجي المدارس النظامية - أهم المراكز العلمية حينها - ، و اطمئنانه إليهم ، و يقينه بأنهم أهل لمجابهة الشيعة (إسماعيلية و إمامية) أكثر من غيرهم في الدائرة السنية ، لتشبعهم

---

1 - أبو شامة ، **الروضتين** ، ج : 2 ، ص : 13 .

[2]- ابن الأثير، **الباهر** ، ص : 171 .

3 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4076 .

[4] - اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج : 3 ، ص : 294 .

[5] - ابن الأثير ، **الباهر** ، ص : 165 . و الكيلاني ، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين** ، ص : 362. و انظر الصفحة الموالية (التهميش الثاني) فيه تأكيد لسمة التسامح المذهبي التي ميزت نور الدين.

[6] - أُنظر: أبو شامة ، **الروضتين** ، ج : 01 ، ص : 54 . و ابن الأثير ، **الباهر** ، ص 165 – 166 .

7 - ليس ثمة أي بيّنة من سيرة نور الدين يمكن الإستناد إليها لنقول بأشعريته ، و وجدتُ مجموعة من الكتابات تتمسك بما نقله صاحب الروضتين و غيره من أن نور الدين كان شديدا على رجل أظهر شيئا من التشبيه في دولته يُعرف بيوسف بن آدم ، فعذبه وعزّره ونفاه من دمشق كلها ، وأركبه حماراً وأمر بصفعه و طيف به ونودي عليه هذا جزاء من أظهر في الدين البدع، (ج :1 ، ص : 50) ، هذه القصة الثابتة لا توحي من قريب أو بعيد بأشعرية نور الدين ، فموقفه ذاك تشترك فيه مختلف طوائف أهل السنة اتجاه المجسمة و مذهبهم المنحرف ، و أصل اللُبس في القصة أن كثيرا من متعصبي الأشاعرة قديما و حديثا يتلاعبون بمصطلح التشبيه و التجسيم و الحشو ليرموا بها كل من خالفهم في نفي الصفات الخبرية القائمة بذات الله تعالى ، و حاولوا تخصيص مذهبهم بتنزيه الله تعالى عن التشبيه دون غيره ، و التسليم بأن مفهومهم للتنزيه هو الفهم الصحيح و ما عداه فهو تجسيم و ضلال ، فهذه مغالطة عقيدية و تاريخية شائعة و جب التنبيه إليها .

بالفلسفة و الجدل و علم الكلام ، و لاشتهار المدارس النظامية وخرّيجيها بالمقدرة و الخبرة على مواجهة المد الباطني الشيعي و كشف باطله ، فعلق السلطان نور الدين عليهم أمله في تقويض التشيع في دولته ، ليقرن المواجهة السياسية للمذهب الشيعي بمواجهة فكرية موازية ، مـُحاولا بذلك تكرار تجربة سلفه نظام الملك الطوسي وزير السلاجقة (456 هـ- 485 هـ / 1064 م – 1092 م) عندما وضع خطة طويلة المدى متعددة المراحل لتخريج فقهاء قادرين على مجابهة الفكر الشيعي ، فقصر مدارسه على فقهاء المذهب الأشعري لتهيئتهم لذلك ، و انتصر لمذهبهم على المستوى الرسمي مقابل بذلهم العون العقلي في مواجهة المذهب الشيعي [1] ، فاستعان نور الدين بأقطاب هذا المذهب لنفس الهدف ، إلا أنه لم يتعمد الإنتصار للمذهب الأشعري و لا لغيره من المذاهب ، حتى مذهبه الحنفي ، و إنما أُشتهر في كتب التاريخ بتسامحه المذهبي و ترفعه عن التعصب [2] .

و مما يعكس لنا ثـقة نور الدين زنكي في فقهاء الأشاعرة و الأمل الذي علّـقه في قدراتهم أنه استعان بخريجي النظاميات الأشاعرة بكثرة في البيئات التي يـُشكل الشيعة معظم سكانها ، و نقصد بها خاصة البيئة الحلبية بشمالي الشام أين كانت الشيعة الإمامية متمركزة ، وكان ينوي القيام بنفس العمل في البيئة المصرية أين كانت الشيعة الإسماعيلية المدعمة بالسلطة الفاطمية العبيدية [3] .

---

[1] - موجز دائرة المعارف الإسلامية ، **مادة أشعرية** ، الجزء : 3 ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ، 1418هـ / 1998م ، ص : 802 . و حسين أمين ، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي** ، بغداد ، المكتبة الأهلية ، 1385هـ / 1965م ، ص : 223 .

[2] - يدل احتواء دولته لمدارس و مساجد و ربط و زوايا للمذاهب الأربع كما هو مبسوط في الجزء الثاني من **الدارس في تاريخ المدارس** (من : ص : 3 - 99) ، ومن ذلك وقفهزاويتين بالمسجد الجامع في حلب ، خصص إحداهما لفقهاء الحنابلة والأخرى للمالكية . و انظر : ابن شداد ، **الأعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام و الجزيرة** ، تحقيق: يحيى زكريا عبارة ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1412 هـ / 1991م ، ص : 43 . حتى الصوفية السنية بنى لهم الخوانق ، و لم يتجاهل هذه الطبقة الجامدة فحاول الإستفادة منها هي الأخرى ، مـُرتفعا بذلك فوق عصبية المذهبية التي كانت لها سطوتها آنذاك ، و نجح نور الدين في التخفيف من حدة الصراع المذهبي بين المذاهب السنية المختلفة ، الذي زادته المدارس النظامية حدة و عنفوانا ، و حذا حذوه الخليفة المستنصر العباسي (تـ 640 هـ / 1242 م) عندما بنى المدرسة المستنصرية عام 631 هـ / 1233 م و وقفها على المذاهب الأربعة كما ذكره ابن كثير في - **البداية والنهاية** ، ج : 13 ، ص : 139 ، و السيوطي في **تاريخ الخلفاء** ، ص : 397 . و ذكر الذهبي أن نور الدين أُعجب بالحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي (تـ 600 هـ / 1204 م) عندما كان يطلب العلم و الحديث في دمشق ، و لما ارتحل الحافظ إلى مصر افتقده السلطان نور الدين و سأل عنه . أُنظر : الذهبي : **السير** ، ج : 21 ، ص : 449 .

[3] - تتجلى نية نور الدين عندما حاول أن يـُوكل قضاء مصر إلى الفقيه الشافعي شرف الدين بن أبي عصرون ، و يذكر أبو شامة أنه وقف على كتاب بخط نور الدين إلى هذا الفقيه – وكان بحلب - يطلب منه الذهاب إلى مصر ليتولى قضاءها ، ومما قاله نور الدين للشيخ : " أنت تعلم أن مصر اليوم قد لزمنا النظر فيها، فهي من الفتوحات الكبار التي

أما في دمشق فلأنها كانت بيئة سنية في معظمها فقد وجه عنايته إلى فقهاء مذهبه ، و الإهتمام بدار الحديث الشريف التي أنشاها [1] .

و ثانيا : من العوامل التي أوجدت المناخ المناسب للمذهب الأشعري للانتشار في الدولة النورية كون دولة نور الدين محمود – كما هو معلوم – انبثقت من رحم الدولة السلجوقية التي خدمت سياستها المذهب الأشعري في عهد وزيرها نظام الملك ، و لما استقل أتابكتهم الزنكيين بدولتهم كانت امتدادا للدولة السلجوقية الأم ، فتبنت نظمها و ترسمت خطاه ا فسارت عليها في جميع أحواله ا القائمة على جهاد الصليبيين و مناهضة الفكر الشيعي في حلب و دمشق و مصر ، و قد ذكر ابن الأثير أن ديوان زنكي كان يُشبه إلى حد كبير دواوين السلاجقة في نظمه [2] .

و المُطلع على التاريخ الإسلامي يلحظ اشتراك الدولة السلجوقية و الزنكيـة و الأيوبية و المملوكية- التي حكمت باسم الدولة العباسية- في كثير من المعالم الحضارية التي تتقاطع فيها و تتقارب بعضها من بعض أكثر من قربها من معالم الدولة العثمانية التي ورثت عنها زعامة العالم الإسلامي [3] .

فكان من الطبيعي - و الحال كذلك - أن ينشأ نور الدين في بيئة أشعرية ، مُحاطا بأساتذة و خريجي المدارس النظامية ، التي خرّجـت العلمـاء و الفقهاء و القضاة و الإداريين الذين استلموا وظائف عُليا في الدولة الزنكية ، كما خرَّجت المُدرسين الذين كانوا يدرسون المذهب في أروقة مدارسهم التي انتشرت في كل مكان ، فلم يفوّت نور الدين فرصة الاستفادة من هذا الجيل المُؤهل في دولته الفتية ، فركن إليهم و وضع كامل

جعلها الله دار إسلام بعد أن كانت دار كفر ونفاق ... والآن قد تعين عليك وعلي أيضاً أن ننظر إلى مصالحها، وما لنا أحد اليوم لها إلا أنت.. فيجب أن تشمر عن ساق الاجتهاد، وتتولى قضاءها، وتعمل ما تعلم أنه يقربك من الله " أُنظر: ، أبو شامة ، **الروضتين في أخبار الدولتين** ، ج : 02 ، ص : 120 .

[1] - ابن العديم ، **زبدة الحلب** ، ص 209 ، أبو الفتوح بدوي المرجع السابق ، ص : 210 – 211 .

[2] - ابن الأثير ، **الباهر** ، ص : 83.

[3] - من هذه المعالم الحضارية مثلا أن اللغة العربية ظلت لغة رسمية للسلاجقة و الزنكيين و الأيوبيين و المماليك ، مع أن أصولهم غير عربية و لغاتهم الأصلية غير عربية ، أما في العهد العثماني فقد غدت اللغة التركية لغة الدولة الرسمية ، ومنها أيضا إنشاء المدارس وحث الطلبة على العلم ، ورصد المكافآت المغرية للمبرزين، وتكريم العلماء ، وتوفير المناخ الطيب لإنتاجهم. وكان بناء المساجد يساير حركة بناء المدارس ، والمساجد في عهدهم مواطن للعلم والدرس إلى جانب كونها للعبادة ، أما في العصر العثماني فقد انقطع إنفاق الدولة على هذه المدارس كلها ، ولم يبتن الحكام مدارس جديدة، وإنما تركوا الحبل على الغارب ، فتواجعت تلك المدارس وأخذ عددها يتناقص يوماً بعد يوم ، وحل محلها كتاتيب صغيرة تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب فقط ، فضلا عن المعالم العمرانية . لذا يطيب للكثير تسميتها بالدول " المتتابعة " .

ثقته بهم ، و حفظ لهم مكانتهم رغم مخالفتهم لهم في التوجه المذهبي منهم : قطب الدين النيسابوري (تـ 578 هـ / 1182 م) [1] ، و تـلـمـيـذه بن عساكر الدمشقي (تـ 571 هـ / 1175 م) ، ولاه نور الدين دار الحديث النورية ، و القاضي كمال الدين الشهرزوري الموصلي (تـ 572 هـ / 1177 م) من خريجي نظامية بغداد [2] ولاه نور الدين قضاء دمشق سنة 555هـ / 1160 م ، و بعد أقل من عامين 557 هـ / 1181 م أصبح قاضياً لقضاة الدولة كلها ، وورد عنه كذلك أنه ارتقى إلى درجة الوزارة فكان له الحل والعقد في أحكام الشام ، واعتمده نور الدين سنة 566هـ / 1171 م سفيرا و مبعوثاً له إلى الخليفة العباسي المستنجد بالله 566 هـ - 575 ه ـ في بغداد [3] وناظرا للأوقاف وناظر المالية والقضاء ، واستمر على ذلك حتى سلطنة صلاح الدين على الشام [4] ، كما اعتمد نور الدين ابنه – ابن القاضي الشهرزوري - محي الدين نائباً عنه في قضاء حلب والبلدان التابعة لها فضلاً عن النظر في أمور ديوانها ، وكان محي الدين هذا هو الآخر من خريجي نظامية بغداد [5] .

و منهم أيضا القاضي شرف الدين بن أبي عصرون (تـ 585هـ / 1189 م) الذي أنشأ له نور الدين عدة مدارس في أماكن مختلفة ، تولى قضاء سنجار ونصيبين وحران وغيرها من مدن ديار بكر ، وأصبح هناك أشبه بقاضي القضاة ينوب عنه في سائر المدن نواب أشرف على تعينيهم بنفسه [6] ، كما اعتمده عام 566هـ / 1171 م رسولاً إلى الخليفة

---

1 - محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن ، الملقب بنجم الدين أبو البركات الصوفي الشافعي الخبوشاني نسبة إلى خابوشان من أعمال نيسابور التي ولد بها في رجب سنة 510هـ / 1116 م ، قدم مصر سنة 565هـ / 1169 م ، قال ابن خلكان : كان السلطان صلاح الدين يقربه ويعتقد في علمه ودينه وعمر له المدرسة المجاورة لضريح الشافعي ، وتوفي سنة 587 هـ / 1191 م بالمدرسة المذكورة ودفن في قبة تحت رجلي الإمام === === الشافعي وبينهما شباك ،ابن العماد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 288 . و بن خلكان ، المصدر السابق ، ج 4: ، ص : 239 ،240 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج :07 ، ص : 16 – 15 .

2 - هو الفقيه الشافعي أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري، الملقب كمال الدين، وكانت ولادته بالموصل سنة (492 هـ / 1099 م)، نسبة إلى (شهرزور)، وقد بدأت تفقه كمال الدين على علماء بغداد، وسمع الحديث من أبي البركات محمد بن محمد بن خميس الموصلي، ثم تولّى القضاء بالموصل، وبنى فيها مدرسة للشافعية، كما بنى رباطاً بالمدينة المنوّرة ، ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، ج : 4 ، ص : 241 .

3 - ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 10، ص : 51 . و عن مكانة كمال الدين الشهرزوري في الدولة الزنكية انظر ، الصلابي ، **السيرة الزنكية** ، ص : 44 ، 128 ، 259 ، 260 .

3 - انظر: السبكي، المصدر السابق ، ج : 6 ، ص : 188 .

5 - أبو شامة ، **الروضتين** ، ج : 2 ، ص : 158.

6 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج3 ، ص : 53 ، 54 ، 55 .

المستضيء في بغداد [1] و كلفه نور الدين بالإشراف على بناء المدارس في حلب وحمص وبعلبك وغيرها ، ثم ما لبث أن ولاه قضاء ديار بكر ومنحه – كما سبق وأن ذكرنا – صلاحيات واسعة [2] .

و قد استغل بن أبي عصرون منصب القضاء في دولة نور الدين زنكي و ثقته الكبيرة به لخدمة مذهبه الأشعري ، فقد ذكر عنه قطب الدين اليونيني (تـ726هـ / 1326 م) في " ذيل مرآة الزمان " أنه أخفى كتاباً ورد له من نور الدين يتضمن وقفا لمدرسة ببعلبك هي " اشتراك بين الشافعية وغيرهم من المشتغلين بالعلم من أهل السنة " [3] ، أي من حنابلة و غيرهم ، فلم يظهر أمر هذا الكتاب إلا في سنة 664 هـ / 1266 م [4] أي بعد قرن من وفاة نورالدين زنكي (تـ 564 هـ / 1169 م) و بن أبي عصرون (تـ 585هـ / 1189 م) .

و منهم أيضا العماد الأصفهاني (تـ 559هـ / 1164 م) الذي اعتمده نور الدين في العديد من المهام الإدارية والسياسية والإنشائية كقيامه برئاسة ديوان الإنشاء لنور الدين في فترة من الفترات ، فضلاً عن الإفادة من قدراته العلمية والتدريسيةً في بعض مدارس دمشق [5] .

و منهم أيضا عبد الرحيم بن رستم أبو الفضائل الزنجاني الشافعي (تـ563هـ / 1168 م) الذي ولاه نور الدين قضاء بعلبك والتدريس ببعض مدارس دمشق [6] .

لذا يُمكن الجزم أن نور الدين لم ينطلق في بناء دولته من فراغ وإنما استفاد من جهود المدارس النظامية ، فقد جاءت جهوده تالية لجهود المدارس النظامية و مكملة لها ، فانتفع بما حققته من نتائج ، فالدولة الزنكية و إن استقلت عن الدولة السلجوقية سياسيا ، إلا أنها لم تبتعد عن فلكها الحضاري الفكري و استفادت من إرثها الحضاري و كان للمذهب الأشعري حظ من ذلك .

---

1 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 10 ، ص : 237 .
7 – ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 53 – 56 . و انظر ص : 9 من هذا المبحث .
[3] - قطب الدين اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، الطبعة 01، حيدر آباد الدكن ، 1380 هـ / 1960 م ، ج : 1 ، ص : 284.
4 - نفسه .
4- النعيمي ، **الدارس في تاريخ المدارس** ، ج : 1 ، ص : 408 ، 411 .
5 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 158 .

ثـالثـا : بالإضافة إلى ما سبق هناك عامل آخر يمكن أن ندرجه ضمن العوامل التي منحت المذهب الأشعري حظا في دولة نور الدين زنكي ، ألا و هو التسامح الذي أبداه نور الدين أُتجاه كل المذاهب السنية التي عبأها لمحاربة المذهب الرافضي ، و كذا حبه الشديد للعلم و العلماء على اختلاف مشاربهم في الدائرة السنية [1] ، و كانت فرصة استفادة المذهب الأشعري من هذا التسامح المذهبي أكثر من غيرهم ، فإذا عرفنا مقدار ذاك التسامح الذي تحلى به نور الدين ، وعرفنا معه مقدار الثقة التي أودعها في أئمة المذهب الأشعري في دولته ، فإننا ندرك بالتالي أن فرصة استثمارهم لهذا التسامح ستكون أكثر من غيرهم لما تمتعوا به من ثقة السلطة [2] من جهة ، و من جهة أخرى أتاح لهم ذلك فرصة الحفاظ على مكاسبهم بعد أن خرجوا منتصرين سياسيا من جولة الصراع المذهبي في العصر السلجوقي .

و يتضح لنا من كل ما سبق أنه لم تثبت أشعرية للسلطان نور الدين زنكي ، و لم ينتصر لمذهب دون آخر كما كان الشأن في الدولة السلجوقية ، و لكن المذهب الأشعري حظي في دولته الفتية بفرصة للإنتشار ، حين عول السلطان نور الدين على خريجي النظاميات المتشبعين بالجدل و علم الكلام لمآزرته في مسعاه لتضيق الخناق على الفكر الشيعي الرافضي و إعادة الشام إلى الحظيرة السنية ، و لبناء مؤسسات دولته الإدارية و الدينية ، فهذا التعويل الذي أبداه السلطان نور الدين اتجاه أقطاب المذهب الأشعري أتاح لمذهبهم نفساً آخر للتوسع و الإنتشار في دولته .

---

[1] - وهي النتيجة التي أقرها الدكتور محمد علي الصلابي بعد بحثه الطويل في سيرة نور الدين حين قال أنه : استفاد من خريجي المدارس النظامية وتبناهم في مدارس دولته وفتح لهم الأبواب لدعم المذهب السني ومناهضة الفكر الشيعي الرافضي لأنه كان يحمل مشروعاً فكرياً ثقافياً عقائدياً تربوياً تعليماً استهدف به رعايا دولته ولم يفرق بين علماء الشافعية والأحناف والحنابلة والمالكية وأهل الحديث وشيوخ التصوف السني وغيرهم من أبناء الأمة وتحرك بهم من خلال جبهة عريضه تنضوي تحت راية أهل السنة والجماعة في مقاومة الأخطار الشيعية الرافضية ، انظر: **السيرة الزنكية** ، ص : 11.

2- فلم يكن نور الدين على سيرة القادر الذي اضطهد الأشاعرة و نكل بهم ، و إن لم يكن على سيرة نظام الملك الذي منحهم التأييد المطلق .

المبحث الرابع : مظاهر الدعم السياسي الأيوبي للمذهب الأشعري في الحياة السياسية بمصر(567هـ - 589هـ / 1172 م – 1193 م) :

تولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وزارة مصر للعاضد لدين الله الخليفة الفاطمي (تـ 567 هـ / 1172م) بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه سنة 564 هـ / 1169 م [1] ، و عمل من حينها على تدعيم سلطانه و زيادة نفوذه ، والعمل على سحب البساط تدريجيًا من الدولة الفاطمية الشيعية ، مراعاةً لسنة التدرج في تغيير الشعوب وإزالة الدول [2] ، و رغم عراقيل الخليفة الفاطمي الذي أدرك مسعى صلاح الدين ، إلا أنها كانت متأخرة فقد أحكم صلاح الدين نفوذه و استطاع بأمر من نور الدين قطع الدعاء للخليفة الفاطمي على المنابر [3] ودعا للخليفة العباسي المستضيئ بالله في يوم عاشوراء الذي صادف أول جمعة من عام 567 هـ / 1172م [4] ، و أعقب ذلك وفاة الخليفة الفاطمي العاضد بالله غماً لما سمع بقطع خطبته [5] ، و طهر مع ذلك صلاح الدين مصر من التشيع و قضى على ما فيها من بدعهم الشنيعة ، فأبطل تأذينهم وأحرق كتبهم و ألغى أعيادهم و محى رسومهم [6] ، فخلت مصر من التشيع و استعدت لاحتضان مذهب جديد ، هو مذهب الأشاعرة الذي نشأ عليه صلاح الدين .

و قد كان صلاح الدين سياسيا عسكريا ، عارفاً بالفقه الشافعي ، و حفظ القرآن وسمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي (تـ 576 هـ / 1181 م) [7] وقطب الدين النيسابوري (تـ 587 هـ / 1191 م) وغيرهما ، وروى الحديث عنه أُناس

---

[1] - للمزيد أنظر : المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج : 3 ، ص : 123 - 124 .

[2] - الصلابي ، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي : الدولة الفاطمية** ، الطبعة 01 ، دار البيارق، عمّان الأردن ، 1420 هـ / 1999م ، ص : 139 .

[3] - المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج : 3 ، ص 131 . و ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 4 ، ص 105 .

4 -ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 05 ، ص :341 . و النويري ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ج : 7، ص : 2862. .

[5] - اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 288 . وقيل مات بإسهال مفرط .

6 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 256 . و المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 46 . و أبو شامة ، **الروضتين** ،ج : 02 ، ص : 120 .

[7] - أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني الأشعري الشافعي ولد سنة 470هـ / 1077 م تفقه على أبي الحسن الطبري وفخر الإسلام الشاشي ويوسف ابن علي الزنجاني وكان يمشي حافيا لطلب ===
=== العلم والحديث وقدم دمشق وغيرها ثم دخل مصر وسمع بها واستوطن الإسكندرية حتى مات بها ،ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 06 ص : 87 ، و ترجم له السبكي طويلا و سجل له بعض أشعاره التي تدل على أشعريته ، **طبقات الشافعية** ، ج : 6 ، ص : 32 ، 41 .

مثل يونس بن محمد الفرقي والعماد الكاتب وغيرهم ، و كان يحفظ «التنبيه» في الفقه الشافعي و«الحماسة» في الشعر [1] .

و تتفق كتب التاريخ و التراجم في إثبات أشعرية صلاح الدين التي لـُقن قواعدها في صباه ، وذكر المقريزي أنه تلقفها من أحد الرجال الذين اعتمد عليهم نور الدين في دولته ، هو قطب الدين النيسابوري (تـ 587 هـ / 1191 م) الذي تولى التدريس بالمدرسة النورية بحلب ، فاتصل بصلاح الدين و ألف له عقيدة على المعتقد الأشعري فلـُقنها صلاح الدين منذ صباه [2] .

و هو ما أكده مؤرخ صلاح الدين ورفيقه في حله و ترحاله ابن شداد (تـ 632 هـ / 1226 م) في سيرة صلاح الدين المشهورة بسيرة ابن شداد ، فذكر أن القطب النيسابوري كتب عقيدة لصلاح الدين ، فكان لشدة حرصه عليها " يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم منذ الصغر ورأيته وهو يأخذها عليهم وهم يلقونها من حفظهم بين يديه " [3] .

و كنتيجة لهذه النشأة الأشعرية ، اعتنى صلاح الدين بالعقيدة الأشعرية ، و سعى لإعلائها في دولته بعد أن أزال عنها عقائد الشيعة ، و هو ما يُـفهم من كلام المؤرخ المصري جلال الدين السيوطي إذ يقول : " فلما ولي صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا العقيدة الأشعرية ، فوظف المؤذنين على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا " [4] ، أي إلى وقت السيوطي المتوفى سنة 911هـ / 1506 م .

و لتقرير المعتقد الأشعري أهدى الفقيه النحوي تاج الدين محمد بن هبة الله المكي الحموي المصري (تـ 599 هـ / 1203 م) [5] إلى صلاح الدين أرجوزة في العقيدة على أصول المذهب الأشعري ، أسماها " حدائق الفصول وجواهر الأصول " ، فأقبل عليها

---

[1] - السبكي، المصدر السابق ، ج : 07 ، ص : 340 و ص : 348 .

[2] - المقريزي ، **الخطط**، ج : 4 ، ص : 160 . و عند بعض الباحثين أن السلطان صلاح الدين نفسه كان مظهر من مظاهر تأثر مصر بالحضارة السلجوقية ، منى محمد بهجت ، **أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية و المملوكية** ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ،1423 هـ / 2002 م ، ص : 57 ، 58 .

[3] - بهاء الدين بن شداد ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** ، ص : 13 .

[4] - السيوطي،**الوسائل إلى مسامرة الأوائل**،تحقيق محمد السعيد زغلول ،بيروت، دار الكتب العلمية، 1406هـ / 1986 م ، ص 15.

[5] - قال عنه السبكي في طبقاته: "كان فقيها فرضيا نحويا متكلما، أشعري العقيدة، إماما من أئمة المسلمين، إليه مرجع أهل الديار المصرية في فتاويهم ، اشتغل بالتدريس في المدرسة الصلاحية و الخطابة في القاهرة ، و صف أرجوزته هذه بقوله حسنة جدا نافعة، عذبة النظم " ، **طبقات الشافعية** ، ج : 07 ، ص : 23 ، 25 .

وأمر بتعليمها ، و عُرفت فيما بعد "بالعقيدة الصلاحية " نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي ، وهي منظومة شعرا حتى يسهل حفظها للصغار ، ومما جاء فيها :

فـهذه قـواعـد العقـائـد *** ذكرت منها معظـم المقاصـد

جمعتهـا للمـلـك الأمـيـن *** الناصر الغازي صلاح الديـن

وصانـع العالـم لا يحـويـه *** قطر تعالى الله عـن تشبيـه

سبحانه جـل عـن المكـان *** وعـزّ عـن تغيـر الزمـان

فقد غـلا وزاد فـي الغلـو *** مـن خصــه بجهـة العلـو

وحصر الصانع فـي السمـاء *** مبدعها والعرش فوق المـاء

وأثبتـوا لـذاتـه التحـيـزا *** قد ضلّ ذو التشبيه فيما جوّزا

إعلم أصبت نـهـج الخـلاص *** وفزت بالتوحيـد والاخـلاص

أنّ الـذي يؤمـن بالرحمـن *** يثبت ما قد جاء في القـرءان

من سائر الصفـات والتنزيـه *** عن سنن التعطيـل والتشبيـه

من غير تجسيـم ولا تكييـف *** لما أتـى فيـه ولا تحريـف

فكل ما يُـروى عـن الآحـاد *** في النص في التجسيم والالحاد

فاضرب به وجه الــذي رواه *** واقـطـع بأنـه قد افتـراه[1].

و يُصور لنا الرحالة المصري عبد الرحمان الجبرتي (تـ 1240 هـ / 1825 م) بعضا ً من الحياة المذهبية عند قيام دولة صلاح الدين فيقول ما نصه : " وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية وطهر الإقليم من البدع والتشييع والعقائد الفاسدة وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة وهي عقائد الأشاعرة والماتريدية " [2] .

و بقي صلاح الدين في بيئة أشعرية يُقرب أعلام الأشعرية و يتقرب منهـم ، و صار للسلطان كبير اهتمام بالمذهب الأشعري و رموزه ، فقد وافق صلاح الدين شيخه الصوفي الأشعري نجم الدين الخبوشاني (تـ 587هـ / 1191 م) لما أقدم على نبش قبر المُقرئ محمد بن إبراهيم الكيزاني الشافعي المصري (تـ 562 هـ / 1167 م) المدفون عند قبر

---

[1] - بن هبة الله المكي ، **منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول في علم الكلام** ، الطبعة02 ، دار المشاريع ، 1426 هـ / 2005م ، ص : 10 .

[2] - الجبرتي ، **عجائب الآثار** ،ج : 1 ، ص : 27 .

الإمام الشافعي بدعوى أنه مُشبه ، فقال الخبوشاني لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد ، وجعل ينبش ويرمي عظامه وعظام الموتى الذين حوله من أتباعه [1] ، فشد الحنابلة عليه وتألبوا ضده [2] ، وصار بينهم " حملات حربية و زحفات إفرنجية إلى أن غلبهم " [3] ، و لم يثبت أي إنكار من السلطان صلاح الدين على قبح هذا الفعل ، بل ثبت أن صلاح الدين منح الخبوشاني أموالا بنى بها في موضع القبر المنبوش مدرسة له ، فكان شيخها وناظرها ، و جعل له في كل شهر أربعين ديناراً عن التدريس ، وعشرة دنانير عن النظر في أوقاف المدرسة ، ورتّب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً ، و روايتين من ماء النيل ، وجعل فيها مُعيدين وعدة من الطلبة ، ووقف عليها حمّاماً بجوارها ، وفرناً تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التي يُقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة ، وولى تدريسها جماعة من الأكابر الأعيان [4] ، ما جعل السيوطي يصفها بأنها أشرف و أعظم مدارس الدنيا على الإطلاق [5] .

و هذه الحادثة تنبئ عن الإنتصار الكبير الذي ضمنه صلاح الدين للأشاعرة و الحرية التي أطلقها لهم في دولته ، حتى سولت لهم أنفسهم الإقدام على ما فعلوا ، و لم يستطع مخالفوهم من منعهم .

كما تعكس لنا الحادثة نفسها – من جهة أخرى - عصبية عمياء كانت تسود مصر و المشرق الإسلامي أنذاك ، تجسدت لنا في تصرف الخبوشاني الذي يتحمس لمذهبه الشافعي ، و الشافعي نفسه قد أفتى بأن لا يُدفن الميت منفردا بل " يكون في المقابر لحرمتها والدواعي لها ، وأنه مع الجماعة أشبه من أن لا يُتغوط ولا يُبال على قبره ولا

---

1 - الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 149 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4164 .

2 - ذكر أبو المحاسن تغري بردي (تـ 874 هـ / 1470 م) فتنا كثيرة حدثت بينه و بين الحنابلة دون أن يذكر تفاصيلا عنها . أُنظر **النجوم الزاهرة** ، ج : 6 ، ص : 116 .

3 - انظر : ابن خلدون ، **تاريخ بن خلدون** ، ج : 7 ، ص : 17 . و البندراوي ، **سنا البرق الشامي** ، ص : 120 . و السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة 01 ، 1387هـ / 1967م ، ص : 213 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 07 ، ص : 15 . و عقب الإمام الذهبي على هذه الحادثة فقال بأن الكيزاني " رجل سنّي يلعن المشبهة توفي في حدود الستين وخمسمائة " **تاريخ الإسلام** ، ص 4164 ، وكان للسبكي هو الأخر تعقيب على كلام الذهبي فقال : " ولعل الناظر يقف على كلام شيخنا الذهبي في هذا الموضع من ترجمة الخبوشاني فلا يحفل به وبقوله في ابن الكيزاني إنه من أهل السنة فالذهبي رحمه الله متعصب جلد وهو شيخنا وله علينا حقوق إلا أن حق الله مقدم على حقه والذي نقوله إنه لا ينبغي أن يسمع كلامه في حنفي ولا شافعي ولا تؤخذ تراجمهم من كتبه فإنه يتعصب عليهم كثيرا " **طبقات الشافعية** ، ج : 07 ، ص : 16 .

4 - المقريزي ، **الخطط** ،ج : 2 ، ص : 160 .

5 - السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، ج : 2 ، ص : 186 .

يُنبش " و قال أيضا " وحيثما دُفن الميت فحسن إن شاء الله تعالى وأحب أن يُعمق للميت قدر بسطة وما أعمق له ووري أجزأ وإنما أحببت ذلك أن لا تناله السباع ولا يقرب على أحد إن أراد نبشه " [1] ، و أورد في كتابه " الأم " عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : " كسر عظم الميت ككسر عظم الحي " فقال الشافعي : تعني في المأثم وإن أخرجت عظام ميت أحببت أن تعاد فتدفن ... " [2] ، و في الفقه الشافعي أيضا أن الميت لو حدث و أن دُفن بغير تكفين فلا يُنبش فإن مفسدة هتك حرمته أشد من عدم تكنفينه الذي قام الستر بالتراب مقامه [3] .

و يـُفهم من بعض النصوص أن صلاح الدين حاول إلزام أهل مصر بما يعتقده ، فحمل الناس على اعتقاد مذهب الأشعري و أمر المؤذنين أن يُعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة الأشعرية التي تعرف بالمرشدية [4] " فواظبوا على ذكرها كل ليلة " [5] .

و لا يُمكن أن يـُفهم من هذا أن يكون حمله الناس على العقيدة الأشعرية بمعنى أنه ألزم الناس بها و امتحنهم من أجلها كما حدث أيام المأمون و عقيدة خلق القرآن [6] ، فلم يثبت أن صلاح امتحن الناس حتى يقولوا بها ، بل ما يـُفهم أن صلاح الدين نشر العقيدة الأشعرية التي كان يدين بها و يعتقد فيها وأمر بتدريسها والإعلان بها في المساجد ونحو ذلك ، فمع تعصب صلاح الدين الواضح للمذهب الأشعري ، فقد كان من مستشاريه العالم الواعظ ابن نجا الحنبلي (تـ 583 هـ / 1187 م) [7] ، و شيّد بمصر مدرسة للمالكية وهي

---

[1] - محمد بن إدريس الشافعي ، **الأم** ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1413 هـ / 1393 م ، ج :1 ، ص : 462 .

[2] - نفس المصدر ، ص : 463 .

[3] - السيوطي ، **الأشباه والنظائر** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1403 هـ / 1983 م ، ص : 172 .

[4] - تـُعرف بالمرشدية أو الصلاحية (نسبة إلى صلاح الدين) ، منظومة عقيدية على الأصول الأشعرية ألفها له الفقيه تاج الدين الحموي (تـ 599هـ / 1203 م) ، أنظر : **طبقات الشافعية** ، ج : 07 ، ص : 23- 25 ، و الصفحة 60 من هذا المبحث .

[5] - السيوطي ، **الوسائل إلى مسامرة الأوائل** ، ص : 15 . و محمد صديق خان ، **خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب و الأديان** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن لبنان ، الطبعة الأولى ، 1405هـ / 1984م ، ص : 48 .

[6] - عن محنة خلق القرآن و امتحان الناس للقول بها أنظر مثلا : الخطيب البغدادي ، **تاريخ بغداد** ، ج : 4 ، ص : 142 .

[7] - أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا زين الدين الأنصاري الدمشقي الحنبلي الواعظ نزيل مصر. ولد سنة 508هـ / 1115 م ، كان من رؤساء العلماء ، له وجاهة ، ودنيا واسعة ، وهمة عالية ، توفي في رمضان عن إحدى وتسعين سنة ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 6 ، ص : 183 . و الكيلاني ، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين** ، ص : 281 .

المعروفة بالقمحية [1] ، و مدرسة للحنفية وهي المعروفة بالسيوفية [2] ، كما أنه كان طيب العلاقة مع آل المقدسي الحنابلة الذين سكنوا حي الصالحية في دمشق ، فكانوا لا ينقطعون عن غزاة يخرج صلاح الدين فيها ، وقد حضروا معه فتح القدس والسواحل وغيرها [3] .

و لما استقر صلاح الدين في مصر رحل إليه يوسف بن الحسن بن عبد الله الزّرزاري الكردي المعروف بالسِّنْجارِي (تـ 663 هـ / 1265 م) [4] ، قال عنه بن حجر العسقلاني (تـ 852 هـ / 1448 م) " لما استقر الصالح أيوب فِي مملكة مصر رَحَل إِلَيْهِ فتَمكَن منه تَمكّنَ الروحِ من الجسد، وَكَانَ جميل الأخلاق ، كريم النفس ، كثير المروءة والفتوة ، وَكَانَ يتعصب للأشاعرة ، ويغض من الحنابلة " [5] .

كما كان وزيره و قاضيه المقرب إليه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس المارانيّ (تـ 605 هـ / 1209 م) [6] ، على المعتقد الأشعري ، لِما ذكره المقريزي أنهما – أي صلاح الدين و القاضي الماراني - قد نشآ على المعتقد الأشعري منذ كانا في خدمة السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق [7] .

و كان صلاح الدين قد عزل قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة وولى قضاء القضاة لصدر الدين المارانيّ المذكور، واستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية [8] ، و كان معظم شافعية مصر أشاعرة كما سبق تقريريه [9] .

و من خريجي النظاميات الذين شغلوا مناصب عليا في الدولة الأيوبية- زيادة

---

[1] - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 3 ، ص : 110 . و ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 7 ، ص : 667 .

2 - القرشي ، **طبقات الحنفية** ، ج : 01 ، ص : 126 ،و كان ذلك استمراراً لما بدأه الوزير نظام الملك في الدولة السلجوقية، وما قام به نور الدين في الشام .

3 - انظر: ابن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 13 ، ص : 59 .

[4] - ولد سنة ست عشرة وستمائة، وأول ما ولي القضاء بمصر خاصة، في شوال سنة تسع وخمسين وستمائة، عوضا عن الوجيه البهنسي، و في سنة إحدى وثمانين وستمائة قرر في تدريس المدرسة الصلاحية، المجاورة لضريح الشافعي ، ابن حجر العسقلاني ، **رفع الإصر عن قضاة مصر** ، ص : 64 .

[5] - نفس المصدر ، ص : 214 .

[6] - عبد الملك بن عيسى بن دِرْبَاس بن فِيْر بن جَهْم بن عَبْدُوس الهَذَباني الماراني، نسبة إِلَى قبيلة من الأكراد، يقال لَهَا ماران، بجنب الموصل. أبو القاسم صدر الدين الكردي، الشافعي ،ولد في أواخر سنة عشر وخمسمائة، وتفقه بأبي سعد بن أبي عصرون، وبأبي الحسن علي بن سليمان المرادي، ومن أبي القاسم ابن عساكر، وغيرهم، قرره صلاح الدين فِي قضاء مصر فِي جمادى الآخرة سنة 566هـ ، واستمر القاضي صدر الدين عَلَى ولايته مدة السلطان صلاح الدين إِلَى أن مات فِي سنة تسع وثمانين. وسلطنوا ولده العزيز ، توفي ليلة الخامس من شهر رجب سنة 605هـ / 1209 م . عنه انظر : ابن حجر ، **رفع الإصر عن قضاة مصر** ، ص : 112 ، 113 . و الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 474 . و ا بن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 13 ، ص : 57 . و بن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 6 ، ص : 196 .

[7] - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 160 .

8 - ابن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 12 ، ص : 263 .

[9] - أُنظر التمهيد ، ص : 11 .

على ما سبق - أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد الموصلي ثم القــاهري (تـ 632 هـ / 1226 م) كان معيدا بنظامية بغداد ، و صار قاضيا لعسكر صلاح الدين [1] .

و منهم أيضا عيسى الهكاري (تـ 587هـ / 1182 م) ، كان فقيهـا أشعريـا ، و جنديا شجاعا ، عمل بالتدريس و كان مقدما عند صلاح الدين تقدما عظيما و من أعيان أمراء عسكره [2] .

و يُفهم من هذا كله أن صلاح الدين مكّن مناصب عليا و هامة في دولته الناشئة لعدد من الفقهاء و القضاة و الأكابر الذين أُشتهروا بأشعريتهم و بعضهم كان ذو عصبية .

و ذكر السبكي في طبقات الشافعية مرسوما أصدره صلاح الدين في النهي عن الخوض في مسألة الحرف و الصوت [3] ، و بالإطلاع على المرسوم نجده لا يتضمن نفي صفه كلام الله عز و جل بحرف و صوت ، كما هو معتقد أهل الحديث الذين يقررون إثبات كلام الله بحرف و صوت لا يُشبهان ما عند البشر ، و إنما مُراد السلطان نهيه عن الخوض فيها و قطع دابر كل فتنة مُحتملة ، رغم ذلك أورد السبكي المرسوم في سياق النهي عن القول بالحرف و الصوت .

و لخص لنا المقريزي جهود الأيوبيين لتقرير المذهب الأشعري حين قال : " و حفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، وصار يحفّظها صغار أولاده ، فلذلك عقدوا الخناصر وشدّوا البنان على مذهب الأشعري ، وحملوا في أيام مواليهم كافة الناس على التزامـه " [4] ، و قال قال أيضا " فلما ولي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر وولى القضاء صدر الدين عبد الملك بن درباس الهدباني الماراني الشافعي ، كان من رأيه ورأي السلطان اعتقاد مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري في الأصول ، فحمل الناس إلى اليوم على اعتقاده ، حتى يُكفر من خالفه ، وتقدم الأمر إلى المؤذنين أن يعلنوا في وقت التسبيح على المآذن بالليل بذكر العقيدة التي تعرف بالمرشدة ، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة بسائر

---

1 - اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج : 4 ، ص : 65 – 66 . و ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 84 و 90 .

2 - ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 10 ، ص : 190 .

3 - أنظر: السبكي ، المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 351. و السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، ج : 2 ، ص : 19 .

4 - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 160 .

جوامع مصر والقاهرة إلى وقتنا هذا "[1] ، و قد عاش المقريزي إلى عام 845هـ / 1442 م .

و عموما كان للسلطان صلاح الدين جهد كبير بذله في حمل الناس على المذهب الأشعري أيام حكمه على مصر و الشام والحجاز واليمن ، و ينقل لنا المقريزي في الخطط نتيجة ذلك فيقول : " وحملوا في أيام مواليهم كافة الناس على التزامه – أي المذهب الأشعري - فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك "[2] (يقصد المماليك) .

و نخلص مما سبق إلى أن صلاح الدين نشأ على المعتقد الأشعري و تشبع به ، فلما استقر سلطانا في مصر ، ظهر منه ذلك جليا فانتصر للمذهب الأشعري انتصار العبيديين قبله لمذهبهم ، فأطلق حريتهم و حظي أئمة الأشعرية عنده بالمكانة العالية ، و توطد المذهب منذ عهده و صار مذهباً لمواليهم المماليك لما قامت دولتهم .

ونتلمس نتائج هذا الإنتصار السياسي للمذهب الأشعري في كلام ابن قدامة المقدسي الحنبلي (تـ 620 هـ / 1223 م) في مناظرته للأشاعرة و رده على دعوى أن كثرتهم و ظهور سلطانهم في زمانه هو دليل صواب معتقدهم ، فرد عليهم بجواب طويل قرر فيه أن الحق لا يُعرف بالاشتهار و لا بالانتشار، و أن الحق لم يخف على النبي صلى الله عليه و سلم حتى جاء الأشعري فبينه و كشفه[3] ، فقال في جوابه : " و من العجب أن أهل البدع – يقصد بهم أشاعرة زمانه - يستدلون على كونهم أهل الحق بكثرتهم وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم فيجعلون ما جعله النبي صلى الله عليه وسلم دليل الحق وعلامة السنة دليل الباطل ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا بقلة أهل الحق في آخر الزمان وغربتهم وظهور أهل البدع وكثرتهم ، و لكنهم سلكوا سبيل الأمم في استدلالهم على أنبيائهم وأصحاب أنبيائهم بكثرة أموالهم وأولادهم وضعف أهل الحق فقال قوم نوح له : " ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين

---

[1] - نفس المصدر ، ج : 2 ، ص : 488 .

[2] - نفس المصدر ، ج : 4 ، ص : 160 . و محمد الصديق خان ، المرجع السابق ، ص : 48.

[3] - المقدسي ، **حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة** ، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، الطبعة 01 ، الرياض ، مكتبة الرشد ، 1409 هـ / 1989 م ، ص : 51 .

" [1] ، ... وقد كان قيصر ملك الروم وهو كافر أهدى منهم فإنه حين بلغه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم سأل عنه أبا سفيان فقال يتبعه ضعفاء الناس أو أقوياؤهم فقال بل ضعفاؤهم فكان هذا مما استدل به على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنهم أتباع الرسل في كل عصر وزمان " [2] .

و لن نتوقف عند ردود الطرفين فليس بموضوعنا ، و إنما ما يـُمكن استنباطه من هذا الكلام هو التأييد السلطاني الكبير الذي حظي به الأشاعرة في القرن الخامس ما دفع بابن قدامة المقدسي إلى الكلام عنه و التأريخ له .

و ختاما لهذا الفصل تبين لنا أن نهاية القرن 5هـ / 11 م كانت نقطة تحول هامة في تاريخ الحركة المذهبية في العالم الإسلامي عامة و المذهب الأشعري خاصة ، و ذلك منذ أن حظي المذهب بتأييدٍ مطلقٍ لا مشروط من السلطة السلجوقية مُمثلةً في وزيرها نظام الملك الطوسي ، و الذي جسد ذلك التأييد في الانتصار للأشاعرة و الرفع من مكانتهم في دولته ، و تشييده المدارس لهم في أبـرز حواضر المشرق الإسلامي ، و قد كان لهذه المدارس الفضل الأكبر في تخريج الفقهاء و العلماء و القضاة و الإطارات الذي تولوا الصدارة و المناصب العليا في الدول الإسلامية التي أعقبت سقوط الدولة السلجوقية ، فكانت هذه الدول نفس آخر للمذهب الأشعري للتوطد و الانتشار ، خاصة في الدولة الزنكية التي اعتمدت على تلك الإطارات لكفاءتها في القضاء و الإدارة ، و الدولية الأيوبية التي كان لتلك الإطارات و تلامذتهم المكانة العليا ، و الدولة الموحدية بالمغرب و التي كان مؤسسها محمد ابن تومرت – و هو من خريجي المدارس النظامية - بسياسته العسكرية و التلفيقية عاملا رئيسيا في تحول المغرب من المذهب مذهب السلف و التوثـّق بالمذهب الأشعري .

فكان تدخل الساسة العامل الحسم في الإنقلاب الذي شهده المذهب الأشعري ، فانتشر و ساد ففـُرض بسلطة السياسيين الذين حموا و شجعوا و مولـوا و مونـوا و بنوا المدارس و تدخلوا بالعساكر .

---

[1]- سورة هود ، الآية : 27 .
[2] - المقدسي ، **حكاية المناظرة** ، ص : 62 .

و يتـأكـد لنـا مما سبق ما قرره المـاوردي (تـ 450 هـ / 1058م) حيـن قال بأنه ما من دين زال سلطانه إلاّ بـُدلت أحكامـه وطـُمست أعلامه وكان لكل زعيم فيه بدعة [1] ، وهذا القـول ينطبـق مع تفسيـر أبي حـامد الغزالي (تـ 505هـ / 1112 م) للعلاقة بين الملك والدين حيث يقول " الملك والدين توأمان ، فالدين أصل والسلطان حارس ، ومالا أصل له فمهـدوم ، وما لا حارس لـه فضـائع [2] .



---

[1] - الماوردي ، المصـدر السـابـق ، ص : 115 .

[2] **- الغزالي** ، **إحياء علوم الدين إحياء علوم الدين** ، بيروت ، دار المعارف ، ج : 1 ، ص : 17 . و كتابه الآخر **الاقتصاد في الاعتقاد** ص : 135 .

الفصل الثالـث : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي و مغربه

(457هـ - 660 هـ / 1065 م - 1262 م) .

- **المبحث الأول : دور المدارس السلجوقية و الزنكية و الأيوبية في دعم المذه ب الأشعري و نشره علميا في العراق و بلاد فارس و الشام و مصر (457هـ - 589هـ / 1065 م – 1193م) .**
- **المبحث الثاني : دور الموحدين في دعم المذهب الأشعري في الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي (505 هـ- 554 هـ / 1133 م-1163 م) .**
- **المبحث الثالث : دور ملوك الأيوبيين في الانتصار للعز بن عبد السلام في خلافه مع أهل الحديث بدمشق و القاهرة (630هـ- 660 هـ / 1233 م– 1262 م).**

❖ ***الفصل الثالث : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي و مغربه :***

(457هـ - 660 هـ / 1065 م - 1262 م) .

سبق لنا الحديث عن مواقف السلطة السياسية في الإنتصار للمذهب الأشعري في المجال السياسي ، حيث استغل من انتصروا للمذهب من الساسة كامل صلاحياتهم في هذا المجال ، و سنحاول في هذا الفصل تتبع المواقف السياسية التي انتصرت للمذهب الأشعري في المجال العلمي مشرقا و مغربا ، و من ثم تقييم دورها في انتشار المذهب الأشعري أيضا .

المبحث الأول : دور المدارس السلجوقية و الزنكية و الأيوبية في دعم المذهب الأشعري و نشره في العراق و بلاد فارس و الشام و مصر (457هـ - 589هـ / 1065 م – 1193م) .

كانت المساجد أُولى مراكز التعليم لدى المسلمين ، فإلى جانب كونها محل للعبادة - تـُقام فيها الصلاة و تـُلقى فيها الخطب - كانت محكمة للتقاضي ، و أكبر معهدٍ للدراسة [1] ، و استطاع المسجد بذلك أن يسع الحركة العلمية في صدر الإسلام .

و لم يكن ظهور المدارس كمراكز علمية مستقلة في نشاطها إلا في العصر العباسي الثاني (232هـ - 590 هـ / 847 م – 1194 م) على اختلافٍ في تحديد سنة ظهورها ، فقد اقترن ظهورها في التاريخ الإسلامي بفترة وزارة نظام الملك الطوسي للسلاجقة (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092م) ، و ذكرت بعض المصادر أنه أول من أنشأ مدرسة في الإسلام [2] ، و فنـّد المقريزي (تـ 845هـ / 1442 م) ذلك [3] ، كما فنده قبله السبكي (تـ 711 هـ / 1312 م) في معرض رده على أستاذه الإمام شمس الدين الذهبي ، فقال : " و شيخنا الذهبي زعم أنه – أي نظام الملك - أول من بنى المدارس و ليس كذلك " [4] ، ثم ذكر عددا من المدارس التي كانت قبل ذلك ، و منها : المدرسة البيهقية بنيسابور التي أُنشئت قبل أن يولد نظام الملك (و كان مولده سنة 408هـ / 1018 م) ، و المدرسة السعدية بنيسابور [5] و التي بناها الأمير نصر بن سبكتكين (تـ 412 هـ / 1021 م) لما كان واليا للغزنويين على نيسابور ، و مدرسة ثالثة بنيسابور أيضا بناها أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنيى الإسترابادي الواعظ الصوفي (تـ 440 هـ / 1049 م) ، ومدرسة رابعة بنيسابور كذلك بـُنيت للأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني (تـ 418هـ / 1027 م) " لم يُبن مثلها من قبل " [6] .

---

1 - أنظر : المقريزي ، **الخطط** ، ج : 2 ، ص : 326 . و احمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، ج : 2 ، ص : 49 - 66.

2 - السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص : 113 . و منهم الإمام الذهبي الذي نقل عنه تلميذه السبكي القول بذلك ، أنظر " السبكي ، **طبقات الشافعية** ، ج : 4 ، ص : 314 .

3 - المقريزي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 109.

4 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 314 .

5 - ذكرها الذهبي أيضا : **تاريخ الإسلام** ، ص : 2981 .

6 - أُنظر : السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 314 و ص : 170 ، و ذكر مدرسة أخرى في موضع آخر و هي مدرسة محمدد بن عبد الله بن حمشاد الأستاذ أبو منصور الحمشادى (تـ 388هـ / 998 م) الذي وصفه السبكي بأنه كان إلى أن خرج من دار الدنيا وهو ملازم لمسجد ومدرسته ، نفس المصدر ، ج : 4 ، ص : 314) ، و ذكر مدرسة أخرى ببغداد بـُنيت لأبي الحسين البصري المعروف بابن اللبان الفرضي (تـ 402 هـ / 1012 م) ، نفس المصدر : ج : 2 ، ص : 192 .

لكن الجديد الذي كان الوزير نظام الملك سباقا ً إليه هو توحيد نُظُمـها و مُقرراتها و أهدافها وجعلها تحت وصاية الدولة كما سنرى ، و هذا ما يجعلنا نفهم نسبة كثير من المؤرخين والباحثين إنشاء المدارس للوزير نظام الملك دون من سبقه .

و يرجع ظهور المدارس في تلك الفترة و قيامها مقام المساجد إلى ازدياد الإقبال على الدراسات الشرعية [1] ، و هو ما جعل احتمال المسجد للصلاة والتدريس معاً أمراً صعباً ، بالإضافة إلى رغبة الدول في إعداد الإطارات الفنية المؤهلة لممارسة الأعمال المختلفة ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة وإدارة دواوينها ، وبخاصة في مجال القضاء والإدارة ، خصوصاً و أن الوظائف قد تشعبت وكثرت وتضخمت مع اتساع الدولـة الإسلامية [2] .

لكن عند الكلام عن المدارس النظامية في القرنين الرابـع و الخـامس الهجريين – موضوع حديثنا - فإن تلك الأسباب تتأخر و تكون أسبابا ثانوية أمام سبب آخر هام ، ألا و هو الانتشار الرهيب للتشيع في المشرق الإسلامي خلال القرن 4هـ / 10 م بسبب ما حظي بـه التشيع من انتصـارٍ و تمكيـن ٍسياسييـن .

فمما لا يخفى على الباحث أن القرن 4هـ / 10 م - الذي سبق ظهور المدارس النظامية – كان بحق قرن دول التشيع [3] ، و رافق ذلك الإنتشار السياسي الشيعي انتشارا فكريًا ، بعد أن لجأ الشيعة الإسماعيلية منهم و الإمامية إلى إنشاء مؤسسات تعليمية تتولى الترويج لعقائدهم ، وتعمل على نشرها ، و خير دليل على ذلك الجامع الأزهر و دار الحكمة اللذين أسسهما الفاطميون في القرن 4هـ / 10 م بالقاهرة [4] . فلم فلم يكن إيقاف تلك الحركة الفكرية الشيعية الباطنية - فضلاً عن القضاء عليها - بالأمر الهيّن ، فقد تغلغلت جذورها في العالم الإسلامي مشرقه و مغربه ، لذلك كله فكر نظام الملك في أن يُقاوم النفوذ الشيعي بنفس الأسلوب الذي ينتشر به ، و يقرن المقاومة

---

1 - أحمد شلبي ، **التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها** ، القاهرة ، الطبعة 06 ، مكتبة النهضة المصرية 1398 هـ / 1978م ، ص : 112 ، 113.

2 - أبو الفتوح بدوي ، المـرجـع السـابـق ، ص : 179 .

3 - إذْ كانت مصر و الحجاز في يد الفاطميين العبيديين (296 - 567هـ / 909 م – 1172 م) ، و كان العراق و خراسان و ما جاورها في يد البويهيين (322-454هـ / 934 م – 1062 م) ، و كان الشام و سوريا و الموصل و كركوك في يد الحمدانيين (293 - 392 هـ / 906 م – 1002 م) .

4 - السيوطي ، المصـدر السـابـق ، ص : 345 . و المقريزي ، **اتعاظ الحنفا** ، ج : 2 ، ص : 26 .

السياسية للشيعة بمقاومة فكرية موازية ، فأنشأ مدارسه في المشرق الإسلامي و خصّ إقليم ما وراء النهر بأغلبها للتواجد الشيعي المركز بها ، و نُسبت إليه تلك المدارس باعتباره من جدّ في إنشائها و التخطيط لها ، فوقف عليها الأوقاف الواسعة ، وقرر أن يكون شريان هذه المدارس فقهاء الأشاعرة الشافعية [1] .

و لا شك أن ينتاب الباحث الفضولُ و الرغبة في معرفة سبب هذا الإيثار من نظام الملك للطائفة الأشعرية الشافعية بالذات دون غيرها من الطوائف السنية الأكثر انتشارا و امتدادا .

و الواقع أن المصادر لا تمدنا شيئًا عن النشأة المذهبية الفكرية لنظام الملك قبل أن يسطع نجمه في الساحة السياسية ، و الأرجح أن وقفه لجميع مدارسه على المذهب الأشعري أصولا و الشافعي فروعا نابع من أشعريته ، و تمذهبه بهذا المذهب ، و ربما التعصب له ، و أورد بعضهم احتمالاً بأن تركيزه على المذهب الشافعي يرجع لقرب صاحب المذهب – الإمام الشافعي - من النسب النبوي ، حيث كان أحد أهداف المدارس النظامية – كما هو معلوم – تقويض المذهب الشيعي الباطني الذي تبنته الدولة الفاطمية والتي يزعم مؤسسوها بأنهم من أهل البيت وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم [2] ، و ذهب بعضهم إلى أن اختياره هذا نابع من اعتقاده أن الأشاعرة بما يحملونه من كلام و فلسفة و جدل هم أهلٌ أكثر من غيرهم لمجابهة الفكر الشيعي ، لا سيما و قد كان لهم وقفات ضد المعتزلة [3] .

و ممن قطع بهذا الرأي الأخير الباحث أبو الفتوح بدوي ، حيث اعتبر قرار نظام الملك قرارا ذكيا و مُوفقاً ، و رأى أن الأشعرية كانت الفئة الأقدر على النضال في الميدان الفكري ، و زعم أنهم – أي الأشاعرة - أجدر فرق أهل السنة لقيادة الحركة الفكرية في تلك الفترة لأنهم كانوا المؤهلين لمواجهة الشيعة فكريا بعد أن اتخذوا لأنفسهم منهجا و سطا - فيما يتعلق بأصول العقيدة – بين أهل التشبيه و أهل

---

1 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 66 . و أبو الفتوح بدوي ، المرجع السابق ، ص : 183 ، 184 . و حسين أمين ، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي** ، المكتبة الأهلية ، بغداد ، 1385 ه - / 1965م ، ص : 227 .

2 - الصلابي ، **السلاجقة** ، ص : 307 .

3 - أنظر التمهيد ، ص : 11 .

التنزيه ، و استخدموا العقل في الدفاع عن القضايا الإيمانية دون شطط أو إسراف في الإعتماد عليه ، في الوقت الذي عجز فيه المالكية و الحنابلة عن هذه المهمة لجمودهم أمام ظواهر النصوص [1] .

و نؤكد – بدورنا - ما ذهب إليه الباحث في كون نظام الملك كان يعتقد في قوة الأشاعرة الفكرية و الجدلية ، و في تعويله عليهم في إنجاح مدارسه ، و لكن لا يُمكن أن نوافقه في تسليمه بأن أهل الكلام الأشاعرة الأقدر و الأفضل في مقاومة الفكر الشيعي فضلا أن يكونوا وحدهم فقط على الساحة المؤهلين لذلك كما زعم .

و قوله مُجازفة كبيرة يُفنّدها ما تزخر به المكتبة الإسلامية من مُصنفات أهل الحديث الخالية من الفلسفة و علم الكلام و التأويل ، و التي صُنفت خصيصا للرد على الشيعة و الرافضة و المعتزلة و المشبهة و الجهمية و الزنادقة و اليهود و النصارى و غيرهم من أعداء الإسلام ، و كانت تلك الردود تحمل قوة في ذاتها ، تولاها أهل الحديث الذين عُرف عنهم العداء الشديد لعلم الكلام [2] ، و حققت كثيرا من أهدافها و لم يكن حينها للأشعرية اسم يُذكر ، و هي كثيرة أبين من أن تحتاج إلى بيان .

و لعل الأهم الذي يجب أن نعلمه أن أعداء الإسلام ظهروا بظهوره و قيام دولته ، فانبرى السلف للرد على ذلك بما توفر لديهم من آيات الكتاب و أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم ، و علمُ الكلام حينها لم تقُم قائمته بعد ، و في مناظرة ابن عباس - رضي الله عنهما - الشهيرة للخوارج ما يؤكد ذلك ، حيث أقام عليهم الحجة و أفحمهم حين رد شبههم الثلاث بآيتين وحديث [3] فرجع أكثرهم [4] ، و قد قال ابن عباس للخوارج قبل مناظرتهم : " أرأيتم إن خرجت لكم من كتاب الله وسنة رسوله

---

1 - أبو الفتوح بدوي ، المرجع السابق ، ص : 184 ، 185 .

2 - هذه الكتب و غيرها منثورة في بطون كتب التاريخ و التراجم الأصول و غيرها ، أُنظر مثلا رسالة جامعة حولها لهمام بن محمد الجزائري ، **الثبت المأمون لمؤلفات الردود على المخالفين عبر القرون** ، رسالة إلكترونية من مكتبة موقع جمعية الدعوة إلى القرآن و السنة بمراكش المغربية : **www.maghrawi.net** .

3 - أُنظر تفاصيل المناظرة في كتب التاريخ ، منها مثلا : الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 476 ، وعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ، **مختصر سيرة الرسول** ، الطبعة 01 ، دمشق ، الرياض ، دار الفيحاء ، دار السلام ، 1417هـ / 1997م ، ص : 236 .

4 - قال الذهبي بعد سرده لتلك المناظرة عن الخوارج " فرجع ثلثهم وانصرف ثلثهم وقتل سائرهم على ضلالة " ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 477 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 279 .

أراجعون أنتم قالوا : وما يمنعنا "[1] .

و لما برز علم الكلام و قامت سوقه أنكر الأئمة على من يشتغل بهذا العلم - أي الباطل من علم الكلام - حتى على من اشتغل به للرد على المبتدعة[2] .

أما الوسطية التي خص بها المؤلف الأشاعرة فهي مبالغة أخرى منه ، و إن كان لأهل الكلام و الأشاعرة وسطية فعلاً فهي وسطية بين حق و باطل ، لأن الأشاعرة اتخذوا موقفا بين أهل الحديث - أهل الحق المتمسكون بهدي السلف - و المعتزلة - أهل الباطل المُجانبون لهدي السلف - و من كان هذا حاله فسيجمع بين الحق و الباطل ، و بين الصواب و الخطأ ، فلا هو حق كله ، و لا هو باطل كله ، و لا هو يمثل مذهب السلف على حقيقته ، و لا هو يمثل مذهب المعتزلة على حقيقته ، و إنما هو يمثل طائفة ثالثة هي برزخ بين المذهبين[3] ، و انطلاقا من ذلك اعتبر الإمام السجزي (تـ444هـ / 1053 م) الأشاعرة بوسطيتهم المزعومة تلك أضر على عوام أهل السنة من المعتزلة لأنهم أكثر تستراً و تقرباً من أهل السنة بخلاف المعتزلة الظاهر زيغهم لكل العوام[4] .

و لعل الباحث نسي أو تناسى ما تواتر في كتب و التاريخ و التراجم و السير و غيرها عن رجوع كثير من المتكلمين البارعين في علم الكلام و رفضهم له بعد الممارسة الطويلة ، و صدرت عنهم أقوال في ذمه و التحذير منه ، لأنهم بعد التجربة تأكد عندهم بأنه لا فائدة تُجنى من ممارسته ، و إن وجد ت فإن الضرر أرجح من المنفعة[5] .

و على كلٍ كان هذا اختيار نظام الملك و قراره الحاسم و النافذ رغم أن ذلك يُخالف ما كان عليه سلاطين السلاجقة الماترديين الأحناف[6] ، فقد ورد في وثيقة وقفية

---

1 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 476 .

2 -أنظر مثلا : إبراهيم التهامي ، **حكم الإشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام** ، الطبعة 01 ، دار قرطبة ، 1427 هـ / 2006 م ، ص : 6 ، 7 ، 8 ، 9 .

5 - خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 166 .

4- السجزي ، **رسالة السجزي** ، ص: 3، 45 ، 46 ، 61 .

5 - أنظر مثلا : الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج : 18 ، ص : 473 و 374 . و محمد بن إبراهيم الوزير ، **الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، قدم له و اعتنى به بكر بن عبد الله أبو زيد و علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، ج : 2 ص : 14 . و إبراهيم التهامي الذي عدد بعضها ، المصدر السابق ، ص : 11 - 15 .

6 - ناقشنا ذلك بتفصيل في المبحث الأول من الفصل الأول ص : 8 و 9 .

وقفية نظامية ببغداد أنها وقف ٌ على أصحاب الشافعي أصلاً وفرعاً ، و شمل هذا الشـرط الطالب و المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها و حتى متولي الكتب .[1]

و معلوم أن الشافعية كانوا في تلك الفترة ألصق بالمذهب الأشعري ، الذي تجاذبته أربع تيارات أصولية بعد الأزمة العقيدية التي لحقت بالمذهب السني خلال القرنين 5 و6هـ ، هذه التيارات هي : الأشعرية و السلفية والمعتزلية و المجسمة ، وكانت الطائفة الكبيرة من الشافعية قد احتضنت الأشعرية وتعصبت لها و دافعت عنها .[2]

و في قصة رجوع الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي (تـ550هـ/ 1155 م) عن المذهب الشافعي إلى الحنبلي ما يؤكد ذلك ، فورد عنه أنه أعاد صلاته التي صلاها وهو شافعي منذ احتلامه إلى أن تحنبل ، وأنه غسل جميع ما في منزله من آلة وفرش وثياب ، وحتى جدار داره ، فلما سُئل بعض حنابلة بغداد عن فعله ذاك مع أن الحنابلة في كتُبهم يقرون أن الإمام أحمد بن حنبل قرأ على الشافعي وأنه كان يُثني عليه إلى أن مات وأنه كان يستغفر له ويقول ما عرفنا تأويل الأحاديث حتى ورد هذا الحجازي وأنه مشى إلى جنب بغلة الشافعي إلى غير ذلك ، فقالوا : إنما فعل ذلك لأجل ما كان يعتقده من مذهب الأشعري [3] ، فيُفهم من هذا أن رجوعه عن المذهب الشافعي هو رجوع عن المذهب الأشعري . و لـما ترجم ابن الجوزي للقاضي أبي عبد الله الدامغاني الحنفي الأشعري (تـ 478هـ / 1085 م) أعقب ذلك بقوله " وهذا مما يستظرف أن يكون الحنفي أشعريـا " [4] ، و سبب استغرابه يوحي بأن الشافعية كانوا أكثرهم أشاعرة ، إلا أنه وُجد مع ذلك فقهاء شافعية أفذاذ كانوا على معتقد أهل الحديث و لعل أبرزهم الإمام شمس الدين الذهبي (تـ 748 هـ / 1347 م) [5] .

و خلاصة التحقيق في هذه المسألة ما ذكره بن الجوزي بأن الأشعرية عقب

---

1 - ابن الجوزي ، ج : 9 ، ص : 66 .

2 - أُنظر: خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 67 – 73

3 - ابن أيبك الصفدي ، المصـدر السـابـق ، ص : 627 ، و ابن حجر العسقلاني ، **انباء الغمر** ، ص : 351 .

4 - ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 8 ، ص : 287 .

5- أُنظر عبد الستار الشيخ ، **الحافظ الذهبي ، مؤرخ الإسلام ناقد المحدثين إمام المعدلين و الجارحين** ، الطبعة 01 ، دمشق ، دار القلم ، 141هـ / 1994م ، ص : 287 – 314 .

تولي نظام الملك وزارة السلاجقة عظُم أمره ا و اعتنقها معظم الشافعية [1] .

فهذا كله يؤكد أن المذهب الشافعي كان يُطلق ليُراد به – بالإضافة إلى فقه الإمام الشافعي – عقيدة الأشاعرة ، و من ذلك كله أيضا يـُفهم أن قرار نظام الملك تخصيصَ مدارسه للشافعية أصلا و فرعا عنى به الأشاعرة .

فكان- إذاً - أول ما بدأ به نظام الملك في تسيير مدارسه أن وضع هذا المنهاج الدراسي القائم على التراث الفكري للأشاعرة أصولا و الشافعي فروعا ، مُدَعما ذلك ببعض المواد المـُعينة كالحديث ، والنحو وعلمي اللغة والأدب ، فقد أشار ابن الجوزي إلى أن وقفية نظام الملك الخاصة بمدرسة بغداد نصت على أن يكون في المدرسة نحوي يدرس العربية [2] .

ثم شرع الوزير في تهيئة الوسائل الكفيلةً بـتحقيق أهداف المدارس النظامية ، فاختار لها ابتداء ًمواقعَ جغرافية متميزة ، فيقول السبكي عن نظام الملك : إنه بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ ، ومدرسة بنيسابور، ومدرسة بهراة ، ومدرسة بأصبهان ، ومدرسة بالبصرة ، ومدرسة بمرو ، ومدرسة بآمل طبرستان ، ومدرسة بالموصل ، و يُـقال إن له في كل مدينة بالعراق و خرسان مدرسة [3] .

و يـُفيد كلام السبكي بهذه الصيغة أن المدارس التي ذكرها باسمها هي المدارس المشهورة فقط ، و ما يـُلاحظ على هذه الأماكن هو كونها حواضر المشرق السياسية و الفكرية أنذاك (إذا استثنينا القاهرة التي كانت تأنُّ تحت وطأة العبيديين الشيعة) ، فلم يكن اختيار الوزير لتلك الحواضر عشوائيا .

أما الإطارات المُسيرة لهذه المدارس فقد أولاها الوزير العناية الكبرى ، لأن نجاح أي مدرسة يتوقف حتماً على هيئة التدريس التي تـُعَدُ عَصبها ، و لأهمية ذلك جعل تعيين المدرسين فيها من صلاحياته الخاصة في أول تأسيس المدرسة النظامية ، و تبين ذلك لنا جليا عندما عيّـن نظام الملك أبا إسحاق الشيرازي(تـ 476 هـ

---

1 - أنظر : ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 6 ، ص : 332 و ص : 359 .
2 - نفس المصدر ، ج : 9 ، ص : 66 .
3 - السبكي ، المصدر السابق ، ج :4 ، ص : 180.

/ 1084 م) للتدريس في نظامية بغداد [1] .

و كان تعيينه – نظام الملك – لأولئك المدرسين يجري وفق تقاليدٍ مظبوطة ، فلا يُعيّن الواحد منهم إلا بعد أن يستمع إليه ، ويثق في كفاءته ، بما يُشبه المقابلة أو المسابقة التي تسبق التوظيف في عصرنا ، حدث ذلك مع الإمام الغزالي (تـ 505هـ / 1112 م) قبل أن يوليه تدريس نظاميته ببغداد [2] ، و أبي بكر بن ثابت الخجندي (تـ469هـ/1103م) الذي سمعه نظام الملك بمرو وأُعجب به " فحمله إلى أصبهان و عينه مدرسا بمدرستها فنال جاها عريضا " [3] ، و هذا الحرص الشديد كله جعل المدارس أشعرية خالصة .

وإذا صدر الأمر بالتعيين للمدرس ، سار إلى الجهة التي أُختير لها ، فإذا كان إلى بغداد مثلاً توجه إلى دار الخلافة عند وصوله حيث يُوافَقُ على التعيين ، ثم يُخلعُ عليه طُرحة زرقاء و أهبة سوداء ، ويُحتفل به في المدرسة حين يقْدُم لأول مرة ، و يحضر درسه كبار رجال الدولة والأساتذة والشعراء ، و حين ينتهي من درسه تلقى الخطب والقصائد في الترحيب به والثناء عليه [4] .

وقد يصل إعجاب الوزير بأحد الإطارات العلمية الأشعرية أن يبني له مدرسة خاصة به و يتكفل بجميع تبعاتها المالية و التنظيمية ، كما حدث مع إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (تـ 478 هـ / 1085 م) الذي بنى له نظام الملك مدرسة بنيسابور بعدما عاد إليها من الحجاز التي فر إليها زمن لعن الأشعرية خلال نوبة الوزير أبي نصر الكندري [5] ، فتولى التدريس و الخطابة بها وكان يجلس للوعظ والمناظرة وظهرت تصانيفه وحضر دروسه الأكابر من الأئمة ، وانتهت إليه رياسة الأصحاب وفوض إليه أمور الأوقاف [6] ، و قد كان نظام الملك

---

1 - السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص : 113 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 246 .
2 - السبكي، المصدر السابق ، ج :4 ، ص : 103 ، ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 587 .
3 - ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 9 ، ص : 69 .
4 - الصلابي ، **السلاجقة** ، ص : 299 - 303 .
5 - اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 95 – 96 .
6 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 167 – 168 .

يُوقر أبا المعالي الجويني و يستعظمه [1] .

و قبله حدث نفس الأمر مع إمام الأشاعرة في زمانه أبي إسحاق الشيرازي (تـ 476هـ / 1084 م) فبنى له نظامية بغداد على شاطىء دجلة سنة 459هـ / 1067 م و كان قبلها يُدرس في مسجد بباب المراتب [2] ، و أصر عليه بالتدريس فيها رغم تمنّعه في أول الأمر [3] ، و لما توفي الشيخ سنــة 476هـ/ 1084 م و رتب ابنه مؤيد الدولة أبا سعد المتولي مدرسا أنكر نظام الملك ذلك وقال : كان من الواجب أن تـُغلق المدرسة سنة من أجل الشيخ [4] ، و ما سبق يعكس ما كان يُكنه نظام الملك من التبجيل و التوقير لأساتذة مدارسه الأشاعرة ، و ما كان يحوطهم به من العناية و التأييد .

و إلى جانب ذلك كان الوزير كلما زاره إمام من أئمة الكلام في العقيدة الأشعرية عمد إلى بعثـه " كأستاذ زائـر" [5] إلى مدارســه النظامية للإسهام في إلقاء الخطب بـهـا و المحاضرات عن العقيدة الأشعرية كما حدث مـع الفقيه المتكلم أبي نصر القشيري (تـ 514هـ/1120م) حين أرسله كأستاذ زائر إلى نظامية بغداد [6] و الشريف أبي القاسم البكري المغربي (تـ 467هـ /1083م) [7] ، و مع المتكلم النحوي يوسف بن علي بن سوادة المغربي البسكري (تـ 465هـ / 1073 م) [8] الذي أرسله نظام الملك الوزير ليجلس في مدرسته بنيسابور.

---

1 - كان الوزير كلما دخل عليه الإمام الجويني و أبي القاسم القشيري يقوم لهما ويجلس في مسنده . أُنظر : السبكي ، المصـدر السـابـق ، ج : 4 ، ص : 481 .

2 - نفس المصدر ، ج : 4 ، ص : 218 .

3 - وكان السبب في ذلك أن شابا لقيه فقال يا سيدنا كيف تدرس في مكان مغضوب ، ذلـك لأن أبا سعد القاضي غصب أكثرها ونقض قطعة من البلد لأجلها ، فغير الإمام الشيرازي نيته و اختفى فلم يحضر وقال إني لم أطب نفسا بالجلوس في هذه المدرسة لما بلغني ، فلما أيسوا من حضوره درس ابن الصباغ – مصنف كتاب الشامل في الفه الشافعي- فلما وصل الخبر إلى الوزير أقام القيامة على العميد أبي سعيد ، و لم يزل يرفق بأبي إسحاق حتـى تراجع عن موقفه ذاك أمام إلحاح أصحابه ، فكان يُـدرس بها ، فإذا حضر وقت الصلاة لم يصل بها في خرج منها و يقصد بعض المساجد للصلاة ، و قال الذهبي أنه درس بها ولم يتناول جَامِكّية (أي رواتب خدم الدولة) . أُنظر: ابن الجوزي ، المصـدر السـابـق ، ج : 8 ، ص : 247 ، اليافعي ، المصـدر السـابـق ، ج : 3 ، ص : 87 . و ابن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 12 ، ص : 95 – 96 . و الذهبي ، **العبـر** ، ص : 211. و ، **سير أعلام النبلاء** ، ج : 18 ، ص : 461 . و ابن الجوزي المصـدر السـابـق ، ج : 8 ، ص : 247

4 - اليافعي ، المصـدر السـابـق ، ج : 3 ، ص : 91 . الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3319 . و **سير أعلام النبلاء** ، ج : 18 ، ص : 461 .

5 - مصطلح حديث يعني استقدام أساتذة من جامعاتهم إلى جامعات أخرى للتدريس بها فترة محددة من الزمن .

6 - أُنظر : ابن الأثير، المصـدر السـابـق ، ج : 8 ، ص : 428 . و عبد الرزاق زكريا المصري ، **الإمام الشيرازي بين العلم و العمل و المعتقد و السلوك** ، الطبعة 01 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413هـ / 1992م ، ص : 68 .

7 - الذهبي ، **العبـر** ، ص : 220 . و **تاريخ الإسلام** ، ص : 3320 . و ابن أيبك الصفدي ، المصـدر السـابـق ، ص : 2829 .

8 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3221 . وأنظر ترجمته في المبحث الأول من الفصل الأول ، ص : 6 .

كما أحدث الوزير أيضا في مدارسه ما يُعرفُ بنظام التناوب على الكرسي الواحد في التدريس ، عندما تتوازى كفاءة مدرسيْن ، ففي حوادث سنة 483هـ / 1090 م يذكر ابن الجوزي أنه في المحرم من هذه السنة ورد أبو عبد الله الطبري الفقيه بمنشور من نظام الملك بتوليه التدريس بالنظامية فدرس بها ثم وصل في ربيع الآخر أبو محمد عبد الوهاب الشيرازي ومعه منشور بالتدريس بها ، فتقرر أن يُدرس فيها هذا يومًا و ذاك يومًا [1]

و كان الوزير يُدرك – و هو الفقيه – أن مؤسساته التعليمية بغير مكتبات هيكل بلا روح ، فحرص – انطلاقا من ذلك - على تهيئة المناخ العلمي الذي يُساعدهم على الدراسة والبحث ، فاهتم اهتماماً كبيراً بتوفير المراجع العلمية داخل هذه المدارس ، فكان في كل مدرسة مكتبة عامرة يتولى أمرها و يقوم على شؤونها ، فقد أشار ابن الجوزي إلى أن وقفية نظامية بغداد نصت على أن يكون متولي الكتب بها أيضاً شافعياً أشعريا ، كما أشارت إلى أن نظام الملك وقف على هذه المدرسة كثيراً من الكتب [2] .

و ما يدل على ذلك أيضًا أنه لما نَدُر كتاب التهذيب في النحو - أكثر من عشر مجلدات – للغوي أبي منصور طلحة بن نوح الهروي الشافعي (تـ 371 هـ / 982 م) ، وُجدت نسخة منه موقُوفَة بالمدرسةِ النِّظامية ببغداد وهي في غايةِ الوُضُوحِ ضَبطاً وشَكلاً [3] .

وكان نظام الملك يتفقد هذه المدارس و المكتبات بنفسه ، ففي المحرم من عام 480هـ / 1087 م ذكر ابن الجوزي أن نظام الملك زار نظامية بغداد ، وجلس في خزانة كتبها ، وقرأ بها كتباً ، ثم شارك في التدريس ، فقرأ الفقهاء عليه شيئاً من الحديث الشريف ، وأملى عليهم بعضاً منه [4] ، و كان الوزير نفسه قد أسهم بمؤلف

---

1 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 136 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3349 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 53 . و ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 465 .

2 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 66 . و أبو الفتوح بدوي ، المرجع السابق ، ص : 186 .

3 - الزبيدي ، **تاج العروس** ، تحقيق علي شيري ، بيروت ، دار الفكر ، ص : 4515 ، و القنوجي ، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1398 هـ / 1978 م ، ج : 3 ، ص : 7 . و إسماعيل باشا البغدادي ، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين** ، ص : 471 .

4 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 36 .

في السياسة و النـُظم عـُرف بسياسة نامه أو سير الملوك [1] .

وكان الوزير كثير الإنفاق على المدارس وعلى العلماء المدرسين بها ، فرتب لهم رواتب ثابتة تـُصرف لهم بانتظام [2] ، فقد كان يـُدرك تمام الإدراك أن العيش الكريم و سد الحاجيات المادية و الإجتماعية للمدرس مقرون بنجاحه في أداء مهمته على أفضل وجه ، و لما كان الوزير شديد الحرص على البذل بسخاء على مدارسه ، وجد أعداؤه في ذلك حجة و ذريعة للوشاية به إلى السلطان السلجوقي ملكشاه ، فكان من جملة ما سعى إليه مـُنافسه على الوزارة تاج الملك (تـ 486هـ / 1093 م) [3] في نظام الملك الوزير أن وَشـيَ به إلى السلطان في ذلك و أبلغه بأن الوزير يُنفق في كل سنة على أرباب المدارس و الرباطات ثلثمائة ألف دينار ، و لو جيش بها جيشا لبلغ باب القسطنطينية ، فما كان من السلطان إلا أن استحضر الوزير واستفسره عن الحال ، فخاطبه الوزير – يبرر عمله - بقوله : " يا سلطان العالم إني أنا رجل شيخ ولو نُودي علي لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير ، و أنت حدث لو نُودي عليك لما زادت قيمتك على ثلاثين دينارا ، و قد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يُعطه أحدا من خلقه أفلا نُعوضه عن ذلك في حمَلة دينه وحَفظة كتابه ثلاثمائة ألف دينار ، ثم إنك تنفق على الجيوش المُحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلا ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه وأنا أُجيش لك بهذا المال جيشا تصل من الدعاء سهامه إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله تعالى " [4] .

و وصف لنا بن الجوزي البغدادي بعضـًا من سخاء الوزير على إحدى مدارسه و هي نظامية بغداد ، و لعله – أي بن الجوزي - يكون عاين شيئا من ذلك ، فقال بأن الوزير نظام الملك خصص لها أوقافا واسعة و ضياعاً وأملاكاً ، وسوقاً بـُنيت على بابها ،

---

1 - وهو مطبوع بتحقيق يوسف حسين بكار ، نشرته دار الثقافة ، قطر ، من طبعتين ، الطبعة الثانية سنة 1407 هـ / 1987 م .

2 - عماد الدين الأصفهاني (المعروف بعماد الدين الكاتب) ، **تاريخ دولة آل سلجوق** ، اختصره : الفتح بن علي البنداري الأصفهاني ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، 1398 هـ / 1978م ، ص : 56 .

3 - المرزبان بن خسرو بن دارست ، تاج الملك أبو الغنائم ، كان يعظم نظام الملك في الظاهر وينال منه باطنا ويناوئه ويعاديه ، فلما قـُتل نظام الملك ، استوزره السلطان السلجوقي ملكشاه ، و لم يدم طويلا حتى قتله غلمان نظام الملك ، ففتكوا به وزعموا أنه هو قتل مولاهم ، وصفه الذهبي بأنه كان يتنسك و يُكثر الصوم . أُنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 139 ، 144 . و ابن أيبك الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 182 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3388 .

4 - ابن خلكان ، المصدر السابق ، ص :287.

وأنه فرض لكل مدرس وعامل بها قسطًا من الوقف ، وأجرى للمتفقهة (الطلاب) أربعة أرطال خبز يومياً لكل واحد منهم [1] ، و أما مدرسة أصفهان في ما وراء النهر فقدُرت نفقاتها وقيمة أوقافها بعشرة آلاف دينار ، وكان للمدرسة النظامية في نيسابور هي الأخرى أيضاً أوقاف عظيمة [2] .

و زيادة على ذلك اهتم نظام الملك بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس ، و يُفهم من بعض الروايات التاريخية أن ه كان كل طالب في المدرسة يحظى بغرفة خاصة به إذ رُوي أن واحداً من طلابها ويدعى يعقوب الخطاط (تـ 547هـ / 1152 م) كانت له غرفة في النظامية ، فحضر متولي التركات ، وختم على غرفته في المدرسة [3] .

و كنتيجة لتلك الحياة الكريمة التي ضمنها الوزير لطلبة و أساتذة نظامياته تطلع الكثير من الطلبة لنيل مقعد فيها ، كما تطلع الأساتذة أيضًا إلى الظفر بمنصب الأستاذية فيها ، فكانوا يرغبون و يتمنون تولية التدريس فيها مع كونهم ذوو قدرات معرفية عالية ، نظرًا لعلو مكانتها و كبير شهرتها ، ولكونها – أيضا - تابعة للجهات الرسمية و التي على ما بدى لنا كانت تُجزل الرواتب والمنح الدورية للمدرسين و الوعاظ و الموظفين في المدرسة النظامية . و لما اشترط الوزير نظام الملك المذهب الأشعري الشافعي شرطاً للتعين بها و التدريس فيها وُجد من ضحى بمذهبه في سبيل هذه الغاية في عصر كان التعصب المذهبي سمةً من أبرز سماته ، من أولئك : النحوي المبارك بن المبارك الواسطي (تـ 612هـ / 1215م) الملقب بالوجيه النحوي ، كان مُتفقها حنبليا فانتقل منه إلى المذهب الحنفي ، ولما شغر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية – و كما ذكرنا أن شرط الواقف أن لا يفوض التدريس في المدرسة إلا إلى شافعي المذهب- انتقل أبو المبارك النحوي مرة أُخر من المذهب الحنفي – في هذه المرة - إلى مذهب الإمام الشافعي و تولى تدريس النحو في المدرسة النظامية [4] ، و في تلك الحادثة سطر الشاعر مؤيد الدين أبو البركات التكريتي (ت599هـ / 1203 م) الأبيات التالية :

ومن مبلغ عني الوجيه رسالة *** وإن كان لا تُجدي إليه الرسائل .

---

1 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 247 ، 256 .
2 - أُنظر : أبو الفتوح بدوي ، المرجع السابق ، ص : 185.
3 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 10 ، ص : 146 .
4 - اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 573 .

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل *** و ذلك لما اعوزتك المآكل .

وما اخترت قول الشافعي تدينا *** ولكن تهوى الذي منه حاصل .

وعما قليل أنت لاشك صائر *** إلى مالك فافطن لما أنت قائل [1] .

كما غيرَ النحوي علي بن معالي المعروف بابن الباقلاني (ت637هـ / 1240 م) مذهبه الحنفي إلى المذهب الشافعي ، وكان شيخ الأدب والنحو في وقته [2] .

و منهم أيضا أبو الفتح أحمد بن علي بن تركان المعروف بابن الحمامي (تـ 518هـ / 1124م) كان حنبلياً ، فانتقل إلى مذهب الشافعي ، وتفقه على الفقيه الشافعي أبي بكر الشاشي والغزالي ، فنال منصب التدريس بالنظامية [3] .

فكان من الطبيعي أن تُؤدي هذه الجهود التي بذلها نظام الملك في تشييد هذه المدارس و تيسير سبل العلم الحياة الكريمة فيها أن تروج سوق العلم بها و يروج معها المذهب الأشعري ، فأقبل عليها طلاب العلم و الجاه حتى بلغ عددهم في نظامية بغداد سنة 488هـ / 1095 م ثلاثمائة طالب كانوا يتفقهون على الإمام الغزالي [4] . أما في نيسابور فكان يجلس بين يدي إمام الحرمين كل يوم نحو من ثلاثمائة رجل من الأئمة و الطلبة بلغوا مبلغ التدريس كأبي حامد الغزالي [5] .

وكان الجويني قد صنف كتابه نهاية المطلب عشرين مجلدا [6] ، كما ألف كتابا ً لنظام الملك ضمنه أمور العقائد في الإلاهيات و النبوات و السمعيات و أفعال العباد على المذهب الأشعري و ضمنه أيضا أركان الإسلام من الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج على المذهب الشافعي ، و سماها الرسالة النظامية ثم طـُبعت باسم العقيدة النِّظامية ، و سميت كذلك نظامية نسبة إلى من صنفت له - نظام الملك - أو نسبة للمدرسة النظامية التي نسبت أيضا أيضا للوزير نفسه [7] .

---

1 - ابن جبير ، **رحلة ابن جبير** ، ص : 174 .

2 - كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي ، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة** ، بغداد ، مكتبة الفرات ، ص : 1351، ص : 138.

3 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 251 .

4 - الغزالي، **المنقذ من الضلال و الموصل إلى ذي العزة و الجلال** ، تحقيق : كامل عيَّاد وجميل صليبا ، الطبعة 05 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1409 هـ / 1988م ، ص : 11 .

5 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 252 .

6 - القزويني ، **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ص : 341 .

7 - القنوجي ، **كشف الظنون** ، ج : 2 ، ص : 1159 .

و نتيجة لهذه العناية الوزارية الخاصة شكلت المدارس النظامية عامل انتشار للعقيدة الأشعرية ، حيث كانت تـُخرِّج القضاة و الخطباء الذين احتلوا المناصب العالية في مناطق شتى من العالم الإسلامي خاصة بالمشرق الإسلامي ، دل على ذلك قول أبي إسحاق الشيرازي – وهو من أوائل مدرسي المدرسة النظامية ببغداد - : " لما خرجت في رسالة الخليفة المقتدي إلى خرسان ، لم أدخل بلدا و لا قرية إلا وجدت قاضيـهـا أو خطيبها من تلامذتي " [1] .

و تولى خريجوا النظامية الوظائف المختلفة و المناصب العليا من قضاء و إفتاء و إدارة ، و هذا بلا شك يـُسهم إسهاما مباشرا في انتشار المذهب الأشعري ، و تمدنا كتب التراجم و الطبقات - خاصة منها طبقات السبكي - بمادة ضخمة عن خريجي النظاميات ، لا سيما نظامية بغداد التي حظيت أكثر من غيرها بعناية المؤرخين بفضل ما تهيأ لها من امتدادٍ زمني و إمكانياتٍ مادية و طاقات فكرية و لوجودها في عاصمة الخلافة بغداد ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

الإمام أبو حامد الغزالي (تـ 505هـ / 1111م) الذي تفقه في نظامية نيسابور ، ثم تولى الأستاذية في نظامية بغداد ، و صار عَلمًا عند الأشاعرة و الصوفية معا . و في الشام نذكر منهم الحافظ بن عساكر الدمشقي (تـ 571هـ / 1175م) الذي بنى له السلطان نور الدين محمود دار الحديث النورية في دمشق ، و قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري الموصلي (تـ 586هـ / 1190م) ، والكاتب المؤرخ الأديب العماد الأصفهاني (تـ 597هـ / 1200م) ، الذي أسند إليه نور الدين الإشراف على ديوان الإنشاء و التدريس بالمدرسة العمادية [2] . و في ما وراء النهر نذكر منهم أبو الحسن إدريس بن حمزة الرملي (تـ 504هـ /1110م) الذي تفقه بنظامية بغداد على أبي إسحاق الشيرازي ، ثم ارتحل إلى سمرقند في ما وراء النهر و فوض إليه التدريس بها لأصحاب الشافعي [3] . و في مصر نذكر منهم الحافظ السِلفي الأصبهاني (تـ 586هـ / 1180م)

---

1 - ابن العماد ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 350 .
2 - اُنظر المبحث الثاني من الفصل الأول ، ص : 31 .
3 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 202 .

الذي قصد الإسكندرية و درس الحديث بها [1] ، و القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد (تـ 632هـ / 1235م) و الذي صار رفيق صلاح الدين الأيوبي و مؤرخه كما تولى قضاء عسكره [2] . و في المغرب نذكر منهم ابن تومرت محمد بن عبد الله المنعوت بمهدي الموحدين (تـ 524هـ/1130 م) الذي تتلمذ على كبار أساتذة نظامية بغداد كالغزالي و إليكا الهراسي ثم رجع إلى بلاده و أقام دولته بها [3] ، و غيرهم كثير .

و انتشر خريجوا النظامية و انتشر معهم المذهب الأشعري ، و أصبح للأشاعرة كلمة و نفوذ في حواضر العالم الإسلامي ، و وُجدوا في بلاط الخلفاء العباسيين بعدها ، من ذلك أن الخليفة العباسي المستظهر بالله (تـ 512هـ / 1119 م) [4] كان يُقرب الفقيه الشاشي الشافعي المستظهري الملقب بفخر الإسلام (تـ 528هـ / 1134 م) و كان الشاشي " أشعري الإعتقاد وإليه انتهت رياسة الشافعية ببغداد " [5] ، و الإمام الغزالي (تـ 505هـ / 1112 م) الذي ألف له – أي للخليفة العباسي المستظهر - كتاب " فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية " ، والغزالي ألف هذا الكتاب بناء ً على طلب المستظهر نفسه حتى يرد به على عقيدة الباطنية [6] ، وأبو حامد الأشتري الأشعري الذي صنف أرجوزة سماها " العمدة المنبهة عن رقدة المشبهة " للمسترشد بالله (تـ 529 هـ /1135 م) وهو إذ ذاك ولي العهد وحدث بهذه الأرجوزة سنة 506 هـ / 1113 م ، قال عنها المؤرخ ابن أيبك الصفدي (تـ 764 هـ/ 1363 م) أن الأشتري " أنكر فيها الأحاديث الصحيحة وطعن على ناقليها مثل حديث النزول وحديث : يضع فيها قدمه وقال : هذه الأحاديث باطلة ورواياتها كذبة ولا أدري إلى ما ذهب في ذلك فإن الأشعري يقبل هذه الأحاديث ولا يردها " [7] .

---

1 - نفس المصدر ، ج : 4 ، ص : 44 ، 45 .

2 - نفس المصدر ، ج : 2 ، ص : 96.

3 - نفس المصدر ، ج : 6 ، ص : 109 .

4 - و صفه الذهبي بالسخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين ، والتفقد للمساكين، مع الفضل والنبل والبلاغة، وعلوّ الهمّة، وحسن السيرة، وكان رضيَّ الأفعال، سديد الأقوال ، انظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 19 ، ص :397 .

2 - ابن حجر العسقلاني ، **لسان الميزان** ، ج : 5 ، ص : 248. و الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 915 .

3 – ذكر الغزالي ذلك في مقدمة كتابه هذا ، **فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية** ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، بدون ت.ط ، ص : 2 - 3 - 5 - 6 .

4 - الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 390 .

و إلى جانب المدارس النظامية التي خدمت المذهب الأشعري علميا و أسهمت في انتشاره ، ظهرت المدارس الزنكية التي كانت امتدادا للمدارس النظامية ، فقد اشتركت المدارس الزنكية و النظامية في مهمة الرد على الشيعة (إسماعيلية و إمامية) و تقويض نفوذهم الفكري توازيًا مع الجهود الرامية إلى تقويض نفوذهم السياسي .

إلا أن المدارس الزنكية لم تكن مُنغلقة ًعلى المذهب الأشعري كما كان الحال في المدارس النظامية التي جعلها نظام الملك حكرا على المذهب الشافعي فروعا و الأشعري أصولا ، إذ لم يكن نور الدين زنكي أشعريًا ، و إنما عَرف المذهب الأشعري في عهده ازدهارا و حرية كبيرة في دولته [1] .

فمن خريجي النظاميات الذين استقدمهم نور الدين لتسيير مدارسه : العماد الأصفهاني (تـ 559هـ / 1164 م) الذي اعتمده نور الدين في بعض مدارس دمشق [2] .

و منهم قطب الدين النيسابوري الشافعي الأشعري الصوفي (تـ 578هـ / 1182 م) ، الذي أسند إليه أستاذية المدرسة النفرية النورية [3] ، و قطب الدين النيسابوري النيسابوري معروف في كتب التراجم برسوخه في علم الكلام و معتقده الأشعري و عدائه الشديد للمذهب الشيعي [4] .

و منهم أيضا شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي (تـ 585هـ / 1189 م) [5] من خريجي نظامية بغداد ، ابتنى له نور الدين عدة مدارس ، أشهرها المدرسة

---

1 - أُنظر المبحث الثالث من الفصل الأول .

2- النعيمي ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 408 ، 411 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 7 ، ص : 158 .

3 - أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في سنة 544هـ / 1150 م . أوّل من ولي التدريس بها قطب الدين مسعود ابن محمد بن مسعود النيسابوري ، انظر : ابن شداد ، **الأعلاق الخطيرة** ، ص : 34 .

4 - أُنظر المبحث الثالث من الفصل الثاني ص : 19 .

5 - أبو سعد عبد الله بن أبي السَّريِّ محمد بن هبة الله بن مطهّر بن علي بن أبي عصرون ابن أبي السَّريِّ التميمي الحديثي ثم الموصلي، الفقيه الشافعي الملقب شرف الدين ، تفقه على القاضي الشهرزوري وعلى أبي عبد الله الحسين بن خميس الموصلي ، وأخذ الأصول عن أبي الفتح ابن برهان الأصولي ، قدم دمشق لما ملكها السلطان نور الدين سنة 549 هـ / 1154 م ، ودرس بالزاوية الغربية من جامع دمشق وتولى أوقاف المساجد، ثم رجع إلى حلب وأقام بها وصنف كتباً كثيرة في المذهب، منها صفوة المذهب من نهاية المطلب في سبع مجلدات، عاد إلى دمشق سنة 570هـ / 1174 م ، وتولى القضاء بها في سنة 573هـ / 1177 م ، وتوفي في رمضان سنة 585هـ / 1189 م بمدينة دمشق

العصرونية [1] ، ذكر بن شداد أنه أول من تولى التدريس و النظر بها فعُرفت به ، كما بنى له نور الدين محمود مدرسةً بمنبج ومدرسةً بحمص ومدرسةً ببعلبك ومدرسةً بدمشق وفوّض إليه أن يولّي التدريس فيها من شاء ، و لم يزل متولّياً أمر هذه المدرسة تدريساً ونظراً إلى أن خرج إلى دمشق سنة 570هـ / 1175 م و استخلف فيها ولده نجم الدين [2] .

وإضافة إلى ذلك كان نور الدين قد أمر ببناء مدرسة في عام 545 هـ / 1150 م للشافعية – و كان معظم الشافعية أشاعرة كما أسلفنا - هي المدرسة الشعيبية [3] ، نسبة إلى متوليها شعيب بن أبي الحسن بن حسين بن أحمد الأندلسيّ الفقيه ، قال عنه بن شداد " كان من الفقهاء والزهّاد ، كان نور الدين محمود بن زنكي يعتقد فيه ويتردّد إليه فوقف على هذا المسجد وقفاً – وهو مسجد الغضائريّ و يُعرف مسجد شعيب - ورتّب فيه شعيب المذكور مدرّساً على مذهب الإمام الشافعيّ رضي الله عنه " [4] ، و أحصى بن شداد اثنتي و عشرين مدرسة شافعية في حلب نهاية القرن 7 هـ / 13 م [5] .

أمـا في دمشق فابتنى نور الدين للشافعية أيضا المدرسة العادلية الكبرى التي شرع نور الدين في بنائها للشافعية على شرف قطب الدين النيسابوري الأشعري ، فأدركه الأجل و مات دون أن يُتمها [6] ، و العمادية التي فوض التدريس بها لعماد الدين أبو عبد الله الأصبهاني الكاتب المعروف بابن أخي العزيز (تـ 656هـ / 1258 م) [7] ، قال عنه الصفدي (تـ 764 هـ / 1363 م) كان شافعيا تفقه بالنظامية وأتقن الخلاف [8] .

ودفن في مدرسته التي أنشأها داخل البلد ، وهي معروفة به . أُنظر : اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 326 . و النعيمي ، المصدر السابق ، ج : 01 ، ص :401 .

1- كانت داراً لأبي الحسن عليّ بن أبي الثريّا وزير بني مِرْداس فصيّرها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي - بعد انتقالها إليه بالوجه الشرعيّ - مدرسةً وجعل فيها مساكن للمرّبين بها من الفقهاء وذلك في سنة 550هـ / 1156 م ، انظر : ابن شداد ، **الأعلاق الخطيرة** ، ص : 33 .

2 - نفس المصدر . و ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 53 ، 56 . و انظر ص : 9 من هذا المبحث .

3 - وكانت هذه المدرسة مسجداً يُقال إنّه أوّل ما اختطّه المسلمون عند فتحها من المساجد وعُرف بأبي الحسن عليّ بن عبد الحميد الغضائريّ أحد الأولياء من أصحاب سريّ السقطيّ. فلمّا ملك نور الدين حلب وأنشأ بها المدارس ووصل الشيخ شُعَيْب بن أبي الحسن بن حسين بن أحمد الأندلسيّ الفقيه فصيّر له هذا المسجد مدرسةً وجعله مدرّساً بها فعُرفت به ، انظر : ابن شداد ، المصدر السابق ، ص : 36 .

4 - نفس المصدر ، ص : 242 ، ابن العديم ، **بغية الحلب في تاريخ حلب** ، ج : 1 ، ص : 130 .

5 - أُنظر : ابن شداد ، المصدر السابق ، ص : 31 إلى ص : 43 .

6 - النعيمي ، المصدر السابق ، ج : 01 ، ص : 136 .

7 - نفس المصدر ، ج : 01 ، ص : 308 .

8 - الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 61 .

كما حظي المذهب الأشعري في دمشق بفضاءٍ آخر هام ، تمثل في دار الحديث النورية التي ابتناها نور الدين و أسند مشيختها إلى أحد أقطاب أشاعرة زمانه ، و هو الحافظ تقي الدين بن عساكر (تـ 571 هـ / 1175 م) الفقيه المحدث الشافعي الأشعري ، صاحب كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري " ، و بقي يدرس فيها إلى وفاته سنـــة 571 هـ / 1175 م [1] .

و كان نور الدين زنكي أيضـًا يأمل في أن يُـحرر مصـر من وطأة الشيعة سياسيا و فكريا بالأسلوب ذاته الذي طبقه في الشام ، و طبقه سلفه نظـام المـلك في العـراق و بلاد فارس ، إلا أن الأجل لم يسعفه و آلت المهمة إلى قائده صلاح الدين الأيوبي .

فبعدما افتتك صلاح الدين مصر من الفاطميين أولاً ثم مِنْ بني زنكي ثانياً ، حظي المذهب الأشعري بفرصة أخرى للتوطن و الإنتشار في هذه البقعة من العالم الإسلامي ، باعتبار أشعرية السلطان صلاح الدين الأيوبي الواضحة التي نشأ عليها [2] .

فكان من الطبيعي أن يخص أهم مدارسه بالمذهب الأشعري ، منها المدرسة التي أنشأها نجم الدين الخبوشاني الشافعي الأشعري (تـ 587هـ / 1191 م) و تكفل صلاح الدين بجميع تكاليف بنائها و مصاريفها ، و كان الخابوشاني شيخها وناظرها ، و جعل له في كل شهر أربعين ديناراً عن التدريس ، وعشرة دنانير عن النظر في أوقاف المدرسة ، ورتّب له من الخبز في كل يوم ستين رطلاً ، و رواتين من ماء النيل ، وجعل فيها مُـعيدين وعدة من الطلبة ، ووقف عليها حمّاماً بجوارها ، وفرناً تجاهها ، وحوانيت بظاهرها ، والجزيرة التي يُـقال لها جزيرة الفيل ببحر النيل خارج القاهرة ، وتولى تدريسها جماعة من الأكابر الأعيان [3] ، ما جعل السيوطي يصفها بأنها أشرف و أعظم مدارس الدنيـا على الإطلاق [4] .

---

1 - السبكي ، المصـدر السـابـق ، ج : 07 ، ص : 223 .
2 - انـظر : المبحث الثالث من الفصل الثاني ، ص : 21 ، 22 .
3 - المقريزي ، **الخطط** ،ج : 2 ، ص : 160 .
4 - السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، ج : 2 ، ص : 186 .

و زيادةً على ذلك وقّف صلاح الدين على الأشاعرة مدرسة بجوار ضريح الإمام الشافعي والشهيرة بالمدرسة الناصرية [1] ، و خصصها لتدريس المذهب الشافعي في الفقه و العقيدة الأشعرية في علم الكلام على غرار مدارس نظام الملك السلجوقي في بغداد و ما وراء النهر ، ونص على ذلك صراحةً في اللوحة التأسيسية التي كانت تعلو المدرسة ، والمحفوظة حاليًا في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، و نُقش على هذه اللوحة خمسة أسطر هذا نصها و شكلها بالظبط :

بنيت هذه المدرسة باستدعاء الشيخ الفقيه الإمام ال..............))

((الزاهد نجم الدين، ركن الإسلام،قدوة الأنام مفتي الفرق أبو البركات)).

الموفق الخابوشاني أدام الله توفيقه لفقهاء أصحاب الشا (فعى) .

((رضوان الله عليه الموصوفين بالأصولية، الموحدة الأشعرية (المنصورين) على))

الحشوية و غيرهم من المبتدعة و ذلك في شهر رمضان سنة خمس و سبعين و خمسمائة))[2]

كما أُسندت وظيفة تدريس مدرسة منازل العز [3] إلى شهاب الدين الطوسي (تـ 596هـ / 1200 م) ، أحد علماء نظامية بغداد ، و الذي وفد إلى مصر سنة 578هـ / 1182 م قادما إليها من طوس بخرسان ، وكان كما وصفه السبكي " أمارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر قائمًا بنصرة المذهب الأشعري ، كلمته نافذة ومدار الفتيا بديار مصر عليه "[4] ، و كان صاحب صولةٍ في القيام على الحنابلة و نصرة الأشاعرة حتى أن الحنابلة ثاروا عليه و جرى بينه و بينهم مناوشات و صدامات[5] .

و مما سبق يمكن أن نخلص إلى أن المدارس في الإسلام كانت أسبق من عهد الوزير نظام الملك ، و الذي كان للوزير هو السَبق في توحيد أهدافها و نُظمها ، و

---

1 - نفس المصدر ، ج : 2، ص : 256 . و المقريزي ، المصدر السابق ،ج : 2 ، ص : 343 .

2 - منى محمد بهجت ، **أثر الحضارة السلجوقية ،** ص : 119 - 120 .

3 - هذه المدرسة كانت من دور الخلفاء الفاطميين بنتها أمّ الخليفة العزيز بالله بن المعز وعُرفت بمنازل العز وكانت تشرف على النيل وصارت معدة لنزهة الخلفاء ، فلما زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف أنزل في منازل العز الملك المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب فسكنها مدة ثم اشتراها والحمام و الإصطبل المجاور لها من بيت المال سنة 566هـ / 1171 م ، و وقفها على الشافعية لما أراد أن يخرج من مصر إلى الشام . أُنظر : المقريزي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 111 . و أبو شامة ، **الروضتين** : ج : 02 ، ص : 182 .

4 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 06 ، ص : 396 و 397 .

5 - اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 369 . و منى محمد بهجت ، المرجع السابق ، ص : 64 .

ضمان الجرايات المالية عليها و على القائمين بها ، كما أنه جعلها مدارس مغلقة على المذهب الأشعري أصولا و الشافعي فروعا ، فـُرض ذلك على الطالب والمُـدرس والفراش .

و حظيت المدارس النظامية و القائمين عليها عناية وزارية خاصة من نظام الملك ، فكان لهذه المدارس – بخريجيها - الأثر البالغ في التمكين للمعتقد الأشعري و المذهب الشافعي معا .

كما قامت المدارس الزنكية و الأيوبية بالدور نفسه الذي قامت به المدارس النظامية – مع تفاوتٍ بينها - في تقرير المذهب الأشعري و إحلاله محل المعتقد الشيعي الذي طغى على الشام و مصر خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين ، و مرد ذلك أساسا أن الرجلين السياسيين - نور الدين زنكي و صلاح الدين الأيوبي - اعتمدا اعتماداً شبه كلي على خريجي المدارس النظامية و أقطابها ، فكان من الطبيعي أن يتعزز المذهب الأشعري أصولا و الشافعي فروعا .

<u>المبحث الثاني : دور الموحدين في دعم المذهب الأشعري سياسيا في الحياة العلمية بالمغرب الإسلامي (505 هـ- 554 هـ / 1133 م-1163 م) .</u>

عمل ابن تومرت في المغرب بيده و لسانه لتعميم التصور العقيدي الأشعري الصحيح في نظره ، فلم يكتف لإنجاح مشروعه - بالمغرب الإسلامي - على الثورة السياسية التي سبق الحديث عنها في الفصل السابق ، بل كان يُولِي الجانب العلمي التربوي أهميـةً بالغـة في دعوته ، فقد كان يهدف – كما مر بنا – إلى أن يصنع مجتمعا جديدا انطلاقا من الجماعة التي أحاطت به و التزمت دعوته ، و كان يُدرك أنه لن يتأت له ذلك إلا بنسـقٍ علمي تربوي دؤوب ، فعمل على ذلك منذ أن نزل على قومه سنة 515هـ / 1121 م ، فذكر بن خلدون أنه – أي ابن تومرت – لما نزل على قومه في

السنة المذكورة " بنى رابطة للعبادة فاجتمعت إليه الطلبة و القبائل يُـعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري " [1] .

و يعكس لنا النص حرص ابن تومرت الشديد على تبليغ أفكـاره تدريسـاً و تصنيفاً ، من خلال بنائه للرباط و اجتماع الطلبة عليه من جهة ، واستعماله - من جهة أخرى - للسان البربري نزولا ً عند حاجة من لا يحذق (لا يعرف) اللسان العربي منهم . كما يفيد قول بن خلدون أن ابن تومرت اعتنى بالتصنيف ، من خلال ذكره لرسالة المرشدة في التوحيد .

و لم يقتصر نشاط بن تومرت في التصنيف على رسالة " المرشدة " ، فقد وصلنا عدد من آثار بن تومرت عيانـًا (المخطوطة) أو سماعـًا مما حفظته لنا كتب التاريخ و التراجم . و يـُمكن إجمالاً تصنيف آثار بن تومرت إلى أربعة أصناف هي :

أ – أعز ما يُطلب : و هو ليس مصنف واحد – كما قد يـُفهم من عنوانه – بل عبارة عن مجموعة من الكتب و التعاليق و الرسائل في الأصول و العقيدة و الفقه و الحديث و السياسـة و الجهاد ، اعتنى بجمعها في سفر واحد خليفته عبد المؤمن [2] ، وعـرَّفـها ناسخها بـ " سفر فيه جميع تعاليق الإمام المعصوم المهدي المعلوم رضي الله عنه مما أملاه سيدنا الخليفة أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن علي أدام الله تأييدهم و أعز نصرهم و مكن سعودهم " [3] ، إلا أنه أُشتهر بعنوانه " أعز ما يطلب " ، لأول عبارة وردت في أول كتاب فيه و هي " أعز ما يطلب ، و أفضل ما يُـكتسب ، و أنفس ما يدخر و أحسن ما يـُعمل العلم الذي جعله الله سبب الهدايـة إلى كل خير " [4] ، فأُطلق الجزء على الكل – إن صح هذا التعبير – لأن أعز ما يطلب هو جزء فقط .

و اشتمل المجموع على كل التعاليق التي أملاها بن تومرت ، في نحو عشرين نصا منوعة بين الأصول و الفروع (على نحو الأبواب أو الفصول) ، بالإضافة إلى كتاب في

---

1 - ابن خلدون ، المصـدر السـابـق ، ج : 6 ، ص : 300 .

2 - ابن تومرت ، **أعز ما يـُطلب** ، تحقيق عمار الطالبي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1406 هـ / 1985م ، ص : 7 .

3 - نفس المصدر ، ص : 29 .

4 - نفسه .

الجهاد أضافه الخليفة الموحدي الثالث أبـي يعقوب يوسف (تـ 580هـ / 1184 م) [1] ، و قد حظي الكتاب بشروح و تحقيقات خاصة جزء العقيدة " المرشدة " منه و هو ما سنفصل فيه عند الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

ب – موطأ الإمام المهدي (أو محاذي الموطأ في إحدى نسخهِ المخطوطةِ بفاس) : و هو عبارة عن موطأ الإمام مالك (تـ 197هـ / 795 م) رحمه الله تعالى برواية يحي بن عبد الله المخزومي (تـ 231هـ / 846 م) ، و كل ما قام به بن تومرت هو أن اختصـر فيه السنـد و اكتـفى بالراوي الأول لنـص الحديث [2] .

ج – مختصر صحيح مسلم : جاء مُعنونا ً بـ " سفر فيه تلخيص كتاب مسلم للإمام المعصوم رضي الله عنه " [3] ، قـُسم على أبواب الفقه كعادة كتب الحديث بدءً بكتاب الطهارة .

د - رسائل متفرقة و أدعية و خطب ذ ُكـرت في الحلل الموشية [4] و ذكر بعضها المراكشي في المعجب [5] و الإمام الشاطبي في الاعتصام [6] ، و المستشرق ليفي بروفنسال [7] .

و بالإطلاع على المواضيع التي خاض فيها بن تومرت و ما حوته من أفكار يُـمكن أن نسجل أمورًا منـها :

- حرص ابن تومرت على تبليـغ المضمون العقيـدي الأشعري لدعوته علميًا و عمليـًا عن طريـق التدريس و التصنيف .

– حظيت آثار ابن تومرت بشيء من الإهتمـام و التوقير من طرف المؤرخين و المحقيقين ، يدل على ذلك أن معظمها بلغنا عيانا أو سماعا .

– تنوعها بين الأصول و الفروع و الحديث و المواعظ .

– أنها كانت باللساني‌ن العربي و البربري (المصمودي المغربي) مثل كتاب التوحيد

---

1 - عبد المجيد النجار ،**ابن تومرت** ، ص : 148 .
2 - نفس المرجع : ص : 154 ، 155 . و عمار طالبي ، مقدمة كتاب **أعز ما يطلب** ، ص : 12.
3 - نـفس المرجع ، ص : 12 .
4 - مؤلف مجهول ، **الحلل الموشية** ، ص : 81 ، 82 ، 88 .
5 - خطبة عـُرفت بخطبة الوداع ، أنـظر : المراكـشي ، **المعجب** ، ص : 262 .
6 - الشاطبي ، **الاعتصام** ، ص : 192.
7 - رسالة إلى علي بن يوسف بن تاشفين ، و رسالة إلى الفئة الباغية . أُنظر : عبد المجيد النجار : المرجـع السـابـق ، ص : 157 .

باللسان البربري و الذي تُسميه المصادر بكتاب التوحيد أو كتاب السبعة أحـزاب [1] ، و في القائمة التي وضعها ناسخ موطأ المهدي كتب أخرى باللسا ن البربري منها : الدواتر ، علامة المنافق ، أمحانت ، أكوصت ، تازكوت أن تيتار ، نوفنادرا أن يا العالمين [2] ، و هي كلمات باللهجة السوسية المصمودية ، لم تتُح لي الفرصة التعرف على معانيها .

– أنها عكست أفكار بن تومرت العقيدية التي غذتها أفكار الفرق الإسلامية التي عاصرها في المشرق ، و غلبت عليها النزعة الأشعرية ، و أكد الدكتور عمار الطالبي - محقق كتاب أعز ما يطلب - أن بن تومرت تأثر في مؤلفاته الأشعرية بأساتذة الجامعة النظامية أمثال الكيا الهراسي (تـ 504هـ / 1111 م) و الفقيه الصدر أبي بكر الشاشي (تـ507هـ / 1114 م) ، و كان تأثره الأكبر بالمتكلم الأصولي أبي المعالي الجويني (تـ478هـ / 1086 م) عن طريق تلميذه اللامع الكيا الهراسي [3] .

– توجيهه تلك المصنفات لخدمة مشروعه و دعوته الأشعرية في المغرب ، فتعمد البساطة و استهداف الجماهير و عدم إثقالها بالأدلة ، و أكد الباحث عبد المجيد النجار أن بن تومرت من خلال مصنفاته تلك " لم يكن يهدف إلى وضع علم في الكتب يستفيد منه الخاصة من العلماء ، و لكنه كان يهدف إلى أن يجعل أفكاره واقعا مُعاشاً في حياة الناس فهيأها في نسقٍ تغلب عليه الصبغة الخطابية التي يكثر فيها التداعي و الإستطراد ، و تخلو أحيانا من الإستدلال اقتصارًا على العرض المجرد الذي يحفل بالتكرار في العبارات و المعاني " [4] .

– نتلمّس فيها اللهجة الثائرة ، و الدعوة الجهادية و التشنيع على المرابطين منها :

كتاب الجهاد ، في أحكامه و الحض عليه [5] ، و رسالة في بيان طوائف من المبطلين من من الملثمين و المجسمين و وجوب جهادهم ، وردت في مجموع أعز ما يطلب [6] ، و رسالة في غربة الإسلام و البشارة بانتصار الحق على الباطل ، تشتمل على مجموعة

---

1 - ابن الخطيب ، **رقم الحلل** ، ص : 80 ، و ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 296 . و ابن أبي زرع ، **روض القرطاس** ، ص : 123 . و ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 466 . و المراكشي ، المصدر السابق ، ص : 254 .

2 - عمار طالبي ، المرجع السابق ، ص : 14 .

3 - نفس المرجع ، ص : 7 .

4 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 158 .

5 - ابن تومرت ، **أعز ما يطلب** ، ص : 377 ، 400 .

6 - نفس المصدر ، ص : 255 – 266 .

أحاديث في هذا المعنى وردت ضمن مجموع أعز ما يطاب [1] ، فقد كفر ابن تومرت في كتبه و رسائله تلك كل من لم يؤمن بما يقول ويعتنق ما يدعو إليه ، واستباح دمه فقال بكفر دولة المرابطين ووجوب جهادها كجهاد الروم و المجوس [2] ، فكان يؤكد ذلك و يكرره في مولفاته بهدف تأصيل هذا المبدأ في نفوس أصحابه ، ومما جاء في إحدى رسائله إلى أصحابه : " اجتهدوا في جهاد الكفرة الملثمين ، فجهادهم أعظم من جهاد الروم و سائر الكفرة بأضعاف كثيرة ،لأنهم جسموا الخالق سبحانه ، و أنكروا التوحيد و عاندوا الحق" [3] .

لكن ما يعني بحثنا أكثر و يتصل به اتصالا مباشرا هو ما تعلق منها بالأصول الأشعرية ، ما يفرض علينا الوقوف على رسالة " المرشدة " لابن تومرت في العقيدة الأشعرية للحديث عنها و عن تأثيرها .

و المرشدة رسالة محضة في العقيدة الأشعرية ضمن جامع " أعز ما يطلب " ، افتتحها بن تومرت بقوله " اعلم أرشدنا الله و إياك ..." [4] ، فعُرفت لذلك بالمرشدة ، و لا يُستبعد أن يكون أنصارها و المعتقدين لها قد طبعوا عليها هذه التسمية ليُوهموا التطابق بين اسمها و صفتها خاصة أنها لم تـُعرف بهذا الإسم إلا في عهدٍ متأخر [5] .

و قد خصصها ابن تومرت للكلام في المسائل المتعلقة بذات الله تعالى ذاتا و صفاتا دون غيرها من مسائل العقيدة كالإيمان بالرسل أو اليوم الآخر أو مسائل القدر و الصحابة كما هو شائع في المتون العقيدية ، و جاءت هذه المسائل مرتبة على النحو التالي : وحدانية الله تعالى ، خالقيته المطلقة ، خضوع الخلائق له ، أزلية وجوده ، تنزهه عن الزمان و المكان ، تنزهه عن الشبيه و المثيل ، سمعه و بصره .

---

1 - نفس المصدر ، ص : 266 ، 270 .

2 - البيدق ، **أخبار المهدي** ، ص : 65 و ما بعدها ، و ملحقه ص : 177 .

3 - نفس المصدر ، ص : 9 . و ألفرد بل ، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي** ،ص : 258 – 259 .

4 - نفس المرجع ، ص : 226 .

5 - يدل على ذلك أن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي لما أصدر مرسوما يأمر بالاعتناء بالمرشدة جاء فيه " يلزم العامة و من في الديار بقراءة العقيدة التي أولها (اعلم أرشدك الله) و حفظها و تفهمها " فلم تـُسمى ===
=== حينها بالمرشدة . أنظر نص المرسوم ضمن رسالة مخطوطة بباريس نقله منها عبد المجيد النجار في كتابه **ابن تومرت** ، ص : 404 .

و قد تهيأ لهذا المتن العقيدي جملة من الأسباب جعلته ينتشر في المغرب و المشرق ، و بتتبع هذه الظروف نستخلص ثلاثة عوامل رئيسة متفاوتة الأهمية ساهمت في نشره :

أما السبب *الأول* فيتعلق ببساطتها و وجازتها و بلاغتها ، فهي في حجمها تسعها الصفحة أو الصفحتين ، بالإضافة إلى أنها غير مثقلة بالأدله و التعاليق ، يدل على ذلك أن أبا القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي (تـ844هـ / 1440م) ، ذكرها في نوازله ، و أوردها نصا كاملا ، و قال فيها " تواتر الخبر عن الإمام المهدي الشريف رئيس الموحدين و أولهم في ذلك عقيدته المشهورة بالمرشدة ... و قد كثر حفظ هذه العقيدة لقلتها و بلاغتها " [1] ، و وصفها أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن النقاش (تـ819 هـ / 1416 م) - الذي تولى شرحها - " بالعقيدة المختصرة المنتظمة الكلام ، الحسنة النظام ، المرتبطة المعاني " [2] .

و من *أسباب* انتشار " المرشدة " و شيوعها – أيضًا - خلوها من دعوى المهدوية و العصمة إذ طبعتها الصبغة الأشعرية المحضة ، و الراجح أن تكون من مؤلفات بن تومرت الأولى في المغرب عقب عودته من رحلته المشرقية ، لأنه – كما أسلفنا - لم يجرؤ على إعلان مهدويته و عصمته إلا في فترة مُتأخرةٍ من دعوته حين اطمأن لولاء القاعدة الشعبية له [3] ، و مما يؤكد أشعريتها الخالصة أنها لقيت استحسانا و إقبالا من أشاعرة المشرق ، فقد ذكر السبكي أن فخر الدين بن عساكر (تـ 620هـ / 1223م) كان يدرسها بالقدس بمدرسة قريبة من الحرم [4] ، كما ذكر السبكي أيضا أن خليل بن كيكلدي العلائي الأشعري (تـ 761هـ / 1359م) أطال في تعظيم المرشدة و الإزراء بمن نقدها أو اعتقد فسادها [5] ، و نقل السبكي من خطه قوله " هذه العقيدة المرشدة جرى قائلها على المنهاج القويم و العقد المستقيم ، و أصاب فيما نزه به العلي

---

1 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 456 نقلا عن نوازل البرزلي مخطوط بالدار التونسية . و قد تحصلت على صورة من المخطوط من الموقع الإلكتروني المتخصص : **www.alazharonline.org** إلا أنه تعذّر عليّ قراءتُها .

2 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 454 نقلا عن ابن النقاش ، الدرة المفردة ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط .

3 - انظر الفصل الأول ، ص : 7 .

4 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 5 ، ص : 70 .

5 - نفس الجزء و الصفحة .

العظيم " [1] ، فمد ح ما تضمنته من أصول أشعرية رغم أنه كان يشكك في نسبتها إلى بن تومرت فقد نقل عنه السبكي قوله في ذلك " وقفت على جواب لابن تيمية سئل فيه عنها ، ذكر فيه أنها تـُنسب لابن تومرت ، و ذلك بعيد من الصحة أو باطل ـ لأن المشهور أن بن تومرت كان يوافق المعتزلة في أصولهم و هذه مباينة لهم " [2] .

و قد دافع السُبكي عن ابن تومرت و نفى كل التـُهم المُوجهة إليه ، و من ذلك قوله في رد تهمة الإعتزال عنه " ... فأما دعواه (أي العلائي) أن بن تومرت كان معتزليا فلم يصح عندنا ذلك ، و الأغلب أنه كان أشعريا صحيح العقيدة أميرا عادلا داعيا إلى طريق الحق " [3] .

أما السبب الثالث و الأهم الذي لعب دوره في التمكين للمرشدة هو ما حظيت به من عنايةٍ سياسيةٍ في عهد ابن تومرت و خليفته عبد المؤمن (505 هـ - 554 هـ / 1133 م-1163 م) ، و يدل على ذلك الشواهد التالية :

أولها : كان ابن تومرت نفسه يوليها عناية متزايدة بالتبليغ و التدريس ، و هو ما يفيد به كلام بن خلدون حين قال " و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد و أعلن بإمامتهم و وجوب تقليدهم و ألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد " [4] ، و قوله أيضا أن بن تومرت لما نزل بقومه سنة 515هـ / 1121 م " بنى رابطة للعبادة فاجتمعت إليه الطلبة و القبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد بالسان البربري " [5] ، فاستغل ابن تومرت سلطانه بين المصامدة لإنفاذ مرشدته و نشرها بينهم و تقريبها لهم لهم بلسانهم البربري المحلي .

أما الشاهد الثانـي يتمثل في اعتناء عبد المؤمن بمؤلفات ابن تومرت ، فرتبها في سفر جامع عـُرف بأعز ما يطلب [6] ، بل كان عبد المؤمن نفسه يتولى تدريس مسائل من هذه المؤلفات في مجالس يعقدها بغرض التدريس ، كما كان يأمر بأن يُقرأ بعض منها للتبرك عند العزم على القيام بمهمات الأمور و خاصة عند الحرب ، حتى صار ذلك

---

1 - نفس الجزء و الصفحـة .
2 - نفس الجزء و الصفحـة .
3 - نفس الجزء و الصفحـة .
4 - ابن خلدون ، المـصـدر السـابـق ، ج :6 ، ص : 300 .
5 - نفسه ، ج : 6 ، ص : 300 .
6 - أُنظر : ص : 26 من هذا المبحث .

سنة سار عليها بنوه من بعده ، و قد وصف ذلك المراكشي وصفا دقيقا إذ يقول " ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم – أي من الخلفاء الموحدين - من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ ، أول ما يفتتح به الخليفة مجلسه مسألة من العلم يُلقيها بنفسه أو تـُلقى بإذنه ، و كان عبد المؤمن ويوسف ويعقوب يُـلقون المسائل بأنفسهم ولا ينفصلون من مجلس من مجالسهم إلا على الدعاء ، يدعو الخليفة ويؤمن الوزير جهرا يسمع من بعد من الناس ، ثم إذا سافروا لا يزال القرآن يقرأ بين أيديهم بالغدو و العشي ركبانا وإذا نزلوا فأول شيء يصنعونه في أول النهار بعد صلاتهم الفجر أن يخرج من ينادي الاستعانة بالله والتوكل عليه هذه عندهم للركوب فحينئذ يركب الناس ويخرج الخليفة من خيمته راكبا وأعيان القرابة وأشياخ الموحدين بين يديه مشاة خطوات كبيرة ثم يأمرهم بالركوب فإذا ركبوا وقف وبسط يديه ودعا فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه فيقرءون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل وهم سائرون سيرا رفيقا ثم شيئا من الحديث ثم يقرءون تواليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي فإذا فرغوا وقف الخليفة أيضا وبسط يديه ودعا " [1].

و الشاهد الثالث يتمثل في إصدار عبد المؤمن مرسومـًا يأمر فيه عامة الناس بأن يشتغلوا بقراءة مؤلفات المهدي ابن تومرت في العقيدة ، و ضبط لهم في ذلك أقدارًا معينة و تراتيب خاصة يتبعونها ، و مما يلفت الإنتباه في هذا المرسوم ما جاء فيه من أنه " يـُؤمر طلبة الحضر و من في معناهم بقراءة العقائد و حفظها و تعاهدها على سبيل التفهم و التبين و التنبه و التبصر ، و يلزم العامة و من في الديار بقراءة العقيدة التي أولـها (اعـلم أرشـدك الله) و حفظها و تفهمها ، و أشمل في هذا الإلزام الرجال و النساء و الأحرار و العبيد و كل من توجب عليه التكليف ، إذ لا يصح لهم عمل ، و لا يُـقبل منهم قول دون معرفة التوحيد ، فمن لم يعرف المـُرسل لم يُصدق بالمُـرسَـل و لا بالرسالة ، و من حصل على مثل هذه الحالة فقد تعثر في أذيال الضلالة " [2].

---

1 - المراكشي ، المصـدر السـابـق ، ج : 1 ، ص : 343 .

2 - أنظر نص المرسوم ضمن رسالة مخطوطة بباريس نقله منها عبد المجيد النجار في كتابه **ابن تومرت** ، ص : 404 .

و يبدوا أن العناية حظيت بها جميع مصنفات بن تومرت و لم تكن حكرا على المرشدة ، و هو ما يـُفيده قول بن الخطيب أن ابن تومرت " ألف لهم – أي لأتباعه - كتابا سماه بالقواعد و آخر سماه بالإمامة ، هما موجودان بأيدي الناس لهذا العهد " [1] ، أي لـزمن بن الخطيب المتوفى سنة 776هـ / 1374م و كانت وفاة ابن تومرت في العام 541هـ / 1147م.

و بمجهودات ابن تومرت و خليفته عبد المؤمن أخذت مؤلفات بن تومرت طريقها نحو الشيوع و لقيت رواجا بين طلبة العلم في المغرب و حتى المشرق ، لا سيما مرشدة بن تومرت التي صارت بحق مصدرا أشعريا في المغرب يتولاه الشارحون و المعلقـون بالتحليل و التفصيل ، و نذكر من تلك الشروح :

- شرح أبي عبد الله محمد بن خليل السكونـي الإشبيلي نزيل تونس (تـ 749 هـ / 1348 م) ، و هو شرح صغير اعتمد فيه صاحبه على شرح متن المرشدة شرحا أشعريا مركزا ، قصد منه تأكيد أشعرية المرشدة ، و من خلالها تأكيد الفكر الأشعري في أذهان القارئين لهذا الشرح ، و هي محققة و مطبوعة [2] .

- و شـرح محمد بن يوسف السنوسي (تـ 895هـ / 1489م) الذي شرحها بطلب من بعض أهل تلمسان كما يفيد قولـه " ... و بعد ، كسانا الله و إياك لباس التقوى ، و زحزحنا بمنه عن نار الشهوات و الهوى ، فإنك سألتني أن أقيّـد لك على كلام أبي عبد الله محمد المهدوي رحمه الله و نفع به في المرشدة ما يحلو سماعه و يروق دليلـه و نصوعه ، فأجبت إلى ذلك مستعينا بالله ... " [3] ، ثم أكمل بعض أصحاب السنوسي هذا الشرح و هو ما يفيده قوله " و لقد أحسن بعض أصحابنا بتكملة هذا المختصر ...لسفر شغلني عن تكملته في الحال " [4] .

- و من تلك الشروح أيضا التي تدل على شيوع المرشدة : شرح محمد بن إبراهيم بن عباد التلمساني (تـ 792هـ / 1390 م) و عنوانه " الذرة المشيدة في شرح عقيدة

---

1 - ابن الخطيب ، **رقم الحلل** ، ص : 80 .
2 - أبو عبد الله محمد بن خليل السكوني ، **شرح مرشدة بن تومرت** ، تحقيق يوسف احنانا ، دار الغرب الإسلامي ، 1414 هـ / 1993 م .
3 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابـق ، ص : 452 نقلا عن شرح المرشدة للسنوسي مخطوط بالدار .
4 - نفس المرجع . و أُنظر : **إحصاء مصنفات الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي** ، دراسة على الموقع : **www.aslein.net** .

المرشدة " و هي لا تزال مخطوطة بالخزانة العامة في الرباط [1] .

- و شرح آخر لأبي عبد الله محمد بن أبي العباس بن إسماعيل الأموي المعروف بابن النقاش و عنوانه " الدرة المفردة في شرح العقيدة المرشدة " و شرح أبي زكريا يحي بن أبي حفص عمر التنسي و عنوانه " الأنوار المبينة المؤيدة لمعاني عقد عقيدة المرشدة " و كلاهما مخطوط [2] .

وجاء في شرح ابن النقاش ما يعكس تداول المرشدة بين الناس و شيوعها فيهم ، منها قوله " و لما كان من جملة ما وضع المهدي لإفهام العامة ، و تيسيرا على الكافة العقيدة المختصرة المنتظمة الكلام ، الحسنة النظام ، المرتبطة المعاني ، الموسومة بالمرشدة ، بادر إلى حفظها و قراءتها جماعة الفقراء و العلماء و الأخيار ..." [3] .

- و هناك من اعتنى بالمرشدة نظما تسهيلا لحفظها و تداولها ، و تقريبا لمضامينها العقيدية ، فقال [4] في مطلع هذا النظم :

الحمد لله العظيم الأحد * ثم صلاته على محمد .

و بعد فاعلم أرشد الله الجميع * من ناظري و قارئ و مستمع .

بأنه فرض على المكلفين * أن يعلموا أن إله العالمين .

عز وجل في ملكه * العالم كله يرى بأمره .

و مما يعكس شهرة مرشدة ابن تومرت و سرعة انتشارها أن أصبح لها أنصار يبلغونها و يدافعون عنها ، كما كانت محل تدارس بين العلماء و الطلبة ، تُحرك حلقات المساجد و تنشّطها ، منهم أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الصغير الأنصاري (تـ 559هـ/1163م) الذي اختاره عبد المؤمن بين طلبة الموحدين فتلقى مبادئهم و برع في عقيدتهم و علمها للناس ، فولاه عبد المؤمن قضاء غرناطة ثم قضاء أشبيلية [5] .

---

1 - يوسف احنانا ، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي** ، ص : 92 ، وذكرها عبد المجيد النجار بالدال بدلا من الذال (الدرة المشيدة) ، **ابن تومرت** ، ص : 451 .

2 - نفس المرجع ، ص 93 ، و يُعد شرح التنسي " الأنوار المبينة " إكمالاً و تتمة لشرح السنوسي . أُنظر : عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 453 .

3 - نفس المرجع ، ص : 454 – 455 .

4 - النظم مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب لمؤلف مجهول . أُنظر عنه : يوسف احنانا ، **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي** ، ص : 93 .

5 ابن الخطيب ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، ج : 1 ، ص : 67 و ما بعدها .

و منهم أيضا أبو الحسن علي بن محمد بن خليل الإشبيلي (تـ 567هـ/1171م) الذي حضر المؤرخ ابن صاحب الصلاة المراكشي مجلسه في مراكش سنة (560هـ/1165م) يشرح فيه كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت [1] .

و منهم أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعروف بالسلالجي (تـ564هـ/1168م) ، الذي كان له اعتناء بمرشدة بن تومرت ، و شبهه بعض المؤرخين بأبي المعالي الجويني في المشرق [2] ، لاطلاعه الواسع في علم الكلام و لدوره الكبير في بث المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي [3] ، حتى لُقب – في مبالغة أشعرية واضحةٍ - بمنقذ أهل فاس من التجسيم [4] ، و الأصح من ذلك ما قاله عبد الله كنون إنه " هو الذي على يده وقع تحول أهل فاس من المذهب السلفي في العقيدة إلى المذهب الأشعري تبعا للتيار العام الذي اكتسح المغرب بأكمله في هذا الأمر نتيجة لدعوة ابن تومرت " [5] و أُشتهر بعقيدته الصغيرة المسماة " عقيدة البرهانية في علم الألوهية " المعروفة بالبرهانية أو السلالجية [6] .

و يذهب الباحث عبد المجيد النجار إلى أبعد من ذلك فيقول أنه تكونت – بهذه المصنفات التومرتية و شروحها المغربية – مدرسة في أصول الدين ببلاد المغرب الإسلامي ذات صبغة أشعرية ، فنشط تدريس هذا العلم ، و التأليف فيه ، بعدما كان مهجورا مقبحا معدودا من البدع ، مأمورا في عهد المرابطين بتجافيه مشددا على من وقع الشك في الميل إليه [7] .

و لم تكن المرشدة شائعة في المغرب فحسب بل طار ذكرها إلى المشرق ، مما يعكس مد ى شيوعها ، فقد ذكر السبكي أن فخر الدين بن عساكر (تـ 620هـ / 1223م)

---

1 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 444 – 445 .
2 - يوسف احنانا ، المرجع السابق ، ص : 112 .
3 - أنظر مقال : جامعة القرويين على الموقع الإلكتروني : **www.isesco.org.ma** .
4 -عبد الله علي علام ، **الدعوة الموحدية بالمغرب** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المعرفة ، 1964م ، ص : 305 .
5 -عبد الله كنون ، **النبوغ المغربي** ، ج : 1 ، ص : 121 .
6 - حققها يوسف احنانا و أوردها كاملة مع دراسة تفصيلية في ملحق كتابه : **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي** ، ص : 237 - 252 .
7 - عبد المجيد النجار ، المرجع السابق ، ص : 444 .

كان يدرسها بالقدس بمدرسة قريبة من الحرم [1] ، و خليل بن كيكلدي العلائي (تـ 761هـ / 1359م) الذي درسها و أثنى عليها ودافع عنها لما هاجمها بعض الناقمين عليها [2] .

و مما يعكس شهرتها و انتشارها في المشرق أيضا أن أهل الحديث هنالك أبدوا إنكارهم لها ، و سارعوا للتحذير منها ، من بينهم سيف الدين أحمد بن مجد الدين المقدسي الذي ذمها و قدح فيها و نسبها إلى الشؤم كما يفيد كلامه الذي نقله عنه السبكي يقول فيه : " لما دخلت بيت المقدس و الفرنج إذ ذاك فيه ، وجدت مدرسة قريبة من الحرم و الفرنج بها يؤذون المسلمين ، و يفعلون العظائم ، فقلت سبحان الله ، ترى أي شيء كان في هذه المدرسة حتى ابتليت بهذا ؟! ، حتى رجعت إلى دمشق فحـُكى لي أن الشيخ فخر الدين بن عساكر كان يـُقرئ بها المرشدة ، فقلت : بل هي المضلة " [3] ، و روى نفس الكلام الإمام الإمام الذهبي (تـ 748هـ/1347م) الذي كان هو الآخر من الناقمين على المرشدة ، فقد ذكر السبكي أن العلائي الذي سبق ذكره أطال في تعظيم المرشدة و الإزراء بشيخه الذهبي و سيف الدين بن المجد فيما ذكراه من شؤمهما بالمرشدة [4] .

و من الناقمين عنها في المشرق شيخ الإسلام بن تيمية (تـ 728هـ/1327م) الذي رُفعت إليه فتوى عن ابن تومرت و مرشدته ، سـُئل فيها عن أصلها ، و هل تجوز قراءتها أم لا ؟ ، فكان جوابه واضحا قاطعا في وجوب الإعراض عنها و عدم الإشتغال بها لأن صاحبها وافق فيها أقوال المتفلسفة كابن سينا و ابن سبعين و أشباههم من المعتزلة [5] .

و بقي أن نـُشير هنا إلى أن جهود ابن تومرت العلمية لنشر المذهب الأشعري في المغرب واكبتها جهود فقيهن أشعريين ، أحدهما أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي

---

1 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 5 ، ص : 70 .
2 - نفسه، ج : 5 ، ص : 70 .
3 - نفسه ، ج : 5 ، ص : 70 .
4 - نفسه ، ج : 5 ، ص : 70 .
5 - انظر نص السؤال و الفتوى في : **مجموع الفتاوى** ، ج :11 ، ص : 476 و ما بعدها . و قد طبعت هذه الفتوى مُفردة بعنوان رسالة في المرشدة لابن تومرت .

السرقسطي المراكشي الضرير (تـ 520 هـ / 1126 م) [1] ، المشهور بمنظومته العقيدية الأشعرية المسماة بـ " الإرشاد و التنبيه في علم الإعتقاد " [2] .

و الرجل الثاني الذي كان له إسهام كبير في انتشار المذهب الأشعري علميا في المغرب الإسلامي هو القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي (تـ 520 هـ / 1126 م) [3] ، فقد كان ابن العربي أشعريا معروفا ، وصلت به أشعريتـه إلى التحذير من العقيدة القيروانيـة [4] و اعتبارها خطرًا يشوش على الصغار و الكبار عقيدتهـم ، و لكونها تـُهـدد المعتقد الأشعري الناشئ بالغرب الإسلامي ، و تهجّم على فقهاء المرابطين في تحريمهم لعلم الكلام بحجة أنه بدعة لم يكن عليها سلف الأمة ، و رأى أن الدافع الأساسي الذي دفعهم إلى منـع علم الكلام هو عجزهم و عدم قدرتهم على ذلك و ليس لكونه بدعة [5] ، و قال في أهل الحديث كلاما غليظا ، و وصفهم بأوصاف شنيعة ، فجعلهم ممن كاد للإسلام ، و أنه لا فهم لهم ، و ليس لهم قلوب يعقلون بها ، و لا آذان يسمعون بها ، فهم كالأنعام بل هم أضل ، و عدّهم من الغافلين الجاهلين في موقفهم من الصفات ، و شبههم باليهود ، و قال أنه لا يُقال عنهم : بنوا قصرا و هدّموا مصرا ، بل يُقال : هدموا الكعبة ، و استوطنوا البيعة [6] أي كنيسة اليهود .

---

1 - القاضي عياض ، **الغنية** ، تحقيق علي عمر ، بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، ص : 226 .

2 - يوسف احنانا ، المرجع السابق ، ص : 83 .

3 - الإمام العالم القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المُكنى بأبي بكر بن العربي المعافري ، قاضي قضاة كورة إشبيلية ، كان مولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان 468هـ / 1075 م رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة 485هـ / 1092 م، ودخل الشام والعراق وبغداد، وسمع بها من كبار العلماء، ثم حج في 489هـ / 1096 م ، وعاد إلى بغداد ، ثم خرج إلى دمشق سنة 491 هـ/ 1098 م ، ثم عاد إلى الأندلس 493هـ/ 1100 م مرورا بمصر ، وقدم إشبيلية بعلم كثير، وكان موصوفاً بالفضل والكمال، وولي القضاء بإشبيلية، ثم صُرف عنه، ، وتوفي بمغيلة بمقربة من مدينة فاس، ودفن بفاس في ربيع الآخر سنة 543هـ / 1148 م . أُنظر عنه مثلا : المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1388هـ / 1968 م ، ج : 2 ، ص : 26 ، 43 . و ابن أبي بكر القضاعي البلنسي ، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق : عبد السلام الهراس ، دار الفكر ، بيروت ، 1416 هـ / 1995م ، ص : 192 . و ابن العماد ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 141.

4 - أُنظر : يوسف احنانا ، المرجع السابق ، ص : 109 . و القيروانية كما هو معلوم متن عقيدي على منهج أهل الحديث للفقيه المالكي بن أبي زيد القيرواني (تـ 380هـ / حوالي 1220م) .

5 - أُنظر : يوسف احنانا ، المرجع السابق ، ص : 101 و . عن أشعريته يُنظر أيضًا : عمار طالبي ، **أراء بن العربى الكلامية و نقده للفلسفة اليونانية** ، الطبعة 02 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981م .

6 - أُنظر : أبو بكر بن العربي ، **العواصم من القواصم** ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981 ، ص : 282 – 288 . و خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 39 ، 43 ، 44 .

إلا أن دور الرجلين في نشر المذهب الأشعري – على أهميته – لا يمكن أن نقارنه بدور الفقيه السياسي بن تومرت الذي حظيت مؤلفاته برعاية رسمية و انتشار كبير ، على خلاف الرجلين .

و يصح القول أن الأشعرية شقت طريقها إلى المغرب بالسيف و القلم ، السيف الذي مثله بن تومرت و القلم الذي مثله بن العربي ، إلا أن الذي يبدوا لنا أن حد السيف كان أقوى و أمضـى من مداد القلم .

و تبين لنا أيضا أن ابن تومرت في سعيه لترسيخ المذهب الأشعري في المغرب لم يعتمد على العمل السياسي و العسكري فقط ، و إنما أتبعه أيضا بأعماله العلمية مستغلا ما اكتسبه من علوم في رحلته المشرقية .

و تمثلت جهود ابن تومرت العلمية في التدريس و التصنيف ، إذ حظيت مؤلفات ابن تومرت بعناية سياسية كبيرة لا سيما المرشدة في العقيدة الأشعرية منها لبساطتهـا و بـلاغتها و سلامتها من القول بالمهدوية و العصمة ، و كان لأمر عبد المؤمن عامة الناس بحفظ المرشدة و فهمها دور فعال في انتشارها و ذيوعها .

و نتيجة للعناية السياسية المركزة انتشرت المرشدة و شاعت و كثر شـارحـوهـا و دارسوها ، و أخذت الأشعرية في المغرب تلتحم بأشعرية المشرق بعد بن تومرت .
ومع الموحدين –الذين وظفوا قضايا العقيدة في نزع المشروعية من المرابطين واتهموهم بالتشبيه والتجسيم- ستعرف الأشعرية بالمغرب مرحلةَ مدٍ عامٍ ولكاسح .

المبحث الـثـالــث : دور ملوك الأيوبيين فى الانتـصار للـعز بن عبد السلام في خلافـه مع أهل الحديث بدمشق و القاهرة (630هـ 660 هـ / 1233 مـ– 1262 م) :

تولى الملك الأشرف الأيوبي (تـ 635 هـ / 1238 م) سلطنة دمشق لأخيه في مصر الملك الكامل الأيـوبي سلطان الدولة الأيوبية سنة 626هـ / 1229 م ، وكان – كما وصفه الذهبي - فيه دين وخشية وعفة و سخاء ، كثير العطايا لا يوجد في خزائنه شيء من المال مع اتساع مملكته [1] وافر الشجاعة لم تكسر له راية قط ، يحب الفقراء والصالحين ويتواضع لهم ويـزورهم ويصلهم ، و كان مـع ذلك يُجيز الشعـراء و يُكرمهم أيضا ، و لما عدد الذهبي للملك الأشرف تلك الصفات عاب عليه ما كان الأشرف قائما عليه من الخمر و اللهو [2] .

و كان الأشرف مثل أخيه الكامل طالبا للعلم محصلا له ، محبا للحديث و حريصا على حفظه ونقله ، فقد نقلت المصادر إجازة علمية له من العلامة عبد الله بن برى وأبو عبد الله ابن صدقة الحراني وعبد الرحمن بن الخرقي ، و خرج له أبو القاسم بن الصفراوي أربعين حديثا وسمعها جماعة [3] ، و كان قد سمع صحيح البخاري من أبي عبد الله ابن الزبيدي ، و روى عنه الشهاب القوصي وغيره ، وحـدث عنه أبو الحسين اليونيني بأربعين حديثا خُرجت له [4] .

و كان الملك الأشرف يعتقد مُعتقده أهل الحديث في الإيمان بآيات الصفات دون تأويلٍ لها كما هو الحال عند أشاعرة زمانه ، و مـرد ذلك ما نقله المؤرخ الأشعري بهاء الدين السبكي من أن طائفة من الحنابلة كانوا على اتصالٍ به فقرروا ذلك عنده ، ثم

---

1 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4731 . و ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 6 ، ص 300 ، 301 .
2 - نفس المصدر ، ص : 4731 .
3 - ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، ج : 6 ، ص : 227 ، 228 .
4 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4731 .

يضيف السبكي قائلا " حتى اختلط اعتقاده لذلك بلحمه ودمه ، وصار يعتقد فيمن خالف ذلك أنه كافر مباح الدم "[1] .

و لما كان الملك الأشرف على درجة من الفقه و العلم [2] كان محبا للعلماء مُجلا ً لهم ، و يعرف لهم قدرهم ، و كان من أبرز علماء عصره في دمشق الفقيه العز بن عبد السلام (تـ 600 هـ / 1204 م) [3] .

وكان الفقيه الأصولي العز بن عبد السلام شافعيا أشعريا صوفيا ، اتضح ذلك في سيرته جليا ، فقد أطال السبكي في إبراز أشعريته و الثناء عليها ، و ذكر من شيوخ العز بن عبد السلام الذين أخذ عنهم و لازمهم شيخ الأشاعرة و الشافعية في زمانه فخر الدي ن بن عساكر الدمشقي (تـ 571 هـ / 1176 م) و شيخ المتكلمين في زمانه سيف الدين الآمدي (تـ631 هـ / 1234 م) ، و هما من أئمة الأشعرية ، فأخذ عنهم و برع في مذهبهم و بلغ درجة الإجتهاد و الإمامة فيه [4] .

لذلك كان العز بن عبد السلام يؤل آيات كلام الله تعالى و يعتبره كلاما نفسيا على طريقة الأشاعرة ، و لتمسكه بهذا الرأي عدد له السبكي مواقف وقفها في وجه أهل الحديث فذمهم أشد الذم واتهمهم بالتشبيه والتجسيم [5] ، بل أرجع السبكي الفضل إليه في انقلاب الملك الأشرف إلى المذهب الأشعري بعد أن ان ينتصر لأهل الحديث [6] .

---

1 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 218 .

2 - و قد بالغ الباحث عبد الرحمان الشرقاوي حين وصفه - من غير بينة - بأنه كان عديم المستوى قليل الحظ من الثقافة و العلوم . أُنظر : عبد الرحمان الشرقاوي ، **أئمة الفقه التسعة** ، ص : 305 .

3 - الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي الدمشقي ثم المصري أبو محمد ولد سنة 577 هـ أو 578 هـ /1182 هـ أو 1183هـ ، تفقه على الفخر بن عساكر الدمشقي ، و برع في الفقه والأصول العربية مع الزهد والورع ، و انتهت إليه معرفة المذهب الشاقعي ، لبس العز خرقة التصوف من الشهاب السهروردي كما أنه كان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي . و من أشهر تلاميذ العز بن عبد السلام : الفقيه ابن دقيق العيد (تـ 702 هـ / 1303 م) . كما أن للعز مصنفات كثيرة أشهرها : تفسير القرآن ، ومجاز الفرسان ، والفتاوي الموصلية ، ومختصر النهاية ، وشجرة المعارف ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة . أُنظر عنه مثلا : الأدنروي ، **طبقات المفسرين** ، الطبعة 01 ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم و الحكم ، 1418 هـ / 1997 م ، ص : 242 . و السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، القلقشندي ، قاضي شهبة ، **طبقات الشافعية** ، ج : 2 ، ص : 109 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 209 و ما بعدها . ابن العماد ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 301 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج :13 ، ص : 235 . و ابن أيبك الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 2685 .

4 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 209 و ما بعدها . كما كان من أبرز تلاميذ العز بن عبد السلام الفقيه بن دقيق العيد الشافعي الأشعري (تـ 702 هـ / 1303 م) . أُنظر : الأدنروي ، طبقات المفسرين ، ص : 252 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 13 ، ص : 155 .

5 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 218-238 .

6 - نفس المصدر ، ج : 8 ، ص : 218-238 .

أما ابن تيمية فقد وصف العز بن عبد السلام وأمثاله الذين يؤولـون آيات الصفـات و ينتسبون للإمام أبي الحسن الأشعري و صفهم بأنهم جهمية كلابية [1] .

كما تظهر أشعريته في مصنفاته جليا ، فقد قرر في عقيدته التي نقلها عنه السبكي في طبقاته بأن القرآن قديم أزلي قائم بذاته وأن القرآن الذي في المصحف هو دليل على كلام الله وليس هو كلام الله ، فقال : ((متكلم بكلام أزلي ليس بحرف ولا صوت ... ، ثم تكلم عن المصحف والمداد... فقال : ويجب احترامها لدلالتها على كلامه)) [2] . ويقول: ((ومذهبنا أن كلام الله سبحانه قديم أزلي قائم بذاته)) [3] وهذا هو عين مذهب الأشاعرة ، و تبعا لذلك أوّل الحرف و الصوت الواردة في نصوص الكتاب و السنة على منهج الأشاعرة ، فهو انطلاقا من مذهبه الأشعري أنكر مسألة الحرف والصوت ، و شنع على أهل الحديث قولهم بأن كلام الله تعالى حرف و صوت لا يُشبهان ما عند البشر ، و اعتبر ذلك كله يؤول إلى التشبيه و وصفٌ لله تعالى بما لا يليق به ، فقال في عقيدته : ((والعجب ممن يقول : القرآن مركب من حرف وصوت)) [4] .

و ذكر الذهبي أنه وقعت بدمشق فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد وتعصب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام على الحنابلة وجرى بذلك خبط طويل [5] ، و بلغت الملك الأشرف فتوى العز بأن الله لا يتكلم بحرف و صوت ، و أكدت بعض المصادر أن فتوى العز في كلام الله قد بلغت للملك الأشرف بسعيٍ من بعض الحنابلة من أهل الحديث الذين كانوا يُضمرون له العداء لما نالـه من شهرةٍ و مكانةٍ ، و لإدراكهم أن ذلك يجلب عليه سخط السلطان [6] ، ومما جاء في تلك الفتوى " وأنه حي مريد سميع بصير عليم قدير قدير متكلم بكلام أزلي ، ليس بحرف ولا وصت ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مداداً في الألواح والأوراق شكلاً ترمقه العيون والأحداق، كما زعم أهل الحشو والنفاق ، ... فويل

---

1 - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 4 ، ص : 158. و رسالة : ح**قيقة العز بن عبد السلام وموقف شيخ الإسلام بن تيمية منه** ، بحث إلكتروني من موقع : www.alsonan.n et .

2 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 219 .

3 - نفس المصدر ، ج : 8 ، ص : 233 .

4 - نفس المصدر ، ج : 8 ، ص : 224 .

5 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4731 .

6 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، **إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام** ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مصر ، دار الأنوار للطبع و التجليد ، 1370 هـ / 1951 م ، ص : 3 . و عبد الرحمان الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص : 305 .

لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد، أو رسم من أشكال المداد والعجب ممن يقول : القرآن مركب من حرف وصوت ، ثم يزعم أنه في المصحف ، وليس في المصحف إلا حرف مجرد لا صوت معه؛ إذ ليس فيه حرف متكون عن صوت، فإن الحرف اللفظي ليس هو الشكل الكتابي، وكذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان ولا يشاهد بالعيان ، ويشاهد الشكل الكتابي بالعيان ولا يسمع بالآذان ، ومن توقف في ذلك لم يعد من العقلاء، فضلاً عن العلماء، فلا كثر الله من أهل البدع والأهواء، والإضلال والإغواء " [1]
.

و لما بلغت تلك الفتوى الملك الأشرف غضب غضبا شديدا من كلام الشيخ ، و نُقل عنه أنه قوله " كنا نعتقد أنه متوحد في زمانه في العلم والدين ، فظهر عند الاختبار أنه من الفجار لا بل من الكفار " [2] ، و الفقهاء حاضرون عنده ، فاقترح بعضهم العفو عن الشيخ في هذا الشهر – و كان الشهر رمضان - [3] ، و انفصلوا تلك الليلة من مجلسه بالقلعة و السلطان على ذلك الحال .

و بقي الشيخ على هذه الحال إلى أن وصل إلى أسماع شيخ الحنفية جمال الدين بن أبي بكر الخضيري الأشعري المعروف بابن الحاجب (تـ 646 هـ / 1249 م) [4] خبر الشيخ ابن عبد السلام ، فقام للإنتصار للعز و الأشاعرة ، ومضى إلى القضاة والعلماء الأعيان الذين حضروا هذه القصة عند السلطان ، وأخذ خطوطهم بموافقته [5] .

حينها التمس ابن عبد السلام من السلطان أن يعقد مجلساً للشافعية والحنابلة وتحضره المالكية والحنفية وغيرهم من علماء المسلمين ، وذكر له أنه أخذ خطوط الفقهاء الذين كانوا بمجلس السلطان لما قرئت عليه الفتيا بموافقتهم له ، وأنه لم يمكنهم الكلام

---

1 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 4 .
2 - نفسه ، ص : 4 .
3 - نفس المصدر ، ص : 7 .
4 - أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن يونس الدوني ثم المصري الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده كرديا حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي ، كان مولده في آخر سنة 570 هـ / 1174 م بأسنا في مصر ، اشتغل بالقاهرة في صغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الإمام مالك === === رضي الله عنه ثم العربية والقراءات وبرع في علومه وأتقنها غاية الإتقان ثم انتقل إلى دمشق ودرس بجامعها في زاوية المالكية ، ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه ثم انتقل إلى الإسكندرية للإقامة بها فلم تطل مدته هناك وتوفي بها ضاحي نهار الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ست 640هـ / 11 / 02 / 1249 م ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ ابن أبي شامة . أنظر : ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 248 ، 249 ، 250 .
5 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 7 .

بمحضر السلطان في ذلك الوقت لغضبه وما ظهر من حدته في ذلك المجلس ، و ذكـّره بما قام به والده السلطان الملك العادل حين " عزر جماعة من أعيان الحنابلة المبتدعة تعزيراً بليغاً رادعاً، وبدّعهم وأهانهم " [1] على حد قوله .

و رد الملك الأشرف على طلبه برسالـةٍ رفض فيها طلبه و بأنه لا جدوى من أي اجتماعٍ في مسـألـة العقـائـد ، لأن العقيدة الصحيحة هي ما كان عليها الخلفاء الراشدون الذين قال صلى الله عليه وسلم في حقهم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) وعقائد الأئمة الأربعة فيها كفاية لكل مسلم يغلب هواه ويتبع الحق ويخلص من البدع . و أما ما ذكره الشيخ عن الذي جرى في أيام الملك العادل من اضطهاد للحنابلة ، فأجابه الملك الأشرف بأنه أعلم بحال أبيه منه ، و ختم رسالته بال الحديث : (الفتنة نائمة لعن الله مثيرها) [2] ومن تعرض إلى إثارتها قابلناه بما يخلصنا من الله تعالى ما يعضد كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " [3] . و اعتبر الذهبي ذاك من حسنات الأشرف و رد بالتي هي أحسن على العز بن عبد السلام لما تعصب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام على الحنابلة [4] .

و أرسل الملك الأشرف كتابا إلى العز تضمن شروطا ثلاث : أحدها أن لا يفتي، والثاني: أنه لا يجتمع بأحد، والثالث: أنه يلزم بيته [5] .

في ذلك الوقت تدخل شيخ الحنفية في زمانه جمال الدين الحصيري الأشعري (تـ 636 هـ / 1239 م) [6] ، و كان الملك الأشرف يجلّه و يوقـّره ، يدل على ذلك أن

---

1 - نفسه ، ص : 7 .

2 - نص الحديث " الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها " و هو حديث ضعيف ، أُنظر : محمد ناصر الدين الألباني ، **ضعيف الجامع** ، حديث رقم : 4024 ، طبعة المكتب الإسلامي . و **الجامع الصغير وزيادته** ، المكتب الإسلامي ، ج : 1 ، ص : 846 . و **السلسلة الضعيفة** ، الرياض ، مكتبة المعارف ، ج : 7 ، ص : 259 . عبد الرؤوف المناوي ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، الطبعة 01 ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1356 هـ / 1937 م ، ج : 4 ، ص : 461 .

3 - محمد بن عز الدين بن عبد السلام ، المصـدر السـابـق ، ص : 8 .

4 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4733 .

5 - نفس المصدر ، ص : 11 .

6 - شيخ الحنفية جمال الدين بن الحصيري أبو المحامد محمود بن أحمد بن عبد السيد البخاري ، ولد سنة 546 هـ / 1152 م ، روى صحيح مسلم عن أصحاب الفراوي ، سكن دمشق وولي تدريس النورية بدمشق في سنة 611 هـ و استمر بالتدريس بها خمسا وعشرين سنة ، من مصنفاته : شرح الجامع الكبير ، قال عنه بن العماد الحنبلي كان كثير الصدقة غزير الدمعة انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة ، و قال عنه الذهبي كان ينطوي على دين وعبادة وتقوى وله جلالة عجيبة ومنزلة مكينة وحرمة وافرة ، توفي في ثامن صفر سنة 636 هـ/ 1238 م ، وله تسعون سنة ، ودُفن

السلطان لما رآه " وثب قائماً ومشى إليه ، وأنـزلـه عن حماره ، وأجلسه على تكرمته ، واستبشر بوفوده عليه " [1] ، و لما أحضر السلطان للشيخ طعاما و شرابا ، فقال له الحصيري : ما جئت إلى طعامك ولا إلى شرابك ، فقال له السلطان: يرسم الشيخ ونحن نمتثل مرسومه [2] .

فبدأ يـُنكر على السلطان ما عامل به العز بن عبد السلام ، و مما قاله عن العز " هذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا كان ينبغي للسلطان أن يسعى في حلوله في بلاده لتتم بركته عليه وعلى بلاده، ويفتخر به على سائر الملوك " [3] .

فأحضر له السلطان فتيا العز في كلام الله تعالى ، فقرأها الحصيري إلى آخرها، ثم أقرها و مدحها وقال: " هذا اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين، وكل ما فيهما صحيح ، ومن خالف ما فيهما وذهب إلى ما قاله الخصم من إثبات الحرف والصوت فهو حمار " [4] .

حينها يذكر لنا المصدر الوحيد - الذي انفرد بالحديث عن هذه الحادثة بتفصيل - انقلاباً تاماً و مفاجئاً للملك الأشرف ، اتضح ذلك من رد السلطان على الفقيه إذ قال له " نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارط في حقه ، والله لأجعلنه أغنى العلماء " [5] وأرسل إلى الشيخ وطلب محاللته ومخاللته ، و تراجع عما كان فد اشترط عنه من شروط .

و تقدم إلى الفريقين بالإمساك عن الكلام في مسألة الكلام، وأن لا يفتي أحد فيها بشيء ، سداً لباب الخصام .

بمقابر الصوفية . أنظر : ابن العماد ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 182 . و الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج : 23 ، ص : 53 .

1 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 12 .

2 - نفسه ، ص : 12 .

3 - نفسه ، ص : 12 .

4 - نفسه ، ص : 12 .

5 - و ذكر المصدر نفسه (ص : 12) أن الحنابلة قد استنصروا على أهل السنة وعلت كلمتهم ، بحيث إنهم صاروا إذا خلوا بهم في المواضع الخالية يسبونهم ويضربونهم ويذمونهم **؟!** . و ذهب إلى نفس الزعم أيضا عبد الرحمان الشرقاوي ، **أئمة الفقه التسعة** ، ص : 305 .

و استمر الأمر على ذلك إلى أن اتفق وصول السلطان الملك الكامل إلى دمشق ، من الديار المصرية ، وكان أشعري العقيدة [1] ، وكان وهو بالديار المصرية قد سمع ما جرى في دمشق في مسألة الكلام ، و طلب الإجتماع بالشيخ العز ، لكن الشيخ اعتذر عن ذلك و أوكل لابنه أن يكتب له بعضـًا مما حدث [2] ، و لما اجتمع بالسلطان الملك الأشرف استفسره عما حدث بين الشافعية والحنابلة من خصام في مسألة الكلام ، فذكر له أنه منع الطائفتين من الكلام في مسألة الكلام ، فانقطع بذلك الخصام .

حينها فزع الملك الكامل يُـنكر عليه ذلك بلهجة حادة ، و مما نـُقل عنه قوله " تساوي بين أهل الحق والباطل ، وتمنع أهل الحق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يكتموا ما أنـزل الله إليهم ، كان الطريق أن تمكن أهل السنة من أن يلحنوا بحججهم وأن يظهروا دين الله، وأن تشنق من هؤلاء المبتدعة عشرين نفساً ليرتدع غيرهم ، وأن تمكن الموحدين من إرشاد المسلمين وأن يبينوا لهم طريق المؤمنين " [3] .

و من حينها صار الملك الأشرف يوقر العز و يترضاه ويعمل بفتاويه و يمكن لها ويطلب أن يقرأ عليه تصانيفه الصغار مثل " الملحة في اعتقاد أهل الحق " [4] الذي ذكر

---

1 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصـدر السـابـق ، ص : 12 .
2 - نفس المصدر ، ص : 12 ، 13 .
3 - نفس المصدر ، ص : 13 .
4 - و هي متن عقيدي أشعري خالص ، مما جاء فيه لله تعالى " ليس بجسم مصوَر ولا جوهر محدود ولا مقدَر ولا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات ، كان قبل أن كوَن المكان ودبّر الزمان وهو الآن على ما عليه كان، خلق الخلق وأعمالهم وقدّر أرزاقهم وآجالهم فكل نعمة منه فهي فضل وكل نقمة منه فهي عدل، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله بالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغي والضلال، بل لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً، مطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر، حيّ مريد سميع بصير عليم ===
=== قدير متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت، ولا يتصوّر في كلامه أن ينقلب مداداً في الألواح والأوراق شكلاً ترمقه العيون والأحداق كما زعم أهل الحشو والنفاق، بل الكتابة من أفعال العباد ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة ويجب احترامها لدلالتها على كلامه كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته، وحُقّ لما دلّ عليه أن يعتقد عظمته وترعى حرمته ولذلك يجب احترام الكعبة والأنبياء والعبّـاد والعلماء الصلحاء
أمرّ على الديار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا
ولمثل ذلك نقبل الحجر الأسود ويحرم على المحدث مس المصحف، أسطره وحواشيه التي لا كتابة فيها، وجلده وخريطته التي هو فيها، فويل لمن زعم أن كلام الله القديم شيء من ألفاظ العباد أو رسم من أشكال المداد.
واعتقاد الأشعري رحمه الله يشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون التي سمى بها نفسه في كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماؤه ... " و قال في آخرها : " فهذا إجمال من اعتقاد الأشعري رحمه الله تعالى واعتقاد السلف وأهل الطريقة والحقيقة نسبته إلى التفصيل الواضح كنسبة القطرة إلى البحر الطافح " ، و مما أورده في آخرها " والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان أحدهما لا يتحاشى من إظهار الحشو ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون " و اعتبر الرد عليهم من أكمل ضروب الجهاد فقال " والجهاد ضربان: ضرب بالجدل

بعضها في الفتيا ، وقرئت عليه " مقاصد الصلاة " في يوم ثلاث مرات تقرأ عليه ، وكلما دخل عليه أحد من خواصه يقول للقارئ : اقرأ "مقاصد الصلاة " لابن عبد السلام ، و أمر الملك الأشرف الواعظ الشيخ شمس الدين سبط ابن الجوزي (تـ 654 هـ / 1256 م) [1] فقرأها على المنابر [1] .

والبيان، وضرب بالسيف والسنان، فليت شعري فما الفرق بين مجادلة الحشوية وغيرهم من أهل البدع! ولولا خبث في الضمائر وسوء اعتقاد في السرائر: (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) (النساء 108)، وإذا سئل أحدهم عن مسألة من مسائل الحشو أمر بالسكوت عن ذلك، وإذا سئل عن غير الحشو من البدع أجاب فيه بالحق، ولولا ما انطوى عليه باطنه من التجسيم والتشبيه لأجاب في مسائل الحشو بالتوحيد والتنزيه، ولم تزل هذه الطائفة المبتدعة قد ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا: (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين) (المائدة 64)، لا تلوح لهم فرصة إلا طاروا إليها، ولا فتنة إلا أكبوا عليها. وأحمد بن حنبل وفضلاء أصحابه وسائر علماء السلف برءآء إلى الله مما نسبوه إليهم واختلقوه عليهم وكيف يظن بأحمد بن حنبل وغيره من العلماء أن يعتقدوا أن وصف الله القديم بذاته هو عين لفظ اللافظين ومداد الكاتبين مع أن وصف الله قديم وهذه الألفاظ والأشكال حادثة بضرورة العقل وصريح النقل ... والعجب ممن يقول القرآن مركب من حرف وصوت ثم يزعم أنه في المصحف وليس في المصحف إلا حرف مجرد لا صوت معه إذ ليس فيه حرف متكون من صوت، فإن الحرف اللفظي ليس هو الشكل الكتابي ولذلك يدرك الحرف اللفظي بالآذان ولا يشاهد بالعيان، ويشاهد الشكل الكتابي بالعيان ولا يسمع بالآذان، ومن توقف في ذلك فلا يعد من العقلاء فضلا عن العلماء، فلا أكثر الله في المسلمين من أهل البدع والأهواء والإضلال والإغواء ، ومن قال بأن الوصف القديم حال في المصحف لزمه إذا احترق المصحف أن يقول إن وصف الله القديم احترق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً، ومن شأن القديم أن لا يلحقه تغير ولا عدم، فإن ذلك مناف للقدم ، فإن زعموا أن القرآن مكتوب في المصحف غير حال فيه كما يقوله الأشعري، فلم يلعنون الأشعري رحمه الله؟ وإن قالوا بخلاف ذلك فانظر: (كيف يفترون على الله الكذب، وكفى به إثماً مبيناً) ، والكلام في مثل هذا يطول، ولولا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين وإخمال المبتدعين، وما طولت به الحشوية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين والإزراء على كلام المنزهين، لما أطلت النفس في مثل هذا مع اتضاحه، ولكن قد أمرنا الله بالجهاد في نصرة دينه، إلا أن سلاح العالم علمه ولسانه كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماد أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله كان جديراً أن يحرسه الله بعينه التي لا تنام ويعزه بعزه الذي لا يضام ويحوطه بركنه الذي لا يرام ويحفظه من جميع الأنام (ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) (محمد 4)، وما زال المنزهون والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الأشهاد في المحافل والمشاهد، ويجهرون به في المدارس والمساجد، وبدعة الحشوية كامنة خفية لا يتمكنون من المجاهرة بها بل يدسونها إلى جهلة العوام وقد جهروا بها في هذا الأوان، فنسأل الله تعالى أن يعجل بإخمادها كعادته ويقضي بإذلالها على ما سبق من سنته. وعلى طريقة المنزهين والموحدين درج الخلف والسلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين.
والعجب أنهم يذمون الأشعري لقوله إن الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق، وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه فإن الشبع والري والإحراق حوادث تفرد الرب بخلقها، فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الإحراق، وإن كانت أسباباً في ذلك فالخالق تعالى هو المسبب دون السبب، كما قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال 17)، نفى أن يكون رسوله صلى الله عليه وسلم خالقاً للرمي وإن كان سبباً فيه، وقد قال تعالى: (وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا) (النجم 43، 44)، فاقتطع الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء عن أسبابها وأضافها إليه، فكذلك اقتطع الأشعري رحمه الله تعالى الشبع والري والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى: (الله خالق كل شيء) (الزمر 62)، وقوله: (هل من خالق غير الله) (فاطر 3)، (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) (يونس 39)، (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أما ذا كنتم تعملون) (النمل 84) " ، أنظر : السبكي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 219 .
1 - العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فرغلي التركي ثم البغدادي الهبيري الحنبلي ثم الحنفي سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، ولد سنة حوالي 580 هـ / 1184 م ، قدم دمشق سنة بضع وستمائة فوعظ بها وحصل له القبول العظيم للطف شمائله وعذوبة وعظه كم ذكر بن العماد الحنبلي ، و انتهت إليه رئاسة الوعظ وحسن التذكير ومعرفة التاريخ وكان حلو الإيراد لطيف الشمائل مليح الهيئة وافر الحرمة له قبول زائد وسوق نافق بدمشق كما ذكر الذهبي ، أقبل عليه أولاد الملك العادل وأحبوه وصنف تاريخ مرآة الزمان وأشياء و ذكر الذهبي أنه رأى لسبط بن الجوزي مصنفا يدل على تشيعه وكان العامة يبالغون في التغالي في مجلسه ، وله تفسير في تسع وعشرين مجلدا

ولم يزل الملك الأشرف يعظم العز ويتبرك بأقواله إلى أن أقعده مرض الموت ، ويئس من الحياة ، فعاده الشيخ و سُر به الملك سرورا عظيما و أحله ، و أوصاه العز بتغيير بعض المنكرات في دولته لتكون قربة له عند الله [2] .

ثم تملك بعد موت الأشرف الصالح إسماعيل ، لكن ما لبث يسيراً حتى قدم السلطان الكامل من الديار المصرية بعساكره وجحافله وجيوشه إلى دمشق ، وحاصر أخاه إسماعيل بدمشق و اصطلح معه ، وحضر العز بن عبد السلام عند السلطان الملك الكامل فأكرمه غاية الإكرام ، وولي السلطان الملك الكامل الشيخَ تدريس زاوية الغزالي بجامع دمشق ، كما ولاه قضاء دمشق بعدما اشترط عليه الشيخ شروطاً كثيرة، ودخل في شروطه ودخل في شروطه [3] .

و في ذلك المنصب الهام – أستاذية الجامع الأموي – أخذ العز يشرح عقيدة الأشعري في أصول الدين و أدلته العقلية على صحة مذهبه ، أما في الفروع فلم يكن متقيدا بالمذهب الشافعي كما كان من قبل بل كان يُفتي باجتهاده [4] .

و لما تحالف الصالح إسماعيل مع الإفرنج [5] هاجر الشيخ إلى مصر ، و كان الأمر قد آل بها إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فأكرمه و أقر معتقده و ولاه خطابة مصر وقضاءها ، وفوض إليه عمارة المساجد بمصر والقاهرة [6] ، و ولاه تدريس المدرسة الصالحية بالقاهرة المعزية [7] ، و صارت إليه الفتوى بالديار المصرية حين تنازل عنها عبد العظيم المُنذري (تـ 656 هـ / 1258 م) [8] وامتنع و قال كنا نُفتي قبل حضور

وشرح الجامع الكبير وكتاب مرآة الزمان وهو كتاب كاسمه وجمع مجلدا في مناقب أبي حنيفة توفي ليلة الثلاثاء العشرين من ذي الحجة سنة 654هـ / 1257 م بمنزله بجل الصالحية ودفن هناك وحضر دفنه الملك الناصر سلطان الشام . أُنظر عنه : ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 66 – 267 . و الذهبي ، **سير الأعلام** ، ج : 23 ، ص : 298 .

1 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 13 - 14 .

2 - نفس المصدر ، ص : 15 .

3 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 17 .

4 - الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص : 302 .

5 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 13 ، ص : 236 .

6 - نفس المصدر ، ج : 13 ، ص : 154 .

7 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 19 .

8 - الحافظ الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد أبو محمد المنذري الشامي ثم المصري الشافعي . ولد سنة في غرة شعبان بمصر سنة 581 هـ / 1185 م ، ولي مشيخة الدار الكاملية للحديث وانقطع بها نحواً من عشرين سنة مكباً على التصنيف والتخريج والإفادة والرواية ، قال عنه الدمياطي : هو شيخي ومخرجي ؛ أتيته مبتدئاً وفارقته معيداً . أُنظر : ابن أيبك الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 2702 .

الشيخ عز الدين وأما بعد حضوره فمنصِبُ الفُتيا متعينٌ فيه وألقى التفسير بمصر دروسا ، وهو أول من فعل ذلك[1] .

ثم بنى السلطان مدرسة الصالحية المعروفة بين القصرين بالقاهرة وفوض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عز الدين " فباشره وتصدى لنفع الناس بعلومه " [2] .

و عندما آل الأمر إلى المماليك ، عامل كل منهم الشيخ أحسن معاملة، ولا سيما السلطان الملك الظاهر ركن الدين ، فإنه كان يعظمه ويحترمه ويعرف مقداره، ويقف عند أقواله و فتاويه ، وأقام الخليفة بحضرته وإشارته [3] .

وكانت وفاة الشيخ في دولته بالمدرسة الصالحية بالقاهرة المحروسة في يوم السبت قبيل العصر، التاسع من جمادى الأولى، في سنة 660هـ / 1262 م ، و حضر الأمراء و الأجناد تشييع جنازته .

و يتبين من خلال ما سبق أن العز بن عبد السلام كان من أبرز أئمة المذهب الأشعري في دمشق ، اتضحت أشعريته جليا في سيرته ، و قد مر العز بسبب قوله في كلام الله تعالى – على رأي الأشاعرة - بمحنة انتهت باستمالته للملك الأشرف الذي مكن له و لمعتقده الأشعري (الملحة في اعتقاد أهل الحق) ثم نحا نحوه الملك العادل في دمشق و النجم صالح الدين في مصر .

و في نهاية هذا الفصل تبين لنا أن المذهب الأشعري حظي برعاية سياسية في المجال العلمي ، فكانت المدارس النظامية التي أشرف عليها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (تـ 485 هـ / 1092 م) - كانت بحق – منعرجًا حاسما رجّح الكفة للمذهب الأشعري أصولا و الشافعي فروعا ، إذ فـرض ذلك على الطالب والمُـدرس والفراش ، فكان لهذه المدارس – بخريجيها - الأثر البالغ في

---

1 - السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، ص : 101 .
2 - محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، المصدر السابق ، ص : 18.
3 - نفس المصدر ، ص : 19 .

التمكين للمعتقد الأشعري و المذهب الشافعي ، و حذت حذوها المدارس الزنكية و الأيوبية التي كانت امتدادا لها .

و تبين لنا أيضـًا أن ابن تومرت (تـ 524هـ/1130 م) سعى لترسيخ المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي بما أُوتي من علم ، و تمثلت جهود بن تومرت العلمية في التدريس و التصنيف ، إذ حظيت مؤلفات بن تومرت بعناية سياسية كبيـرة لا سيما المرشدة في العقيدة الأشعرية منها لبساطتها و بلاغتها و سلامتها من القول بالمهدوية و العصمة ، و كان أمر عبد المؤمن عامة الناس بحفظ المرشدة و فهمها دور فعال في انتشارها و ذيوعها .

كما مثّل الإنتصار الأيوبي للشيخ العز بن عبد السلام مظهرا آخر للإنتصار السياسي للمذهب الأشعري في الحياة العلمية ، من خلال الدور الذي لعبه الملك الأشرف الأيوبي في تقريب العز بن عبد السلام و التمكين لمعتقده الأشعري .



- الفصل الـرابــع : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية في المشرق الإسلامي و مغربه (465 هـ - 595هـ / 1073 م - 1102 م) :

- **المبحث الأول : مظاهر الدعم السياسي السلجوقي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية في بغداد (469 هـ / 521 هـ / 1077 م-1127 م) .**
- **المبحث الثـانــي : مظاهر الدعم السياسي الأيوبي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بدمشق و أصفهان (595 هـ / 1199 م) .**
- **المبحث الـثــالـث : مظاهر الدعم السياسي المملوكي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بالشام و مصر (698 هـ - 709 هـ / 1299 م – 1310 م) .**

❖ *الفصل الـرابـع : مظاهر الدعم السياسي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية في المشرق الإسلامي و مغربه (465 هـ - 595هـ /1073 م - 1102 م) :*

عرفنا - فيما سبق - أن المذهب الأشعري حظي بـعـد القــرن 5 هـ/11 برعاية سياسية من دول و جـهات رسمية فاحتضنه سلاطين و انتصـر له وزراء ، فأخذ لذلك يتعزز و يفرض وجوده و يصطدم بغيرة من الحركـات الفكـريـة و المذهبية ، و سنحاول في هـذا الفصل تتبع المواقف السياسية التي انتصرت للمذهب

الأشعري في المجال المذهبي و الإجتماعي مشرقا و مغربا ، و من ثم تقييم دورها في انتشار المذهب الأشعري أيضا .

المبحث الأول : مظاهر الدعم السياسي السلجوقي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية في بغداد (469 هـ / 521 هـ / 1077 م-1127 م) .

لقي المذهب الأشعري - منذ أن برز كمذهب عقيدي قائم بذاته – معارضة من أهل الحديث ، و الذين مثلهم في الغالب الحنابلة ، واستحالت تلك المعارضة إلى فتنٍ و مصادماتٍ بين الطائفتين ، و كانت بغداد مسرحا لمعظم تلك الفتن ، لكونها احتضنت (مع بداية القرن 5هـ/ 11م) المرحلة الإنتقالية التي شهدها المذهب السني من الوحدة (أهل الحديث) إلى الثنائية (أهل الحديث و الأشاعرة) ، و لكونها – من جانب آخر – العاصمة السياسية و الحضارية للمسلمين .

و لم تكن سلطة بغداد بمنأى عن تلك الفتن ، فأسهمت فيها و ربما كانت طرفا فيها ، و مرد ذلك إلى سببين : أحدهما تمذهب الساسة بإحدى الطائفتين [1] ، و ثانيا لكون الحركة الفكرية و ما ينجر عنها من مواقف و نزاعات كانت تمس سياسة الدولة و أمنها ، فكان تدخلهم – أي الساسة - في الحركة المذهبية من هذه الأبواب .

و مر بنا الكلام عن موقف الخليفة العباسي القادر بالله (تـ422هـ/1031م) الذي اتخذ موقفا رسميا مُعاديا للأشعرية من خلال إصداره سنة 433 هـ/1042م لمرسومٍ ظبط فيه اعتقاد أهل السنة في قضايا الصفات و الإمامة و الصحابة و العدل و غيرها مما كان محل خلافٍ بين الطوائف المذهبية ، و عُرف هذا المرسوم تاريخيًا بالإعتقاد القادري ، و جدّد ابنه القائم بأمر الله (تـ 467هـ / 1084 م) ذلك الموقف لمّا جدد العمل بمرسوم والده عندما حدثت فتنة بين الطائفتين في بغداد حول ما جاء في كتاب أبي يعلى بن الفراء البغدادي الحنبلي (تـ 458هـ / 1066 م) في مسألة الصفات [2] .

و لما تجدد النزاع بين الجانبين سنة 447 هـ / 1055 م تقوى الحنابلة – أيضًا - بسلطة بغداد على الأشاعرة حتى امتنعوا – أي الأشاعرة - من حضور الجمع و

---

1 - أنظر تفصيل ذلك : خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 141 – 142 - 143 .
2 - ابن أبي يعلى ، **طبقات الحنابلة** ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار المعرفة ، ج : 2 ، ص : 197 - 198 .

الجماعات خوفا من الحنابلة [1] .

و لما تولى نظام الملك وزارة السلاجقة كان له هو الآخر وقفات في الفتن و الصدامات التي كانت تقع بين الحنابلة – أهل الحديث – و الأشاعرة ، لاسيما في بغداد .

فقد ذكرت المصادر التاريخية أن الفقيه الأشعري أبي نصر ابن أبي القاسم القشيري (تـ 541هـ/ 1147 م) [2] نزل نظامية بغداد سنة 469هـ / 1077 م ، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم و تجمع المتعصبون لـه [3] ، فكان من الطبيعي أن يثور الحنابلة لذلك ، فانطلقوا من سوق المدرسة النظامية ، و اشتبك الفريقان ، وثارت العصبية و تطورت إلى مشاداتٍ و تراشقٍ بالآجر ، انتهى بقتلى من الطرفين [4] ، ثم هدأت الفتنة بعد أن رجحت الكفة لصالح الحنابلة ، فقد كانت بغداد لا تزال بعد من أهم معاقل الحنابلة ، يؤكد ذلك كلام بن أبي يعلى الحنبلي عندما أرخ لهذه الحادثة ، فقال عن بن القشيري " وأظهر على الكرسي مقالة الأشعري ولم تكن ظهرت قبل ذلك على رؤوس الأشهاد لِما كان يلحقهم من أيدي أصحابنا وقمعهم لهم ... " إلى أن قال : " وكانت الغلبة لطائفتنا طائفة الحق " [5] ، عندها همّ إمام الأشاعرة في بغداد أبو إسحاق الشيرازي (تـ 476 هـ / 1084 م) بالخروج من بغداد ، فأسرع الخليفة العباسي المقتدي (تـ 487هـ / 1094 م) في طلبه و بعث إليه يُسكِّنه خوفا من السلطان السلجوقي و وزيره نظام الملك [6] ، لا سيما وأن أبا إسحاق الشيرازي هو من اختاره نظامُ الملك لأستاذية النظامية في بغداد .

---

1 - كان أصل النزاع هذه المرة عندما اعترض الحنابلة على الشافعية الأشاعرة قراءتهم لدعاء القنوت في صلاة الصبح ، و ترجيعهم الأذان و جهرهم بالبسملة . أُنظر : ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج : 8 ، ص : 163 . و ابن الأثير ، **الكامل** ، ج : 8 ، ص : 73 . و ابن كثير ، **البداية و النهاية** ، ج : 12 ، ص : 66 .

2 - أبو نصر عبد الرحمن ابن الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، ولد سنة 460هـ / 1068 م ، كان أشبه بأبيه في علومه ومجالسه ، واظب على حضور درس إمام الحرمين حتى حصل طريقته في المذهب والخلاف ، ثم خرج إلى بغداد ، و كان يعقد بها مجالس للوعظ ، و كان ممن يحضر مجلسه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، و قد حصل له إقبال عظيم ، ومات في شوال سنة 546هـ / 1152 م وله ست وثمانون سنة . أُنظر مثلا : اليافعي ، **المرآة** ، ج : 2 ، ص : 242 . و ابن حجر ، **لسان الميزان** ، ج : 6 ، ص : 187 . و الذهبي ، **العبر** ، ص : 241 .

1 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 305 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 119 .

4 - أكثرُ المؤرخين تفصيلاً في رواية تلك الحادثة هو المؤرخ البغدادي الحافظ بن الجوزي الحنبلي (تـ 597 هـ / 1201 م) في كتابه **المنتظم** ، ج : 8 ، ص : 305 ، 306 ، 307 . و أُنظر : اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 152 . و الذهبي ، **العبر** ، ص : 241 .

3 - ابن أبي يعلى ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 239 .

4- ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 307 - 306 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 234 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 115 . و ابن رجب ، **ذيل طبقات الحنابلة** ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار المعرفة ، ج : 1 ، ص 11.

و فزع الأشاعرة للاستنجاد بالوزير نظام الملك ، و لما بلغه ما أقدم عليه أبا نصر القشيري ، سيَّر سفيراً إليه يستدعيه ، فلما حضر القشيري عند الوزير زاد في إكرامه ، و جهزه إلى نيسابور ، و حين وصوله إليها لازم الوعظ والدرس إلى أن مات بها سنة 546 هـ / 1152 م [1] .

و كان الأشاعرة قد أنفذوا أبا بكر الشاشي إلى الوزير نظام الملك يشرح له الحال [2] ، كما كتبوا إلى الوزير رسائلَ يشكونَ فيها الحنابلة ، ويسألونه المعونة عليهم متهمين الحنابلة بإثارة الفتن على الدوام [3] ، و متهمين كذلك الخليفة العباسي المقتدي (تـ 487 هـ / 1094 م) و وزيره فخر الدولة بن جُهير (تـ 483هـ / 1090 م) بالتواطئ مع الحنابلة الرافضين للحق الذي جاء به الأشاعرة [4] ، و وصل الأمر بأشاعرة بغداد في هذه الفتنة أن هتفوا باسم الخليفة العبيدي في مصر " المستنصر بالله " قاصدين بذلك التشنيع على الخليفة العباسي ، وأنه مُمالىء للحنابلة [5] .

ومن تلك الرسائل التي بعث بها الأشاعرة إلى الوزير نظام الملك ما كتبه شعرا الفقيه محمد بن علي بن أبي القصر الواسطي إلى الوزير قائلا :

يا نظام المُلك قد حلّ ببغداد النظامُ * وابنك القاطن فيها مستلانٌ مستضام

و بها أودى له قتلى غلام فغلام * و الذي منهم تبقّى سالماً فيه سهام

يا قوام الدين لم يبق ببغداد قوامُ * عظُم الخَطْب فللحرب اتصالٌ ودوام

فمتى لم يحسم الداء بأيديك الحسام * ويكفّ القوم في بغداد قتلٌ وانتقام

فعلى مدرسة فيها ومنْ فيها السلام * واعتصام بحريمٍ لك من بعْد حرام [6].

---

1 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 115 . و اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 2 ، ص : 242. و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 306. و الذهبي ، **العبر** ، ص : 217 .

2 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : .

3 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 235 .

4 - نفس المصدر . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 115 .

5 - ابن رجب ، المصدر السابق ، ج : 1 ، ص : 10 ،11 .

6 - أُنظر الأبيات ، النويري ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق سعيد عاشور طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة 1401 هـ / 1980م ، ج : 7 ، ص : 2845 . و الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص 3286 ، و كان ابنه - نظام الملك - يدرس في نظامية بغداد .

و كان أشاعرة بغداد أيضا قد جمعوا أمرهم ، و كتبوا شكوى جماعية مـُطولة يستعطفون فيها الوزير نظـام الملك ، دبجوهـا مدحـًا لعقـائدهـم و تشنيعـًا بـالحنابلـة ، و حرضوه على التدخل لزجـر الحنابلة و المبالغة في تأديبهم [1] .

و تـُبيـّن لنا هذه النصوص و الـوقائـع التـاريخيـة جملةً من الحقائق الهامـة ، منها مُسارعة الخليفة المقتدي لإرضاء أبي إسحاق الشيرازي ، و التي صورت لنا الحماية و الانتصار الذي كفله الوزير للأشاعرة في بغداد ، إذ هاجوا و ماجوا مع أن النصوص التي ذكرت تلك الفتنة نلمح من خلالها ما يـُشبه الصـراحـة و الإجمـاع على أن ابنَ القشيري هو من بادر إلى سب الحنابلة و ذمهم ، حتى المصادر الأشعرية منهـا ، كما يعكس لنا الإستنجاد الجماعي للأشاعرة بالوزير ثـقـتهم العريضة في انتصاره لهم وعدم رد طلبهم ، و يـبدو أن الأشاعرة كـانوا يتصيّدون هذه الفرصة للانـتـقام من أهل الحديث الذين استعانوا عليهم – في وقـتٍ مـضى - بسلطة القادر و ابنه القائم [2] .

و لما بلغت الشكوى نظام الملك عظـُم عليه ذلك [3] ، و وَرَدَ كتابه بالامتعاض من ذلك ، والغَضَب لتسلط الحنابلة على الطائفة الأشعرية [4] ، إلا أنـه أحسن التصـرف حين تريث و لم يتسرع في تلبية ما طلبه منه الأشاعرة على الفـور ، و اكتفى بإرسال كتابٍ إلى أبي إسحاق الشيرازي يُـهدئه و يُـطيّب خاطره [5] ، ثم بادر الخليفة لعقد صلح بين الطرفين .

و روى السبكي أن شيخ الحنابلة ببغداد الشريف أبو جعفر بن أبي موسى (تـ 470 هـ / 1078 م) [6] وجماعته أشاعوا أن الشيخ أبا إسحاق تبرأ من مذهب الأشعري الأشعري فغضب الشيخ لذلك غضبا لم يصل أحد إلى تسكينه وكاتب نظام الملك من جديد ، فعاد جواب الوزير إلى الشيخ – مرةً أخرى - باستجلاب خاطره وتعظيمه والأمر بالانتقام من الذين أثاروا الفتنة وبأن يُ سجن الشريف أبـو جعفر ، و كان الخليفة قد حبسه بدار

---

6 - انظر نص الشكاية بتمـامـهـا في **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر ، من : ص : 311 حتى ص : 317 . و أوردته كاملا في ملاحق هذا العمـل .

2 - أُنظر التمهيد : ص : 10 و ما بعدها .

2- شهاب الدين النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج : 7 ، ص : 2845 .

3- ابن رجب ، المصـدر السـابـق ، ج : 1 ، ص : 11 ، و كان امتعاظ الوزير مع أن أغلب المصادر التي أرخت للحادثة بما فيها المصار الأشعرية تـُجمع على أن بن القشيري هو من بـادر إلى سب الحنابلة و ذمهم و التشنيع عليهم ، و من تلك المصادر الأشعرية مثلا يـُنـظر : اليافعي ، المصـدر السـابـق ، ج : 3 ، ص : 75 .

4 - أُنظر : ابن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 12، ص : 117 .

6 - أُنظر ترجمته في : ابن رجب ، المصـدر السـابـق ، ج : 1 ، ص : 12 – 12 – 14 – 15 – 16 .

الخلافة عند ما شكاه الشيخ أبو إسحاق [1] . و مما ورد أيضًا في رسالة الوزير نظام الملك إلى أبي إسحاق أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها والغالب على تلك الناحية مذهب أحمد [2] في كلام طويل سكّن به غضب الفقيه أبي إسحاق الشيرازي .

و لما كان العام الموالي- 470هـ / 1079 م- حدثت فتنة مُشابهة بين فقهاء المدرسة النظامية و الحنابلة [3] وقُتل فيها نحو عشرين شخصا من الجانبين و نُقل المقتولون إلى دار الخلافة و عاينهم القضاة و الفقهاء و كتبوا محضرا و أرسلوه إلى نظام الملك [4] ، و تكررت شكوى الأشاعرة من جديد ، و في هذه المرة أقدم الوزير نظام الملك على إقالة شحنكية [5] العراق و عين بدله سعد الدولة كوهرائين [6] ، وحمّله رسالةً إلى إلى الخليفة يأمره بعَزْل فخر الدولة ابن جهير (تـ 483 هـ/ 1090 م) عن الوزارة ، فما كان من الخليفة العباسي إلا أن أَقَالَ وزيره بن جهير واستوزر بدله أبا شجاعٍ محمد بن الحُسين (تـ 488هـ / 1095 م) [7] ، والسبب في هذا التغيير الحكومي كما قال ابن كثير هو اتهام الوزير ابن جهير بممالأته على الشافعية و ميله للحنابلة [8] ، و كثيرا ما كان الإتجاه المذهبي المحرك الفعلي للمواقف السياسية .

وفي سنة (475هـ / 1083 م) أوفدَ نظامُ الملك الواعظ الأشعري أبا القاسم البكري (تـ 476 هـ / 1084 م) وكتب له سجلا أن يجلس بجوامع بغداد و يتحدث بالأشعرية [9] ، فقدم بغداد و وعظ بالنظامية ونال من الحنابلة سبا وتكفيرا ونبذهم بالتجسيم ،

---

6 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 4 ، ص : 235 .

2 - نفس المصدر ، ج : 4 ، ص : 235 .

3 - الملاحظ على تلك الفتن أنها لم تكن بين العوام و الدهماء فقط بل كان فقهاء كبار طرفا فيها من الجانبين كما سيتبين لنا لاحقا أيضا .

4 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 8 ، ص : 312 ، 313 . و ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 117 .

5 - الشحنة أو الشحنكية كلمة تركية تعني قائد الحامية أو الحاكم الإداري للمدينة المسؤول عن الأمن والنظام فيها ، وصاحب الشحنة هو متولى رياسة الشرطة، ويقال للوظيفة الشحنكية ، يعين الشحنة من قبل السلطان ، ويعمل بإمرته رجال الشرطة أو الحامية ويقوم بملاحقة اللصوص والخارجين عن القانون ، و لعل اشتقاقها يعود إلى الشحنة و المُشاحَنةُ و هي ما دون القتال من السَّبِّ والتَّعايُر و الشَّحْناءِ بمعنى العداوة ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار صادر ، دون ت.ط ، ج : 13 ، ص : 234 . و أُنظر معجم الوراق الإلكتروني : http://www.alwaraq.net .

6 - ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 3 ، ص : 583 .

7 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 - ص : 124. و ابن أيبك الصفدي ، **الوافي** ، ج : 5 ، ص : 128 .

8 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 124 .

9- الذهبي ، **العبر**، ص : 220 . و كتابه الآخر ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3320 . و اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 84 .

، ثم أصرّ على الحديث في جامع الحنابلة " المنصور" ، وكان له ذلك ، فتكلم به تحت حماية نقيب النقباء ، و كفر حنابلة بغداد صراحة في مسجدهم بقوله : " وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ما كفر أحمد بن حنبل وإنما أصحابه " فكانت النتيجة أن بادله الحنابلة السب وتعرضوا له و رموه بالآجر [1] ، و بعد أيام من ذلك جرى بين أصحاب البكري وأصحاب أبي الحسين بن الفراء الحنبلي (تـ 521 هـ / 1127 م) [2] سباب وخصام وخصام ، فاستنجد البكري بالوزير ابن جهير ، فكان رده سريعا ، إذ بعث من وكل بدار ابن الفراء ونهبت الدار وأخذ منها كتاب الصفات و كتاب القاضي أبي يعلي في " إبطال التأويل " فجعله الوزير ابن جهير بين يديه يقرؤه على كل من يدخل إليه ويقول أيجوز لمن يكتب هذا أن يحمي أو يؤوى في بلد [3] .

إن أول ما نسجله من النصوص التي تناولت هذه الفتنة هو قرار نظام الملك بإرسال أبا القاسم البكري – المعروف بتعصبه – [4] إلى بغداد التي كانت تعيش صراعا مذهبيا وصل إلى حد إراقة الدماء ، فبعد أن أنفذ القشيري و تلقاه الحنابلة بالسب و القتال [5] [5] ، أعاد الكرة و أرسل هذه المرة أبا القاسم البكري لنفس المهمة ، و هو قرار غير صائبٍ صائبٍ بالمرة ، فلا الوقت مناسب و لا البيئة ملائمة لذلك ، فكان من الطبيعي جدا أن يحدث ذاك الصراع الدموي من جديد ، و فسر أبو الوفاء بن عقيل البغدادي الحنبلي (تـ 513 هـ / 1120 م) – الذي عاصر الأحداث - ذلك بقوله : " لما أنفذ نظام الملك بن القشيري تكلم بمذهب أبي الحسن فقابلوه بأسخف كلام على السن العوام فصبر لهم هنيئة – أي نظام الملك - ثم أنفذ البكري سفيها طريقا شاهدا حواله الإلحاد فحكى عن الحنابلة ما لا

---

1 - انظر تفاصيل هذه الفتنة : ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 4. و الذهبي ، **تاريخ الإسلام**، ص : 3320 . الذهبي ، **العبر**، ص : 220. و اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 84 .

2 - قال عنه بن رجب الحنبلي : القاضي الشهيد ، أبو الحسين ابن شيخ المذهب القاضي أبي يَعْلى، وُلد ليلة نصف شعبان سنة 451 هـ / 1059 م ، وكان عارفًا بالمذهب ، متشددًا في السُنة ، وله تصانيف كثيرة في الفروع والأصول، وغير ذلك، منها : " طبقات الأصحاب " ، " إيضاح الأدلة في الردّ على الفرق الضالة المضلة " ، " شرف الإتباع وسرف الابتداع " ، " تنزيه معاوية بن أبي سفيان " ، " المفتاح في الفقه " . أُنظر : ابن رجب ، **الذيل**، ج : 1 ، ص : 81 .

3 - الذهبي ، **العبر** ، ص : 219 ، ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 4 .

4 - وصفه ابن الجوزي بمن لا خلاق له ، **المنتظم**، ج : 9 ، ج : 221 .

5 - نفس المصدر ، ج : 9 ، ص : 3 .

يليق بالله سبحانه فأغرى بشتمهم وقال هؤلاء يقولون لله ذكر فرماه الله في ذلك العضو بالخبيث فمات " [1] .

كما تعكس لنا هذه النصوص أيضا مبالغة سلطة بغداد في إكــرام البكــري و إجلاله ، لأنه فقط يحمل كتابا من نظام الملك ، فسارعت إلى إكرامه و لبت جميع طلباته و أُعطي دنانير وثياباً و هدايا و لُقب : عَلَمَ السنة [2] ، و أُطلقت حريتـه في سب الحنـابلـة و تكفيرهم في بغـداد بل و في جامعً الحنـابلة - المنصور – بحماية من نقيب النقباء ، ولم يجرؤ الحنابلة على منعه ، ولما رماه الحنابلة بالحصى و الآجر ، أحس بذلك النقيب وأمسك جماعة من العوام وعُـوقبوا ، وقال نقيب النقباء يوم جلس البكري بجامع المنصور : يا أهل باب البصرة أعيرونا الجامع نكفر فيه ساعة ومن خرج فعلت به وصنعت [3] .

و ما تعكسه لنا هذ النصوص أيضا الموقف المُتناقض للوزير بن جهير بين فتنتي 469 هـ / 1077 م و 475 هـ / 1083 م ، فقد أُتهم في فتنة بن القشيري 469هـ /1077 م بمساندة الحنابلة و مملاءته على الشافعية و عـُزل عن الوزارة بسبب ذلك بأمر من نظام الملك ، ثم عاد إليها بشفاعته [4] ، و في عهدته الثانية انقلب موقفه تماما في فتنة البكري 475هـ / 1083 م حين انتصر للأشاعرة على الحنابلة . وأثناء هذه الفتنة سجل الأشاعرة أول انتصارٍ لهم على الحنابلة بقوة السلطـة ، و تراجع نفوذ الحنابلة في الدولة بالنسبة لما كان عليه منذ أيام الخليفتين القادر بالله (تـ 422 هـ / 1031 م) و ابنه القائم بأمر الله (تـ467هـ / 1075 م) ، و في المقابل تقوت شوكـة الأشاعرة [5] .

---

1 - نفس المصدر ، ج : 9 ، ص : 4 .

2 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 3320 . و ابن النجار ، **ذيل تاريخ بغداد** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417 هـ/ 1997 م ، ج : 2 ، ص : 128.

3 - ابن أيبك الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 2829 .

4 – ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 - ص : 119. و ابن أيبك الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 2829.

5 - خالد كبيرعلال ، **صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة ببغداد (200- 500 هـ / 815 – 1106م)** ، دار هومة ، بوزريعة ، ص : 130 -131 .

كما اتضح لنا تجدد ظاهرة التعصب المذهبي التي ميزت تلك الفترة ، و كان للعامل السياسي يدُ ُ بها ، فأثاروا بميولاتهم تلك النعرات ، و نقل أصحاب التاريخ منها صورا كثيرة [1] .

و أشارت بعض المصادر إلى فتن ٍ أخرى في بغداد دون أن تصلنا تفاصيلها ، مما يعكس عمق تلك الفتن و تكررها و الموقف المنحاز و السلبي للسلطة منها ، فقد ذكر ابن الجوزي أن الواعظ الأشعري أبا المؤيد عيسى بن عبد الله الغزنوي الشافعي (تـ 498 هـ / 1105 م)[2] قدم بغداد سنة 495 هـ / 1102 م و وعظ في الجامع و أظهر المذهب الأشعري ومال معه صاحب المخزن ابن الفقيه فوقعت الفتنة وكثر أصحابه ، و تبادلوا الرجم و التراشق بالحجارة ، و لم تنته الفتنة إلا بخروجه من بغداد في ربيع الآخر سنة 496 هـ / 1103 م بعد أن أقام بها سنة و بضع أشهر [3] .

و ذكر المؤرخ الحافظ ابن كثير – أيضا - أن القاضي منصور أبا المعالي الجيلي الملقب سيد له (تـ 595هـ / 1199 م) كان شافعيا في الفروع أشعريا في الأصول وكان حاكما بباب الأزج – أحد أحياء بغداد - وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير ، فذكر بن كثير أن القاضي سمع رجلا ينادي على حمار له ضائع فقال يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء ، وقال يوما لنقيبه بأنه لو حلف إنسان أنه لا يرى إنسانًا فرأى أهل باب الأزج لم يحنث ، ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا [4] .

و ذكر الحافظ الذهبي فتنة أخرى لأبي الفتوح الأسفرائيني [5] في بغداد سنة521هـ / 1127 م [1] ، و تعكس فتنة الإسفراييني و غيرها استطالة الأشاعرة و المجاهرة بمذهبهم

---

1 - عن هذه الآثار : انظر مثلا : خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية** ، ص : 183، 184 . و الكيلاني ماجد عرسان ، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين و هكذا عادت القدس** ، الطبعة 03 ، دبي ، دار القلم للنشر و التوزيع ، 1423 هـ /2003م ، ص : 34 .

2 - القاسم أبو الوليد ابن القاسم ابو المؤيد الغزنوي الأشعري ، كان واعظا شاعرا كاتبا ورد بغداد فسمع السراج بن الطيوري ووعظ بها ونفق ونصر مذهب الاشعري ، وقد عُرف عنه التعصب للمذهب الأشعري ، أُخرج من بغداد قاصدا بلده غزنة فتوفي بأسفرايين سنة 8 هـ / 1105 م. أُنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 165 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 145 .

3 - ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 131 .

4 - أُنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 12 ، ص : 160 .

5 - الواعظ المتكلم أبو الفتوح الاسفرايني محمد بن الفضل بن محمد ويعرف أيضا بابن المعتمد الأشعري الشافعي ، قال عنه بن العماد : " كان رأسا في الوعظ أوحد في مذهب الأشعري " ، له تصانيف في الأصول والتصوف ، و قال عنه ابن عساكر : أجرأ من رأيته لسانا وجنانا وأسرعهم جوابا وأساسهم خطابا لازمت حضور مجلسه فما رأيت مثله واعظا ولا مذكرا . و ترجم له الذهبي و قال بأنه كان أشعري المعتقد يبالغ في التعصب لمذهبه . كان يجلس في رباطه

بمذهبهم و محاولة تقريره استنادا إلى السلطة في بغداد التي كان إلى وقت قريب معقلا من معاقل الحنابلة ، و بعدما كانوا إلى عهد قريب من ذلك يُسرون بمذهبهم و يتسترون عليه منهين بذلك عهد التستر و الكتمان .

كما تبين لنا أيضا إسهام الموقف المنحاز و السلبي لسلطة بغداد - الواقعة تحت تأثير و ضغط القوة السلجوقية ممثلة في وزيرها نظام الملك – ساهم في انتصار الأشاعرة في بغداد و الجهر بمذهبهم بعدما كانوا إلى عهد قريب من ذلك يسرون بـه و يتسترون عليه ، لا سيما بعد فتنة ابن القشيري 469هـ / 1077 م ، التي مثلت معلم هام في تاريخ الحركات المذهبية ، إذ ذكر الحافظ ابن عساكر (تـ 575هـ / 1180 م) أن كلمة الحنابلة و الأشاعرة كانت مجتمعة ، ثم تفرّقت في فتنة ابن القشيري ، و وزارة نظام الملك ، و قد وافقه على ذلك شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية (تـ 728 هـ / 1328 م) [2].

<u>المبحث الثاني : مظاهر الدعم السياسي الأيوبي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بدمشق و أصفهان (595 هـ / 1199 م) .</u>

مر بنا الدعم الكبير الذي ضمنه القائد صلاح الدين الأيوبي للمذهب الأشعري في دولته ، و كان لذلك الدعم أثره في انتشار ظاهرة التعصب بين الأشاعرة و مخاليفهم من أهل الحديث في الدائرة السنية ، فكان من الطبيعي أن يتطور الخلاف إلى صدام في شكل فتن بين الطرفين ، و أسهم الموقف السلبي و المتحامل للسلطة الأيوبية في تعميق الشقة بين الأشاعرة و أهل الحديث .

فقد مر بنا أن السلطان صلاح الدين كان يُبجّل شيخه نجم الدين الخبوشاني و يعتقد فيه ، و كان الخبوشاني فيه علم و صلاح و خير ، و مع ذلك فقد سجل عليه المؤرخون تعصبا شديدا للمذهب الأشعري ، و استغل قربه من السلطان صلاح الدين

ويتكلم على مذهب الأشعري فتجري الخصومات . أُنظر : اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 205 و 206 . و الذهبي ، **<u>تاريخ الإسلام</u>** ، ص : 3662 . و ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج : 10 ، ص : 108 .

1 - الذهبي ، **<u>العبر</u>** ، ج : 4 ، ص : 105 ، و السبكي ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 172 .

2 - انظر: ابن عساكر ، **<u>تبيين كذب المفتري</u>** ، ص: 163 . و ابن تيمية ، **<u>مجموع الفتاوى</u>** ، ج : 3 ، ص: 229 ، و ج : 5 ، ص : 340 ، و ج : 6 ص : 52 - 53 .

ليــجسد ذلك التعصب ميدانيا ، ذلك أنه أقدم على نبش قبر محمد بن إبراهيم الكيزاني المصري الحنبلي أصولا الشافعي فروعا (تـ 562 هـ / 1167 م) المدفون عند قبر الإمام الشافعي بدعوى أنه مشبه ، فقال الخبوشاني لا يكون صديق وزنديق في موضع واحد وجعل ينبش ويرمي عظامه وعظام الموتى الذين حوله من أتباعه [1] .

و يُـفهم من هذا الإنتصـار الذي تكلم عنـه المؤرخـون أنـه انتصار سياسي على الحنـابلة في مصر ، لأنه لم يثبت أي إنكار من السلطان صلاح الدين على قبح هذا الفعل ، بل ثبت أن صلاح الدين منح الخبوشاني أموالا بنى بها في موضع القبر المنبوش مدرسة له و أغدق عليها الأموال و الجرايات فكان الخـبوشـانـي شيخها وناظرها [2] .

و كان للسلطة الأيوبية موقف آخر يشابهه في الإنتصـار للمذهب الأشعـري ، و يختلف عنه في أن موقف السلطة الأيوبية هذه المرة تصدى للطرف المخالف للمذهب الأشعري ، فقد كان الـحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي (تـ 600 هـ / 1204 م) [3] على معتقد أهل الحديث و لـه موقف من تأويل الأشاعرة لآيات الصفات ، و لما حل بأصفهان رد على الحافظ أبي نعيم الأصفهاني (تـ 430هـ / 1039 م) [4] في كتابه الصحابة ، و انتقده في مائتين و تسعين موضعا ، وسمع بذلك رئيس البلد الصدر أبو بكر الخجنـدي

---

1 - بن ايبك الصفدي ، المصـدر السـابـق ، ص : 149 . و الذهبـي ، المصـدر السـابـق ، ص : 4164 .

2 - أُنـظـر الفصـل الأول : ص : 25 و 26 .

3 - هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجمَّاعيلي ثم الدمشقي الحنبلي، وُلِدَ بجمَّاعيل من أرض نابلس سنة 541 هـ / 1147 م، ونُسِب لبيت المقدس لقُرب جمَّاعيل منه ولأن نابلس وأعمالها جميعاً من مضافات البيت المقدس، ثم انتقل مع أسرته من بيت المقدس إلى سفح جبل قاسيون فبنوا داراً تحتوي على عدد كبير الحجرات دُعِيَتْ بدار الحنابلة، ثم شرعوا في بناء أول مدرسة في جبل قاسيون وهي المعروفة بـ : المدرسة العمرية ، وقد عُرِفَتْ تلك الضاحية التي سكنوها بالصالحية فيما بعد نسبةً إليهم لأنهم كانوا من أهل العلم والصلاح، تتلْمَذ عبد الغني فيَ صغره على عميد أسرته العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، ثم تتلمذ على شيوخ و علماء دمشق و مصر أصبهان و همذان و الموصل في رحلاته ، فأخذ عنهم الفقه وغيره من العلوم ، ثم عاد إلى دمشق ولم يزل ينسخ ويصنِّف ويحدِّث ويفيد المسلمين ، حتى توفاه الله على ذلك يوم الإثنين 23 من شهر ربيع الأول سنة 600هـ / 1204 م ، وله 59 سنة. ودفن بمقبرة القرافة بمصر . أُنـظر : الذهبي ، **السير** ، ج: 21 ، ص : 445 و ما بعدها . و **تذكرة الحفاظ** ، ج : 4 ، ص : 1372 . و **تاريخ الإسلام** ، ص : 4299 .

4 - أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ، الحافظ المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء ، وله كتاب تاريخ أصبهان ، كان من الأعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات ، أخذ عن الأفاضل وانتفعوا به ، ولد في رجب 336هـ / 948 م وقيل 334هـ / 946 م ، و كانـت وفـاته في شهر من يوم الاثنين الحادي والعشرين من المحرم سنة 430هـ / 1039 م بأصبهان . أُنظر : ابن خلكان ، المصـدر السـابـق ، ج : 01 ، ص : 91 ، 92 .

الأشعري(تـ 592 هـ / 1196 م) [1] ، و كـان بنو الخجنـدي أشاعرة متعصبين [2] ، و زيادةً على ذلك يتمتعون بنفـوذٍ سيــاســي و سلطويٍ كـبير إذ كـانـوا رؤساء البلد حينها ، فسعوا في طلب الحافظ عبد الغـني و همـوا بقتله ، فاختـفى الحافظ و بقـي على هذا الحال حتى أخرجه أصحابه من البلد خفيـةً ، و ما أخرجوه إلا في إزار كما ذكـر الإمـام الذهبي [3] .

و كان سبب تعرض آل الخجندي للحافظ و السعي لقتله هو تعصبهـم للأشعـريــة و عداؤهم للحنابلـة ، و إنما استغلـوا – فقط - رد عبد الغني المقدسي على أبي نعيم الأصفهاني للتأليب على المقدسي و إخراجه من أصفهان ، فلـم يكن أبو نعيم الأصفهاني أشعريا ، و غايـة ما يـُمكن القول عنه أنه كان متأثرًا بالأشعرية [4] .

وقد نجح بنو الخجندي في استغلال نفوذهم السياسي لإخراج الحافظ عبد الغني المقدسي واضطهاده رغم كثرة أنصاره و محبيـه بأصفهان [5] .

و في سنة 595 هـ / 1199 م حدثت للحافظ عبد الغني محنة أخـرى بدمشـق بسبب معتقده أيـضا ، و كان للسلطة الأيوبي ة دخلٌ مباشرٌ فيها ، سطـر هذه المحنة عدد من المؤرخين في مصنفاتهم و انفرد منهم الإمام الذهبي (تـ 748 هـ/ 1348 م) بالإطالة و التفصيل [6] .

فذكـر أن الحافظ لما نزل دمـشق كثـُر بـها أنصــاره و مُحبـوه من الذيـن كانوا يجتمعون حولـه و يسمعون الحديث منه ، و هو ما لم يرق لحـاسديه ، فدبروا مكيدة

---

1 - محمد بن عبد اللطيف بن أبي بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت بن الحسن الرئيس الكبير صدر الدين أبو بكر الأزدي الخجندي الأصل الإصبهاني الفقيه الشافعي ، كان قد سمع الحديث وتفقه . وكان رئيسا مقدما بإصبهان هو وآباؤه الثلاثة ، و الذين لـُقبوا بـ صدر الدين . وخجند مدينة على طرف سيحون بقريةٍ بين همدان و الكرخ، توفي سنة 592 هـ / 1196 م وحُمل إلى أصبهـان ودفن بسيلان . أنـظر : الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ص : 4220 . و ابن الجوزي ، المصـدر السـابـق ، ج : 10 ، ص : 179 . و الصفدي ، المصـدر السـابـق ، ص : 411 .

2 - الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 459 .

3 - نفس المصدر ، ج : 21 ، ص : 459 .

4 - أنظر : فيصل بن قزار الجاسم ، **الأشاعرة في ميزان أهل السنة** ، الطبعة 01 ، الكويت ، المبرة الخيرية لعلوم القرآن و السنة ، 1428هـ / 2007م . ص : 618 ، 619 ، 620 . و عن عقيدة أبي نعيم الأصفهاني أنـظر : ابن القيم ، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1404 هـ/ 1984 م ، ص : 177 .

5 - نقل الإمـام الذهـبي عن الحافظ الضياء المقدسي قوله : " كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه ولو أقام بأصبهان مدة وأراد أن يملكها لملكها " ، ذلـك لكثـرة أنصــاره و مـُحبيه بـها . أنـظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 457 .

6 - أنظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 458 – 465 . و **تاريخ الإسلام** ، ص : 4303 . و **تذكرة الحفاظ** ، ج : 4 ، ص : 1378 .

لعرقلة نشاطه و النيل منه ، و لما كان عبد الغني المقدسي من الحنابلة أهل الحديث ، دسوا في مجلس الناصح بن الحنبلي (تـ 642 هـ / 1245 م) [1] رجلا من بني عساكر " ناقص العقل " [2] ، و قد كان بين ابن عساكر الشافعية الأشاعرة وبين المقادسة الحنابلة وقائع و خلاف [3] ، فقال الرجل للناصح في المجلس ما معناه إنك تقول الك ـذب على المنبر ، فثارت فتنة في المجلس و تمت مكيدتهم ، فـ جمعوا كبراءه ـم ومضوا إلى الوالي في القلعة و اتهموا عنده الحنابلة بإثارة الفتن با عتقادهم المـُخالف للحق الذي عندهم ونحو هذا ، و طلبوا استحضار الحافظ عبد الغني المقدسي ، وقالوا للوالي بأنه – أي الحافظ عبد الغني - قد أضل الناس و أنه يقول بالتشبيه ، فعقدوا له بأمر الوالي مجلسا للمناظرة ، و تولى مناظرته في ذاك المجلس القاضي ابن الزكي (تـ 598 هـ / 1202 م) [4] وضياء الدين الخطيب الدولعي (تـ 598 هـ / 1202 م) [5] ، و دارت محاور المناظرة حول مسائل اعتقادية تتعلق بالاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت [6] ، فناظرهم الحافظ عبد الغني ، فأخذوا عليه مواضع كقوله لا أنزهه تنزيها

---

1 - الإمام المفتي الواعظ ناصح الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم ابن الإمام أبي البركات عبد الوهاب (الملقب شرف الإسلام) ابن أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري السعدي العبادي الشيرازي الأصل الشامي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ولد سنة 554هـ / 1159 م وتفقه وبرع في الوعظ ، ثم درس وأفتى وصنف ، وكان رئيس الحنابلة في وقته بدمشق وكان له قبول زائد ، حدث ووعظ بمصر وبدمشق ، و له خطب ومقامات ، وكتاب تاريخ الوعاظ ، توفي في ثالث المحرم سنة 634هـ / 1237 م وله ثمانون سنة . أنظر : الذهبي ، **السير** ، ج : 23 ، ص : 6 – 7 .

2 – الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 460 .

3 - أنظر مقدمة تحقيق كتاب **تاريخ دمشق** ، لابن عساكر ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دراسة وتحقيق علي شيري ، 1419هـ / 1998 م . ج : 1 ، ص : 26 .

4 - محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو المعالي القرشي محيي الدين المعروف بابن الزكي قاضي قضاة دمشق ، و هو جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه وقد ترجم له ابن عساكر في تاريخه ، اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون وناب عنه الحكم ، ثم تولى قضاء دمشق وأضيف إليه قضاء حلب أيضا ، وكان ناظر أوقاف الجامع وعُزل عنها قبل وفاته بشهور ، وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام ويمزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة النورية وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح للغزالي ويحفظها أولاده أيضا ، ،و في آخر حياته خولط في عقله فكان يعتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شعبان سنة 598 هـ / 1202 م ودفن بتربته بسفح قايسون ويقال إن الحافظ عبدا لغني دعا عليه فحصل له هذا الداء العضال ذلك . أنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 13 ، ص : 32 - 33 .

5 - الخطيب ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الثعلبي الدولعي نسبة إلى قرية بالموصل يقال لها الدولعية و التي ولد بها في سنة 518هـ / 1125 م ، وتفقه ببغداد على مذهب الشافعي وسمع الحديث فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروجي ، والنسائي علي أبي الحسن علي بن أحمد البردي ، ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدريس الغزالية ، وكان زاهدا متورعا ، توفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول سنة (تـ 598 هـ / 1202 م) ودفن بمقبرة باب. أنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 13 ، ص : 33 .

6 – نفس المصدر ، ج : 13 ، ص : 20 . و الذهبي، **السير** ، ج : 21 ، ص : 463 .

ينفي حقيقة النـزول و كقولـه كان الله ولا مكان وليس هو اليوم على ما كان ، ومنها مسألة الحرف والصوت [1] .

وكانوا قد كتبوا شيئا من الاعتقاد وكتبوا خطوطهم فيه و طلبوا من الحافظ أن يكتب موافقته فأبى ، فقالوا للوالي بأن الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شيء وهو يخالفهم ، وارتفعت الأصوات فقال والي القلعة الصارم برغش في غضب كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق ، فأمر بنفيه من البلد و أنـظرهُ ثلاثة أيام [2] ، و أرسل الجند ليرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة ودرابزين ، و كسروا منبر الحافظ ، وتعطّلت صلاة الظهر في محراب الحنابلة ، وقالوا نريد أن لا تجعل في الجامع إلا صلاة الشافعية [3] .

ثم إن الحافظ ضاق صدره ومضى إلى بعلبك فأقام بها مدة ، ثـم توجه إلى مصر ، إلا أنـه لقي ما لقـي بدمشق من كيد أعدائه و تواطؤ السلطـة السياسيـة مـعـهـم و مسايرتـها لـهم ، فقد أفتى بعض فقهاء مصر بإباحة دمه بحجة أنـه يُفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم ، وأنه مبتدع لا يجوز أن يترك بين المسلمين [4] ، و وصـل إلى صاحب مصر الملك العزيز (تـ 595هـ / 1199 م) [5] من دمشقَ كتاب فيه أن الحنابلة يقولون بالتجسيم و لا يـُـزهون الخالق عز وجل مما يشنعون به على الحافظ عبد الغني المقدسـي و الحنابلة ، و كان الملك في إحدى خرجاته للصـيد فقال إنه إذا رجع من سفرته هذه ، فإنه سيُخرج الحنابلة و من قال بمقالتهم ، من مصر و الشام ، لكن الموت لم يُمهله ليعود إلى القاهرة ، فقد قتله فرسه عندما رماه و وقع عليه و خسف صدره [6] .

---

1 - نفسه ، ج : 21 ، ص : 463 .

2 - ابن كثير ، المصـدر السـابـق ، ج : 13 ، ص : 21 .

3 - الذهبي، **السير** ، ج : 21 ، ص : 460 .

4 – نفس المصدر ، ج : 21 ، ص : 463 – 464 .

5 - الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، سلطان الديار المصرية وابن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي ابن مروان الأيوبي الكردي الأصل ثـم المصري ، ولي سلطنة مصر في حياة والده صورة ثم تسلطن بعد وفاته استقلالا باتفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر لأنه كان نائبا عن أبيه صلاح الدين بها لما كان أبوه مشتغلا بفتح السواحل بالبلاد الشامية وتم أمره ، كان مولده بالقاهرة في ثامن جمادى الأولى سنة 567 هـ / 1172 م ، و توفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم سنة 595 هـ / 1199 م ، ودفن بالقرافة الصغرى في قبة الإمام الشافعي . أنظر : أبو المحاسن تغري بردي ، **النجوز الزاهرة** ، ج : 06 ، ص : 120 و ما بعدها .

6 - الذهبي: **السير** ، ج : 29 ص: 292 . و ابن كثير: المصـدر السـابـق ، ج : 13 ص: 18 .

و لما توفي الملك العزيز أُقيم ابنه المنصور سلطانًا و كان لا يزال صبيا [1] ، فجاء عمه الأفضل من صرخد وأخذ مصر وعسكر وكر إلى دمشق ، فلقي الحافظ عبد الغني في الطريق فأكرمه إكراما كثيرا ونفذ يوصي به بمصر فتلقي الحافظ بالإكرام وأقام بها يسمع الحديث بمواضع [2] .

و هنا يُلاحظ من إكرام الأفضل أن أغلب الأمراء و الملوك يكون موقفهم من المذاهب ليس تدينا و طلبا للحق و إنما لرغبة سياسية و مطامع سلطوية ، لأن الأفضل – كما هو معلوم - كان في صراع طويلٍ مع أخيه العزيز .

وبقي الحافظ عبد الغني في مصر إلى أيام الملك الكامل ، فكثر مخالفوه حتى أن الملك الكامل الأيوبي اعتقله في دارٍ أسبوعاً [3] و عزم على إخراجه من مصر فقد بلغه أن الحافظ كفر و تزندق ، لولا أن شيخ الشيوخ ابن حمويه [4] و بعض أصحابه دافعوا عنه عنه و شهدوا للحافظ بالإستقامة و العلم ، حتى كتب السلطان بخطه أن لا يؤذي الحافظ [5] .[5]

و نقل الذهبي و غيره أن الملك الكامل أمر الحافظ أن يكتب اعتقاده فكتب أقول كذا لقول الله كذا وأقول كذا لقول الله كذا لقول النبي صلى الله عليه وسلم كذا حتى فرغ من المسائل التي يخالفون فيها فلما رآها الكامل قال أيش أقول في هذا يقول بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم [6] .

و نُقل عن الحافظ عبد الغني المقدسي أنه كان يقول سألت الله أن يرزقني مثل حال الإمام أحمد فقد رزقني صلاته قال ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي [7] .

---

1 - تغري بردي ، المصدر السابق ، ج : 06 ، ص : 130 .
2 - الذهبي ، **تاريخ الإسلام** ، ج: 21 ، ص : 461 .
3 - الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 461 .
4 - أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجويني من بيت رياسة وإمرة عند بني أيوب وقد كان صدر الدين هذا فقيها فاضلا درس بتربة الشافعي بمصر وبمشهد الحسين وولى مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها وكانت له حرمة وافرة عند الملوك ارسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فمات بالموصل بالاسهال ودفن بها عند قضيب البان عن ثلاث وسبعين سنة عام : 617 هـ /1221م ، أُنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج: 13 ، ص : 93 . و اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج : 2 ، ص : 16 .
5 - الذهبي ، **السير** ، ج : 21 ، ص : 462 .
6 – نفس المصدر ، ج : 21 ، ص : 463 .
7 - نفس المصدر . ج : 21 ، ص : 458 .

و من هذه المحنة تبين لنا مرة أخرى دور القوة السياسية في حسم مثل تلك المواجهات المذهبية ، و كان تدخل السلطة بالقوة أكثر منه بالحجة ، فيسبق تدخلهم الحـاسم – عادةً - مناظرة شكلية ، و هـو ما كـأن من شـأن الحافظ عبد الغني المقدسي .

المبحث الثـالـث : مظاهر الدعم السياسي المملوكي للمذهب الأشعري في الحياة المذهبية و الإجتماعية بالشام و مصر (698 هـ - 709 هـ / 1299 م – 1310 م) .

رأينا في مبحثٍ سابـق أن صلاح الدين أنقذ مصر من وطـأة الشيعـة و قـرر بها المذهب الأشعري أصولا و الشافعي فروعا ، و نبقى في مصر لرصد حركة المذهب الأشعري في عهد مواليهم المماليك الذين ملكوا مصر و الشام بعدهم .

و قد كانت دولتهم امتدادا لدولة ملوكهم الأيوبيين وتجديدا لها و لأمجادها ، فقد كانت لهم الصدارة في العالم الإسلامي بعد انتصارهم التاريخي في معركة عين جالوت سنة 658 هـ / 1260 م [1] ، و من جهة أخرى ورث المماليك – أيضا - عن أسيادهم الأيوبيين المذهب الأشعري ، و ورثوا معه مسؤولية نـُصرته و حمايته ، بعدما استنفذ السلاجقة و الأيوبيين جهدا في ذلك .

و بالنظر إلى نشأة المماليك العسكريـة فإنهم لم يكونوا أهل فكرٍ و نظر و إنما كانوا أهل جهاد و شجاعة ، و يبدو أن تحمسهم للمذهب الأشعري أو الشافعي أو غيرهما لا يعدوا أن يكـون تقليدا لا أكثر ، يقول المقريزي " فلذلك عقدوا – أي الأيوبيين - الخناصر وشدّوا البنان على مذهب الأشعري وحملوا في أيام مواليهم كافة الناس على التزامه فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك " [2] .

و يمكن أن نتلمس تأييد المماليك للمذهب الأشعري سياسيا من خلال محاكماتهم التاريخية للشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي (تـ 728 هـ / 1328 م) التي تناقلتها كتب

---

1 - عنها أنظر مثلا : الجبرتي ، **عجائب الآثار** ، ج : 1 ، ص : 29 . و ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** ، ج : 5 ، ص : 422 . و السيوطي ، المصـدر السـابـق ، ص : 403 .

2 - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 160 .

التاريخ و السير ، و التي لم تكن في حقيقة الأمر محاكمة لشخص ابن تيمية و إنما هي محاكمة عقيدة ومذهب بكامله ، و من أطوارها سنستشف حقائق مهمة حول غلو السلطة في حماية المذهب الأشعري و التنكيل بمن خالف شيئاً منه [1] .

فقد ظهر في هذه الفترة الإمام ابن تيمة الحنبلي ، الذي أخذ في الرد على مختلف الطوائف الضالة أو التي كان يراها كذلك ، و يُناظرهم في الخلوة و الجلوة ، ومن تلك الفرق الأشعرية و الصوفية [2] وأهل الكلام و الفلسفة و المقلدة [3] ، و جهر بذلك و كثُر أنصاره و مُؤيدوه ، مما استنفر أنصار المذهب الأشعري مُستغلين نفوذهم في دواليب السلطة ، و كان الغالب عليهم المذهب الأشعري ، فقد ذكر المقريزي أن المذهب الأشعري انتشر في زمانه " بحيث نُسي غيره من المذاهب وجُهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه إلاّ أن يكون مذهب الحنابلة فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف لا يرون تأويل ما ورد من الصفات ، إلى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس بن تيمية فتصدّى للانتصار لمذهب السلف وبالغ في الردّ على مذهب الأشاعرة وصدع بالنكير عليهم وعلى الرافضة وعلى الصوفية " [4] .

ففي سنة 698 هـ / 1299 م أُوذي دمشق الإمام ابن تيمية لتأليفه الحموية ، و هي فتوى في مسألة الصفات ، كتبها جواباً لسؤال ورد عليه من حماة في الصفات ، إلتزم

---

1 - عدد الدكتور عبد الرحمان محمود أسباب المحن التي مرت على بن تيمية في العهد المملوكي ، و أهمها قيام بعض القضاة و العلماء من أهل الكلام و التصوف معتمدين على مناصبهم في الفتيا و القضاء و علاقتهم بالسلطة و الأمراء ، أُنظر كتابه : **موقف بن تيمية من الأشاعرة** ، ج : 01 ، ص : 174 .

2 - ما ميز المذهب الأشعري في هذه الفترة هو امتزاجه بالتصوف ضمن التطورات التي مر بها المذهب ، وإن كان ذلك قبل المماليك – منذ الغزالي و الأيوبيين- إلا أنه في عصر المماليك بدا أكثر وضوحا و أشد التصاقا و ملازمة له ، انظر مثلا : **دائرة سفير للمعارف الإسلامية** ، حرف الألف ، مركز الشارقة للإبداع الفني ، الطبعة الأولى ، 1418هـ / 1998 م ، ج : 29 ، ص : 1520 – 1521 . و محمد رشاد سالم ، **مقارنة بين الغزالي و ابن تيمية** ، دار القلم للنشر و التوزيع ، 1413 هـ / 1992 م ، ص : 5 .

3 - أُنظر بكر بن أبو زيد ، مقدمة كتاب **الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية خلال لسبعة قرون** لجمعه محمد عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع ، ص : 27 . وعبد العزيز بن علي آل عبد اللطيف ، **مناظرات بن تمية لأهل الملل و النحل** ، سلسلة إصدارات مجلة البيان ن الطبعة 01 ، 1426هـ / 2005م ، ص :81.

4 - المقريزي ، **الخطط** ، ج : 4 ، ص : 163 . و كان الشيخ شديدا على هؤلاء و اعتذر له معاصره أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بابن شيخ الحزامين في رسالته أنه لا سبيل لأقامة الدين إلا بالرد على هؤلاء " و كيف يظهر الحق إن لم يُخذل الباطل " . أُنظر رسالته : **التذكرة و الاعتبار في الانتصار للأبرار** ، الرسالة ساقها بتمامها ابن عبد الهادي ، في **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،** تحقيق : محمد حامد الفقي، بيروت ، دار الكاتب العربي ، من ص: 291 إلى ص : 321. و نقل بن رجب عن الذهبي أن بن تيمية " لم يكفر أحدا إلا بعد قيام الحجة و مذهبه توسعة العذر للخلق " ، ابن رجب ، **الذيل** ، ص : 408 .

فيه قانون السلف في الإبتعاد عن التأويل المُفضي للتعطيل مُجانبا مذهب المتكلمين [1] ، فأخذ بعض المتكلمين الجواب الذي كتبه الشيخ ، و كتبوا بدورهم أوراقا في الرد عليه ، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحدا واحدا متهمين بن تيمية بالتجسيم ، وأنه أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه ، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك [2] ، فوافقهم جلال الدين الحنفي [3] قاضي الحنفية يومئذ على ذلك و أمر بالنداء على بطلان عقيدة بن تيمية في البلدة [4] ، ونودي في دمشق من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصاً الحنابلة [5] ، حينها تدخل الأمير سيف الدين جاغان خلال نيابته على دمشق فأبطل هذا النداء و أمر بضرب المنادي و من معه [6] ، كما انتصر له جلال الدين القزويني قاضي الشافعية (تـ 699 هـ / 1300 م) بعد أن استمع إليه ، و قرر أن كل من تكلم في الشيخ بن تيمية عُزر [7] ، و هكذا سكنت هذه الفتنة بانتصار ٍ لابن تيمية على خصومه .

وفي مُستهل سنة 705 هـ / 1349 م [8] ورد مرسوم سلطاني من مصر إلى نائبه نائبه في الشام بالاستفسار عن معتقد بن تيمية ، لما بلغه من عقيدة منحرفة للشيــخ [9] ، و و أكد بن تيمية ذلك بقوله " و كان قد بلغني أنه زُور علي كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير يتضمن ذكر عقيدة محرفة " [10] ، فعُقد مجلس للشيخ اعتبره بتدبير " قوم من

---

1 - أنظر مثلا : عبد العزيز السيلي ، **العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل و الإمام ابن تيمية** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المنار ، 1413هـ / 1992 م ، ص : 243 ، 272 ، 307 ، 332 .

2 - ابن عبد الهادي ، **العقود الدرية** ، ص : 216 .

3 - عبيد الله - بالتصغير - بن عبد الله الإردبيلي جلال الدين الحنفي لقي جماعة من الكبار بالبلاد العراقية وغيرها ، وقدم القاهرة فولي قضاء العسكر ودرس بمدرسة أم الأشراف بالنيابة وغير ذلك ، وكانت لديه فضيلة في الجملة ، مات في أواخر شهر رمضان من عام 708 هـ / 1309 م . أنظر : ابن حجر ، **إنباء الغمر** ، ص : 308 .

4 - ابن كثير ، المصدر السابق ،ج : 14 ، ص : 4 .

5 - الذهبي ، **العبر** ، ص : 268 .

6 - و ابن عبد الهادي ، **العقود الدرية** ، ص : 217 . و ابن كثير ، المصدر السابق ،ج : 14 ، ص : 4 .

7 - ابن عبد الهادي ، المصدر السابق ، ص : 217 .

8 - في الفترة من 700 إلى 705هـ / 1301 م – 1306م لم نسجل محاولات تذكر من خصوم بن تيمية لاستعداء السلطة عليه ، ذلك لانشغال الجميع بخطر التتار ، و كان لابن تيمية مواقف مشرقة في حرب المسلمين مع التتار ، أنظر عنها: سعد طارق محمد ، ابن تيمية و موقفه البطولي في معركة المسلمين ضد التتار ، **مجلة الأمة** ، ذو الحجة ، 1403هـ / 1983 م .

9 - يقول ابن كثير : " وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان في ذلك ، كان الباعث على إرساله قاضي المالكية ابن مخلوف والشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير وغيرهما من أعدائه وذلك أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان يتكلم في المنبجي وينسبه إلى اعتقاد ابن عربي وكان للشيخ تقي الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه في الحق وعلمه وعمله "، أنظر : **البداية والنهاية** ،ج : 14 ، ص : 37 .

10 - ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 3 ، ص : 161 .

الجهمية ، والاتحادية ، والرافضة ، وغيرهم من ذوى الأحقاد "[1] ، و مما قاله بن تيمية أيضا في ذلك المجلس : " و أنا أعلم أن أقواما يكذبون علي كما قد كذبوا علي مرة ، و إن أمليت العقيدة من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن أو دارى ، فأنا أُحضر عقيدة مكتوبة من سبع سنين "[2] و كان يقصد العقيدة الواسطية[3] .

فأُحضر الشيخ إلى القصر وعـُقد له م جلس في حضرة نائب السلطنة جمال الدين الأفرم (تـ 720 هـ / 1320 م) ، فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية ، و تولى المناظرة فيه الشيخ صفي الدين الهندي (تـ715هـ / 1315 م)[4] ، ثم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني (تـ 727 هـ / 1327 م)[5] ، دامت المحاكمة يومين كاملين ، و انتهت جلساتها كما قال ابن كثير الدمشقي بقبول الاعتقاد الذي قرأه ابن تيمية و رجوعه إلى بيته مُعظما مُكرما ، و حملت له العامة الشمع من باب النصر إلى القصاعين على جاري عادتهم في أمثال هذه الأشياء[6] .

و في هذه السنة أيضا –705هـ / 1306 م أيضا عزر بعض القضاة بدمشق شخصا يلوذ بالشيخ تقي الدين في غيبة الأمير نائب السلطنة ، ولما عاد الأمير انتصر من جديد لابن تيمية ، وأمر بالنداء في البلد أنه من تكلم في العقائد حل دمه وماله ونهب داره وحانوته[7] .

و في العقود الدرية أيضا ذكر بن عبد الهادي أن الحافظ جمال الدين المزي(تـ

---

1 - نفس المصدر ، ج : 3 ، ص : 160 .
2 - نفس المصدر ، ج : 3 ، ص : 162 .
3 - و هي عبارة عن رسالة في مسألة الصفات كتبها جوابا عن سؤال القاضي رضى الدين الواسطى الشافعى لما أصر على الشيخ أن يكتبها له لم ـا شاع الجهل في أرضه " واسط " تحت وطأة التتـار ، فكتبها له و انتشرت بها نس ـخ كـثيرة و اشتهرت فى مصر والعراق وغيرهما، ابن تيمية ، **مجموع الفتاوى** ، ج : 3 ، ص : 164 .
4 - محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي ، المتكلم على مذهب الأشعري ولد سنة 644هـ / 1246 م . أنظر : السبكي ، المصـدر السـابق ، ج : 02 ، ص : 228 .
5 - شمس كمال الدين الزملكاني محمد بن علي بن عبد الواحد الشيخ الإمام العلامة المفتي قاضي القضاة ذو الفنون جمال الإسلام كمال الدين أبو المعالي ابن الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي كبير الشافعية في عصرة ولد سنة 667 هـ / 1268 م ، انظر عنه : الصفدي ، المصـدر السـابق ، ص : 525 . و مرعي بن يوسف ، === === **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية** ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، 1404 هـ / 1984 م ، ص : 36 .
6 - ابن كثير ، المصـدر السـابق ،ج : 14 ، ص : 37 .
7 - ابن عبد الهادي ، المصـدر السـابق ، ص : 221 .

728 هـ / 1328 م) [1] كان يقرأ صحيح البخاري لأجل الاستسقاء فقرأ يوما في أثناء ذلك فصلا في الرد على الجهمية وأن الله فوق العرش من كتاب أفعال العباد – للبخاري - فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين - و الأكيد أنهم كانوا أشاعرة - وقالوا نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي فطلبه ورسم بحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين فتألم له وأخرجه من الحبس بيده وأثنى على الشيخ جمال الدين ، فغضب القاضي وانزعج وقال لئن لم يُرد إلى حبسه عزلت نفسي ، فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه [2] .

و لما فشل خصوم بن تيمية في الإيقاع به عند السلطة المملوكية في دمشق ، عمد شيخ الصوفية في مصر نصر المنبجي (تـ 719هـ / 1319 م) [3] إلى الطعن فيه عند عند السلطان المملوكي الجاشنكير [4] في مصر ، فأوعز إليه أنه مبتدع سيئ العقيدة ، يكره الفقراء – يقصد الصوفية - ، فما كان من السلطان الجاشنكير إلا أن أصدر مرسوما وصل إلى دمشق في الخامس من رمضان سنة 705هـ / 1306 م يتضمن إرسال بن تيمية إلى مصر [5] .

و كان لذلك خلْفية سياسية ، ذلك أن الشام كان تابعا للسلطنة المملوكية ، وكان السلطان الفعلي وقتها بيبرس الجاشنكير الذي اغتصب الحكم من السلطان الشرعي

---

1 - الحافظ جمال الدين المزي ، سمع الكثير مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، كان يتكلم على الناس من بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وله ميل إلى التصوف وأعمال القلوب وكان يكثر من ذكر الإمام ابن تيمية ، أقام في آخر عمره بحمص و بها توفي في الثاني والعشرين من صفر في نفس سنة وفاة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهما الله تعالى 728 هـ / 1328 م ، أُنظر : ابن ناصر الدين الدمشقي ، **الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر** ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة 01 ، 1973 هـ / 1393م ، ص : 135 .

2 -ابن عبد الهادي ، المصدر السابق ، ج : ، ص : 221 .

3 - أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجي، عـُرف عنه أنه كان يغالي في محبة ابن عر بي الصوفي ، و كان السلطان المملوكي الجاشنكير يعتقد فيه، و قد أنشأ له زاوية خارج باب النصر وصار يتعبد فيها ويتردد عليه فيها الأكابر، === === ثم مات ودفن بها عام : 719هـ / 1319 م . انظر : ابن كثير ، المصدر السابق ،ج : 14 ، ص : 95 . و ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، ج : 5 ، ص : 165 . و المقريزي ، المصدر السابق ،ج : 2 ، ص : 432 .

4 - بيبرس الملك المظفر ركن الدين البرجي الجاشنكير المنصوري وكان يعرف بالعثماني ، تسلطن سنة 708هـ / 1308 م ، تلميذ نصر المنبجي فكان يعتقد فيه و يحبه و يواليه ، لذلك استعان به المنبجي في أذية بن تيمية زمن سلطنته ، قُتل الجاشنكير سنة 709هـ / 1309 م . أُنظر : الصفدي ، المصدر السابق ، ص : 1447 .

5 - و أكد شمس الدين النويري (تـ 733 هـ / 1333 م) الذي عايش الحادثة أنه كان لابن مخلوف قاضي المالكية بمصر يد في ذلك . أُنظر : **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 105 و 118 . وابن عبد الهادي ، المصدر السابق ، ص : 264 .

محمد بن قلاوون [1] ، و لابد أن ابن تيمية باعتباره أكبر فقهاء عصره يؤيد حق الملك الشرعي ، ومن هنا كان الجاشنكير غاضبا حانقا عليه فأيد المنبجي و خصوم بن تيمية في ما سعوا إليه [2] .

فلم يكتف المنبجي باتهام بن تيمية بسوء العقيدة ، بل اتهمه بالخيانة السياسية العظمى ، حين أوصى القاضي بن مخلوف أن يقول للأمراء إن بن تيمية يخشى عليه الدولة مثل بن تومرت في المغرب [3] .

و انتقل ابن تيمية إلى القاهرة بمقتضى المرسوم المذكور الوارد من السلطان بمصر يأمر فيه بإرسال الشيخ و القاضي الشافعي نجم الدين بن صصر (تـ 723 هـ / 1323 م) [4] إلى مصر للاستفسار عن معتقدهما .

قال ابن حجر العسقلاني " ثم توجه القاضي المالكي وابن تيمية ومعهما جماعة إلى القاهرة وكان الأمر اشتد بمصر على الحنابلة حتى صُفع بعضهم [5] .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان 705 هـ / 1306 م وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة ، وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة بدأت المحاكمة في القلعة باتهام القاضي ابن مخلوف المالكي [6] للشيخ بأنه يقول أن الله فوق العرش حقيقة وإن الله يتكلم بحرف وصوت [7] ، و هي نفس التهم التي وجهت له أثناء محاكمته في دمشق .

و لما وجه " الإدعاء العام " له هذه التهم ، حمد الله و أثنى عليه ، فقاطعه القاضي بن مخلوف و استعجله الإجابة ، حينها سأل بن تيمية عن قاضي الجلسة و حاكمها ؟ فأشاروا أنه القاضي بن مخلوف ، فقال الشيخ – مُتعجبا - لابن مخلوف : أنت

---

1 - السيوطي ، **تاريخ الخلفاء** ، ص : 417 .

2 - أُنظر : عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران ، **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 260 ، 439 .

3 - نفس المرجع ، ص : 478 ، 587 . و الألوسي ، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** ، مطبعة المدني، 1401هـ / 1981م ، ص : 621 .

4 - قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم ابن صصرى الشافعي ولد سنة 655 هـ / 1257 م ، وترفي عام 723 هـ / 1323 م ، و كان موافقا لابن تيمية . انظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14 ، ص : 106 . و السبكي ، المصدر السابق ، ج : 9 ، ص : 20 .

5 - ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، ج : 01 ، ص : 171 ، و نقل عنه الشوكاني ذلك في ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، بيروت ، دار المعرفة ، ج :1 ، ص : 67 .

6 - على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النووي المالكي قاضي القضاة ، ولد سنة 634 هـ / 1237 م ، وتوفي سنة 718 هـ / 1318 م . انظر: ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14 ، ص : 90 . و ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ،ج : 3، ص : 202.

7 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14 ، ص : 38 .

خصمي ، كيف تحكم في ؟ ، وكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر؟ ، فانزعج القاضي لذلك و أمر بحبس بن تيمية ببرج القلعة ، و بهذا انتهت تلك المحاكم ة الصورية - و ما كادت تبدأ- بسجن بن تيمية لمدة سنة ونصف [1] ، و سببها - كما ذكره الحافظ ابن كثير و غيره - مسألة العرش ، ومسألة الكلام ، ومسألة النزول [2] .

ثم بلغ القاضي بن مخلوف أن الناس يترددون إلي بن تيمية في معتقله ، قال يجب التضييق عليه إن لم يقتل وإلا فقد ثبت كفره [3] ، فتقرر نقل الشيخ ليلة عيد الفطر إلى الجب [4] ، و أوعز المنبجي إلى والي المدينة أن يكبس بيت بن تيمية و يمسك أصحابه و يحطهم في السجن فسير الوالي نائبه ففعل ذلك [5] .

و نودي في دمشق – من جديد - أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حل دمه وماله خصوصا الحنابلة ، و أُصدر مرسوم سلطاني بذلك فنودي به وقرئ في الجامع [6] ، تضمّن وعيدا و تهديدا " بالعزل من المناصب و الحبس و أخذ المال و الروح لخروجهم عن الملة الموحدية " [7] .

و بالغ القاضي زين الدين ابن مخلوف ونصر المنبجي في أذية الحنابلة و حاولوا إلزامهم على القول بقول الأشاعرة [8] ، و أُحضر الحنابلة و قضاتهم مُهانين بين يدي القاضي بن مخلوف [9] وعزر جماعة منهم على الدواب ثم أطلقوا إلا تلميذ ابن تيمية

---

1 - ابن عبد الهادي ، المصدر السابق ، ص : 214 .

2 - لم تكن هذه أول مرة تطأ فيها قدم الشيخ السجن فقد سبق و أن أبتلي بالسجن في دمشق عام 693 هـ / 1294 م ، بسبب واقعة عساف النصراني ، أنظر تفصيلا عنها : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 13 ، ص : 335 .

3 - ابن حجر ، المصدر السابق ، ج :1 ، ص : 171 ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ج : 1 ، ص : 167 .

4 - سجن بالقلعة ، كان يحبس فيه الأمراء ، و كان مهولا مظلما ، كثير الوطاويط ، كريه الرائحة يقاسي فيه المسجون فيه ما هو كالموت أو اشد منه ، انظر عنه : المقريزي ، **الخطط** ، ج : 2 ، ص : 375 .

5 - عزيز شمس و محمد العمران ، **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 91 ، نقلا عن خادم بن تيمية إبراهيم بن احمد الغياني في رسالته المخطوطة بعنوان : " فصل في ما قام به بن تيمية و تفرد به و ذلك في تكسير الأحجار " .

6 - أنظر نص المرسوم بكامله : تقي الدين الحصيني ، **دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد** ، الطبعة 01 ، دار المصطفى للنشر و التوزيع ، 1423هـ / 2003 م ، ص : 262 . و نقله شهاب الدين النويري بكامله أيضا ، أنظر : **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 122 - 125 .

7 - تقي الدين الحصيني ، **دفع شبه من شبه و تمرد** ، ص : 262 .

8 - ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، ج : 01 ، ص : 171 . و المقريزي في **السّلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي** ، صحَّحه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، الطبعة 01 ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1377 م / 1958م ، ج : 2 ، ص : 401 . و عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران ، المرجع السابق ، ص : 91 ، 120 ، 360 ، 412 ، 585 .

9 - تقي الدين الحصني ، المصدر السابق ، ص : 262 .

النجيب بن القيم الجوزية (تـ 751 هـ / 1350 م) الذي ألزموه السجن [1] .

و لما أثنى قاضي الحنفية بدمشق شمس الدين بن الحريري (تـ 728 هـ / 1328 م) على ابن تيمية في ثلاث عشر سطرا بخط يده عزله بن مخلوف و عوضه بشمس الدين الأذرعي (تـ 734 هـ / 1334 م) [2] .

و أكد ابن كثير بأنه حصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة لأن " قاضيهم كان قليل العلم مزجي البضاعة وهو شرف الدين الحراني فلذلك نال أصحابهم ما نالهم" [3]

فهذه الصور التي نقلتها كتب التاريخ حول تكفير و اضطهاد ابن تيمية و أتباعه لوصفه الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم ، لا يـُمكن أن يحدث إلا برعاية السلطة العليا ، و هو ما حدث فعلا .

و استمر الحال على ذلك في القاهرة ، ثم تدخل نائب السلطنة الأمير المملوكي سلار (تـ 710 هـ / 1311 م) و الأمير حسام الدين بن مهنا ملك العرب (تـ 735 هـ / 1335 م) [4] للعفو عن ابن تيمية ، فأُخرج منه في الثالث و العشرين من ربيع الأول سنة 706هـ / 1307 م ، و بهذا انتهت هذه المحنة ، لكن عند بعض المؤرخين أنها لم تنته إلا بعد أن رجع ابن تيمية عن معتقده مختارا ، و كـُتب عليه محضر بأنه قال أنا أشعري مختارا غير مـُجبر على ذلك ، و شهد المحضر العلماء و قضاة المذاهب [5] .

و في نقل هذه الرواية نجد التناقض الصارخ بين مؤرخي تلك الفترة (القرنين 8 و 9 هـ / 14 و 15 م) ، فمنهم من لم يذكرها إطلاقا كابن كثير الدمشقي (تـ 774هـ / 1373 م) فهي عندهم لم تكن أصلا ، و منهم من ذكرها و سلم بصحتها كت قي الدين

---

1 - أُنظر : عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران ، المرجع السابق ، ص : 445.

2 - ابن حجر ، المصدر السابق ، ج :01 ، ص : 172 .

3 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14 ، ص : 45 ، و ذكر المقريزي في **المقفى الكبير** أن قاضي الحنابلة نفسه صار يُلزم أتباع مذهبه بالإعتقاد الاشعري و يأخذ خطوطهم بذلك ، بعدما استكتبوا خطه بذلك ، فجرى للحنابلة ما لم يجر عليهم مثله ، أُنظر : **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 440.

4 - حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا أمير العرب بالشام المنسوبين لسلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي من ذرية الولد الذي جاء من العباسة أخت الرشيد ، وقد كان كبير القدر محترما عند الملوك كلهم بالشام ومصر والعراق وكان دينا خيرا متحيزا للحق ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حبا زائدا هو وذريته وعربه وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام يسمعون قوله و يمتثلونه وهو- أي بن تيمية - الذي نهاهم أن يُغير بعضهم على بعض وعرفهم أن ذلك حرام وله في ذلك مصنف جليل . وكان وفاة مهنا هذا ببلاد سلمية في ثامن عشر ذي القعدة سنة 735 هـ 1335 م ودفن هناك . أُنظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14، ص : 172 . و اليافعي ، المصدر السابق ، ج : 3 ، ص : 149 – 150 .

5 - ابن حجر ، المصدر السابق ، ج :1 ، ص : 172 . و المقريزي في **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، ج : 2 ، ص : 401 .

الحصني الدمشقي الشافـعي الأشعـري (تـ 829 هـ / 1426 م) [1] ، و أشار إليها ابن رجب الحنبلي وفندها (تـ 795هـ / 1393 م) [2] ، و البعض منهم ذكرها و سكت عنها دون تعقيب كابن حجر العسقلاني (تـ 852 / 1422 م) [3] .

و الذي يبدو أن خصوم ابن تيمية حاولوا أثناء اعتقاله في السجن الحصول علي اعترافه بعقائدهم مقابل الإفراج عنه ولكنه تمسك بالرفض [4] ، و هو ما يُفهم مما نقله بن رجب أنه لما اشتد الأمر على ابن تيمية و الحنابلة في مصر و وصل إلى حد القتل ، كتب لهم بخطه مُجملا من القول ، و ألفاظا فيها بعض ما فيها لما خاف و هُدد بالقتل [5] ، و لما لما أمن على حياته خفف من تلك الليونة مستمرا على قوله كما تدل عليه جميع سيرته [6] .

و نظراً لكون رواية رجوع ابن تيمية عن معتقده تلك و أخذه بأقوال الأشاعرة أقرب للتزييف و الإختلاق منها للحقيقة ، لم ينـشغل من دافع عن ابن تيمـية قـديمـا و حديثا بالرد عليها و تفنيدها ، بل تجاوزوها إلى الدفاع عن شبه أخرى أكثر واقعية [7] . و بهذا كان العهد المملوكي فرصة أخرى حظي بها المذهب الأشعري ليتوطد في مصر و ما جاورها ، ونستشف هذه الحقيقة بوضوح من كلام تاج الدين السبكي (تـ 771 هـ / 1311 م) حين قال أن شيخه شمس الدين الذهبي(تـ 748 هـ/ 1347 م) لـم يذكر مسألة الصفات عندما ترجم للفقيه أبي الحسن الكرجي الشافعي (تـ 532هـ / 1138 م) خوفاً لا نسيانا ،

---

1 - تقي الدين الحصني ، المصدر السابق ، ص : 271 .
2 - ابن رجب ، **الذيل** ، ج : 2 ، ص : 412 - 413 .
3 - كابن حجر في كتابه **الدرر الكامنة** ، ج : 1 ، ص : 172 ، و في كتابه هذا أيضا انفرد بنقل أخبار شاذة عن بن تيمية دون تعليق عليها ، كن قله رواية سبه الغزالي الغريبة ، و خبر محاولة الأمير غازان قتله مع العلاقة الطيبة بينهما ، بالإضافة إلى قصة رجوعه عن معتقده المختلقة ، و قصة نزوله من على المنبر المكذوبة التي افتراها ابن بطوطة ، كل ذلك بدون دون أي تعليق ، مع أنه أثنى عليه طويلا في تقريظه لكتاب الرد الوافر، و نحن لا ننكر موالاته و حبه لشيخ الإسلام بن تيمية ، بل إن الحافظ ابن حجر في موالاته ومحبته للشيخ ابن تيمية مما لايُنكره إلا جاهل ، وقد تلقى العلم عن تلامذة الشيخ ابن تيمية وأصحابه ، وانتفع بكتبه ، وقرأ كثيرا منها درسا ، ، و قد ترجم الحافظ محبته لشيخ الأسلام عمليا بتقريظ له طار في الآفاق فيه المدح والثناء المنصف لشيخ الإسلام ، وهذا التقريظ قرضه الحافظ على كتاب " **الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر**" لحافظ الشام ابن ناصر الدين الدمشقي ، حققه : زهير الشاويش ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة 01 ، 1414 هـ / 1393م وهذا التقريظ في آخر الكتاب .
4 - ابن كثير ، المصدر السابق ، ج : 14 ، ص : 45 .
5 - ابن رجب ، المصدر السابق ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ج : 2 ، ص : 412 ، 413 .
6 - عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران، المرجع السابق ، ص : 471 .
7 - انظر مثلا : كتب تلامذته ، كابن عبد الهادي في **العقود الدرية** ، و المصنفات الحديثة في ذلك ، مثلا : عبد الله بن صالح الغصن ، **دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، عرض و نقد** ، أصل هذا الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، متوفر على موقع موقع صيد الفوائد : www.saaid.net و موقع الكاشف : www.alkashf.net .

فقال : " إنه خشي صولة الشافعية و سيف السنة المحمدية " [1] ، فقوله هذا اعتراف صريح بسلطة الأشاعرة وهيمنتهم السياسية على مصر الشام إلى درجة استخدامهم السيف مع معارضيهم في المعتقدات.

و نخلص مما سبق أن الإضطهاد السياسي الذي عاشه بن تيمية و أتباعه في هذه الفترة (698 هـ - 709 هـ / 1299م – 1310 م) لم يُقصد به شخصه بل استطال كل من يعتقد اعتقاده ممن خالف معتقد الأشاعرة الذين تمتعوا بنفوذ سياسي ورثوه من عهود الأيوبيين ، و زادهم نفوذا ما ميز المذهب الأشعري في تلك الفترة من اختلاط بالتصوف ، و مع ذلك كانت هذه المحنة سببا في اشتهار بن تيمية و كثرة أنصاره المُدافعين عن معتقد أهل الحديث ، و يدل على ذلك مكانة بن تيمية و كتبه في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا [2] .

و في نهاية هذا الفصل نستنتج بأن تدخل السياسيين في الصراعات المذهبية لم يكن بشكل عفوي ، بل كان مقصودا لتمذهبم و ربما تعصبهم ، أو لمصالح سياسية و مطامع سلطوية ، و كانوا بتدخلاتهم يحسمون جولة الصراع للطرف الموالي لهم مُستغلين سلطانهم ، و من جهة أخرى كانوا يُسهمون في تأجيجها بتصرفاتهم تلك ، و لا أدل على ذلك من تدخلات الوزير السلجوقي نظام الملك في الفتن التي كانت تقوم بين الأشاعرة و أهل الحديث في عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد .

و كان الإنقلاب المذهبي للسلطة يُنذر بثورة مذهبية ، لِما يترتب على ذلك من مواقف سياسية تخدم مذهب ما على حساب آخر ، يدل على ذلك الإنقلاب المذهبي للسلطان الكامل الأيوبي ، و إنقلاب موقف السلطة معه من اضطهاد المذهب الأشعري إلى الانتصار له و إكرام أقطابه و علمائه و التمكين لهم .

و يتضح أثر التدخل السياسي في الحياة المذهبية و الإجتماعية – بصورة أوضح - في موقف السلطة المملوكية في مصر و الشام من الإمام ابن تيمية و أهل

---

1 - السبكي ، المصدر السابق ، ج : 06 ، ص : 142 .

2 - و صدق حدس بن مري الحنبلي تـ (حوالي 731هـ / 1331 م) حين شبهه بالبخاري " الذي مات طريدا غريبا فعوضه الله على ذلك بما لا خطر على باله و لا مر بخياله " ، أُنظر رسالة احمد بن محمد بن مري الحنبلي التي كتبها عقب وفاة ابن تيمية يوصي بالشيخ و كتبه و حفظه في تلاميذه المبرزين ، انظر : **الجامع لسيرة بن تيمية** ، ص : 102.

الحديث ، الذين تعرضـوا لألـونٍ من الإضطـهاد لموقفهـم المتصلـب من المذهب الأشعري ، و وصـل الحـد إلى درجـة الإضطهاد و التنكيـل بل الفتك و القتل بمن جـهـر بخلاف المذهـب الأشعـري كمـا ذكـر أبو العباس المقريـزي (تـ845هـ / 1442 م) [1] .

1 - المقريزي ، المصـدر السـابـق ، ج : 2 ، ص : 360 .

الخــــاتــــمــــــــة

فــي نــهايــة هذا الـعمل الذي حـاولت من خلالــه إماطة اللثام عن الدور الحقيقـي الذي لعبه العامل السياسي و السلطوي في انتشار المذهب الأشعري في شرق العالم الإسلامي و غربـه من منتصف القرن 5هـ / 11 م إلى مـطلع القرن 8هـ / 14 م قد خلصت – من خـلالـه - إلى جملـة من النتــائج الآتيـة :

كان ظهور المذهـب الأشعري بدايـة القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي إحياءُ و تجديد لأفكار عبد الله بن كلاب (تـ241هـ/855 م) لاتفاق المدرستين في أكثر الأصول العقيدية ، و سطع نجم أبي الحسن الأشعري حينـها عندما انقلب على مذهبه الإعتزالي و أصبح يرد عليه و ينتـقده وفق آراء عبد الله بن كلاب ، لكن ما جاء به أبو الحسن الأشعري حينها لم يكن الوسطية المنشودة بل كان برزخا بين مذهب المعتزلة و مذهب السلف فلم يكن حقا كله و لا باطـلا كله .

و قــد توفر للمذهب الأشعري خلال القرن 4هـ/10م و منتصف القرن 5هـ /11م جملةً من العوامل و الظروف المساعدة جعلته أكثر شيوعـًا وانتشارًا من المذهب الكلابي و المذهب الماتريدي رغـم الـتقارب و التشـابه بين المدارس الثلاث ، إلا أنه – مع ذلك - كان انتشارًا بطيئـًا و محدودًا بالنسبة إلى باقي المذاهب الأخـرى ، فلم تحظ أفكـار الأشعري بـأي تأييـد سياسي و لا انتصـارٍ سلطوي حينها ، بل لقي المذهب الأشعري تضييقا سياسيا من الخلافة العباسيـة و أهل الحديث منذ ظهور المذهب في المشرق ، خاصة في فترة الخليفة العباسي القادر بالله (393 - 422 هـ / 991- 1031م) و ابنه القائم بأمر الله (تـ 467هـ / 1084 م) .

ثم تطورت تــلك المضايقة إلى اضطهادٍ سياسي في فترة وزارة عميد الملك الكندري للسلاجقة (447- 457هـ/ 105- 1066 م) ، فقـُرنَت الأشعرية بالمعتزلة و الرافضة و لـُعنت على المنابر في خرسان و نيسابور ، و كادت المعارضة السياسية و العلمية الشديدة للمذهب الأشعري أن تـضع حدا له لولا تولى نظام الملك وزارة السلاجقة منتصف القرن 5هـ / 11 م الذي أنقض المذهب الأشعـري من الزوال و عمل على إعـزازه و الإنتـصار له بحماسٍ و عـزمٍ شديديـن .

أمـا في المغرب الإسلامي فقد كان وصول المذهب الأشعري إلـيه وصولا متأخرا و بطيئا ، متعثرًا و فرديـًا ، لأن أهل المغرب كانوا مالكيـين أصولا و فروعا على معتقد أهل الحديث في الإيمان بآيات الصفات دون التعرض له ا بالتأويل مع التنزيه عن الظا هر ، مـُنافرين بذلك تأويلات الـفلاسـفة و أهـل الكلام ، وكان هذا الحال الغالب على الحاكم و المحكوم ، و هو ما عكسته لنا حادثة إحراق كتاب الإحياء للغزالي في عهد الأمير المرابـطي علي بن يوسف بن تاشفيـن (500 – 557 هـ/1006م- 1063م) .

و في شـرق العالـم الإسلامـي لعب الوزير نظام الملك دورا متميزًا و بارزًا في الإنتصار للمذهب الأشعـري و العمل على تعزيزه و الإنتصار لـه و لأقطابه ، فأسقط لعنهم من على المنابر ، و لبى الوزير طلبهم و رفع من شأن مذهبه ـم و أيدهم على جميـع خصومهم .

كما كان للأشاعرة فرصة أخرى في دولـة نور الدين زنكي في الشام دولة صلاح الدين الأيوبي في مصر ، إذ مُكـّـن لهم و مُـنحتْ لهم المناصب العليا في الدولتيـن ، ذلك لأنــهم كانوا يحملون شهـادات من المدارس النظامية ، أكبـر المراكز العلمية و التكوينية بالمشرق الإسلامي حينها .

فقـد كان الدعم الأكبر للدولة السلجوقية و النورية و الأيوبية للمذهب الأشعري في المجال العلمي، نظـرًا للمدارس العديدة التي تضمنتها دولهم ، و التي سنـّها نظام الملك السلجوقي أول الأمر ، و كان لتلك المدارس أبعد الأثـر في استقرار

المذهب الأشعري و انتشاره و ديمومته ، ليس في شرق العالم الإسلامـي فحسب بل و في مغربـه أيضا .

فقد كانت لتلك المدارس التي أشرف عليها الوزير نظام الملك - كانت بحق – منعرجـًا حاسمـًا في تاريـخ الحركة المذهبية في العالم الإسلامي ، إذ رجحت بفعلـها الكفة للمذهب الأشعري أصولاً و الشافعي فروعًا ، حيـث فـُرض ذلك على الطالب والمُـدرس والفـراش في كل المدارس النظـامية ، فكـــان لها و لخريـجيـها الأثر البالغ في التمكين للمعتقد الأشعري و المذهب الشافعي معاً ، و حذت حذوها المدارس الزنكية و الأيوبية التي كانت – في الغالب - امتدادا لها بسبب سيطرة علماء النظامية عليها و التمكين لهم فيـها .

و كان محمد بن تومرت المصمودي المغربي أحد خـريـجي تلك المدارس ، و كـان لحركتـه السياسية في المغرب الإسلامي صبغة دينية عقيديـة لمّـا اتخذ المذهب الأشعري إيديولوجيـةً للإطاحة بالمرابطين الذين دب فيهم الضعف و الفساد ، و نجح هو و خلفاؤه بعد حروبٍ و مؤامراتٍ طويلة في إقامة دولة في الغرب الإسلامي تعمل جاهدا على رعاية المذهب الأشعري رسميًا و الحط و النيـل من كل من يعارضـه .

و كانت للرعاية السياسية التي أحـاطت بمؤلفات بن تومرت – لا سيما رسالة المرشدة منها – دورَهـا البالغ في انتشار المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي خاصةً لِـما حظيت به من رعاية سياسية رسميـة في عـهـده و عهد خلفائه ، و لِما حظيت به أيضـًا من شروحٍ و تعاليقٍ أسهمت في ترسيخ المذهب الأشعري و استمراريته في المغرب الإسلامي .

و عـمـوما حظي علماء المذهب الأشعري و فقهاؤه في المشرق الإسـلامي - منذ وزارة نظام الملك - بعنايةٍ سياسيةٍ بالغـة ، أسهمت في انتشار أفكارهم و آرائهم ، و مثال ذلك التأييد و الرعاية التي كفلها الوزير نظام الملك السلجوقي لهم لا سيما من مثلوا هيئة التدريس في مدارسه ، و الإنتصار الذي ضمنته

السلطة الأيوبية للعز بن عبد السلام - إمام الأشاعرة في زمانه – على خصومه الحنابلة في مصر و الشام .

و كان للموقف المنحاز و السلبي لسلطة بغداد - الواقعة تحت تأثير و ضغط السلطة السلجوقية مُمثلةً في وزيرها نظام الملك – إسهامُ قوي و مباشر في انتصار الأشاعرة لمذهبهم في بغداد و الجهر به في عاصمة الخلافة الإسلامية بعدما كانوا إلى عهدٍ قريبٍ من ذلك يُسرون به و يتسترون عليه ، لا سيما بعد فتنة ابن القشيري 469هـ / 1077 م التي ذكر الحافظ ابن عساكر (تـ 575هـ / 1180 م) و شيخ الإسلا م ابن تيمية (تـ 728 هـ / 1328 م) أن كلمة الحنابلة و الأشاعرة كانت مجتمعة ، ثم تفرّقت على إثر هذه فتنة ابن القشيري .

و نفس الموقف اتخذته السلطة الأيوبية من الفتن و الصدامات التي كانت تقوم بين الأشاعرة و غيرهم ، و لا أدل على ذلك من فتنة نجم الدين الخبوشاني (تـ 587هـ / 1191 م) و حادثة العز بن عبد السلام (تـ 600 هـ / 1204 م) مع الحنابلة في الشام و مصر ، و محنتي الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي(تـ 600 هـ / 1204 م) مع الأشاعرة في دمشق و أصفهان .

- أما السلطة المملوكية التي ورثت الحكم في مصر عن الأيوبيين فقد كان موقفها أعنف من ذلك في التعامل مع من أظهر خلاف المذهب الأشعري و جهر بذلك ، دلّ على ذلك محاكمتهم للشيخ ابن تيمية و أنصاره و سجنهم و التنكيل بهم لمجرد أنهم خالفوا المذهب الأشعري و صدعوا بذلك .

و الواقع أن للعامل السياسي كان عاملا رئيسيًا و حاسمًا في استقرار المذهب الأشعري و انتشاره في العالم الإسلامي شرقه و غربه من منتصف القرن 5هـ / 10 م إلى بداية القرن 8هـ / 13 م ، فأصبح الأشاعرة قوة سياسية و عقيدية لها وزنها في العالم الإسلامي ، إذ كان العامل السياسي أقوى من الحق الذي يحملونه في قلوبهم ، و أمضى من الحماس الذي يجري في صدورهم .

و مـا يـُمكن أن نخلص إليـه أيـضـًا هو أن العامل السياسي إذا تحالف مع العامل الديني فإنـه بلـعب الدور الأكبـر في تقدم المذاهب و تراجعها ، فالناس على ديـن ملوكهـم و علمائهـم .

والله المـُستعـان ، و هو ولـي التوفيق و السداد .

و الحمد لله رب العالمين أولا و أخيرا .

و الصلاة و السلام علـى رسول الله .

1. تمثيل بياني يعكس العلاقة بين الدول الإسلامية و انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 5هـ/10م إلى بداية القرن 8هـ/13 م).

2. تمثيل بياني يعكس العلاقة بين المدارس و انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي (من منتصف القرن 5هـ/10م إلى بداية القرن 8هـ/13 م).
جدول لأهم المدارس التي دعمت المذهب الأشعري و الجهات السياسية التي أشرفت عليها.

3. خريطة تعكس وضعية المذهب الأشعري مطلع القرن 5هـ .

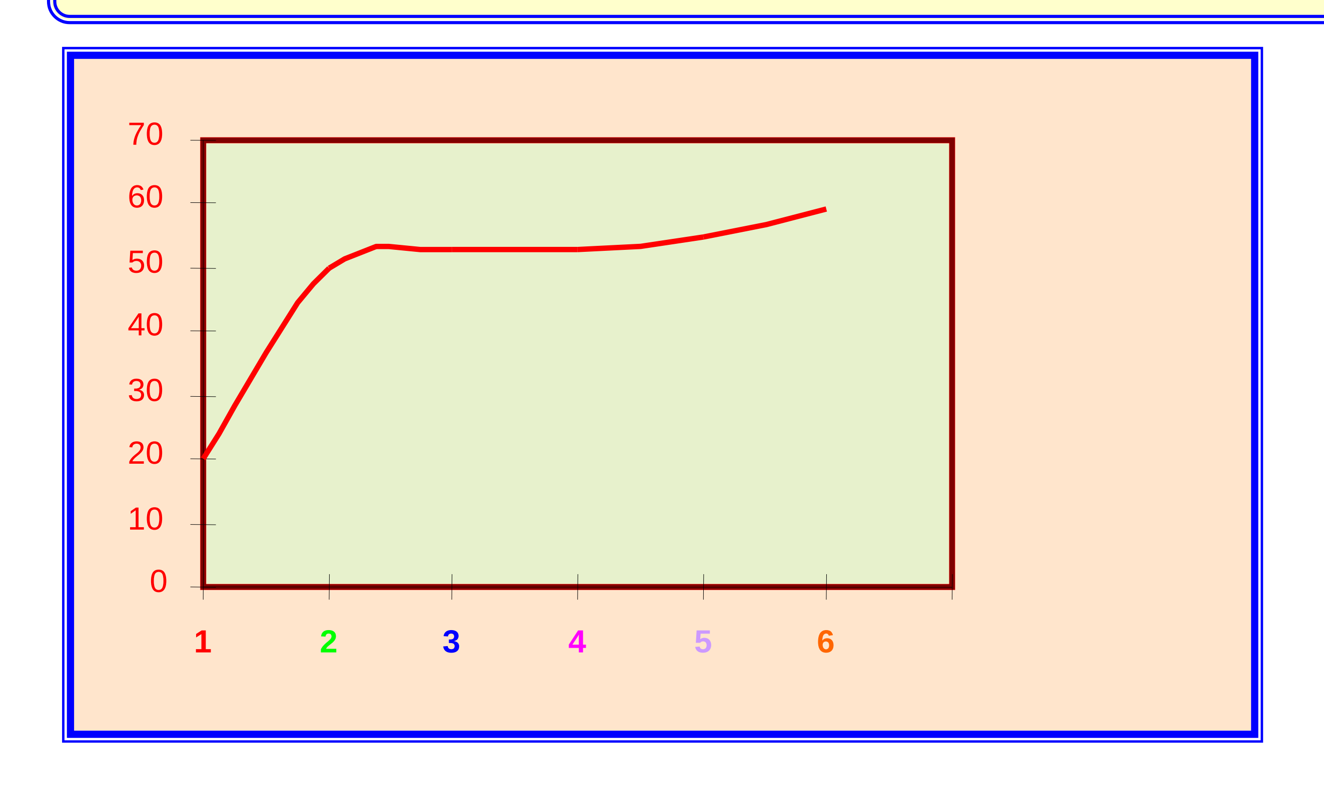
4. خريطة تعكس وضعية المذهب الأشعري مطلع القرن 8هـ .

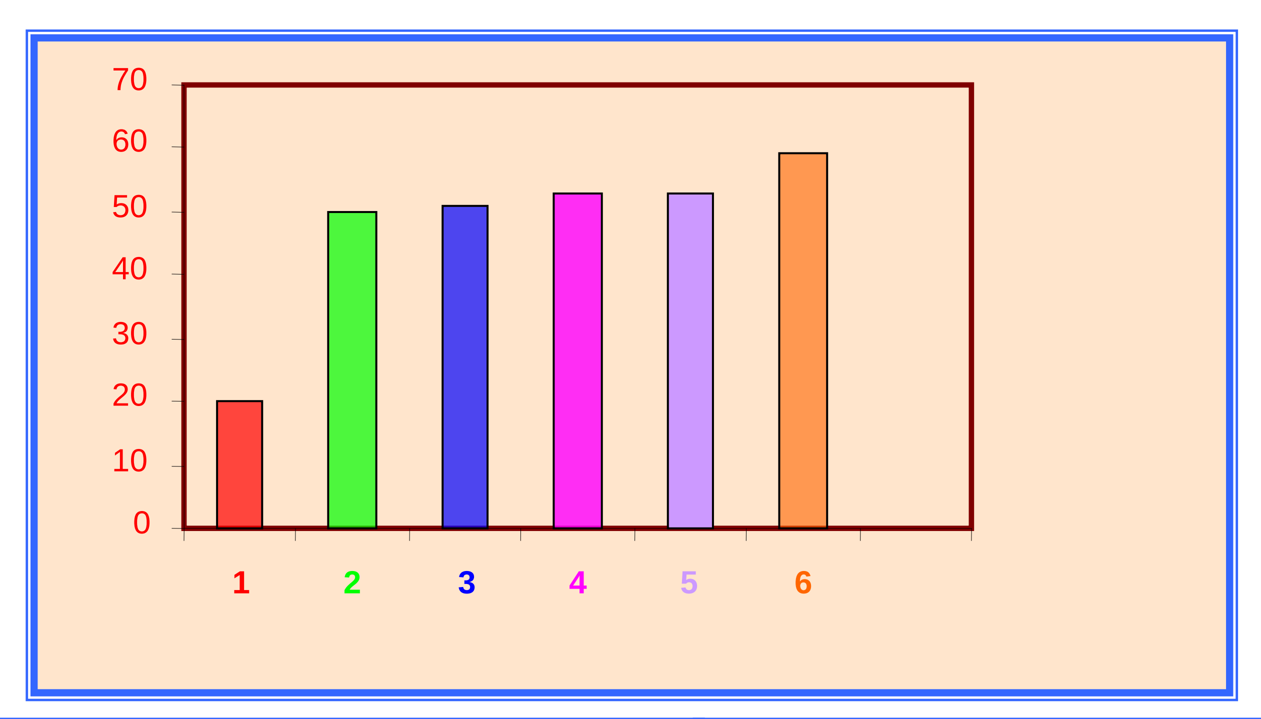
5. محضر : الإعتقاد القادري .

6. محضر : شكاية الأشاعرة إلى نظام الملك .

7. نص : تفسير ابن تيمية لانتشار المذهب الأشعري .

الملحق رقم 01 : تمثيل بياني يعكس العلاقة بين الدول الإسلامية و انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي و مغربه (من منتصف القرن 5هـ/10م إلى بداية القرن 8هـ/13 م) .





ور المذهب الأشعري في بدايات الدولة السلجوقية (القرن 4 هـ / 10 م) .

طور المذهب الأشعري في عهد وزارة نظام الملك السلجوقي (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092 م) .

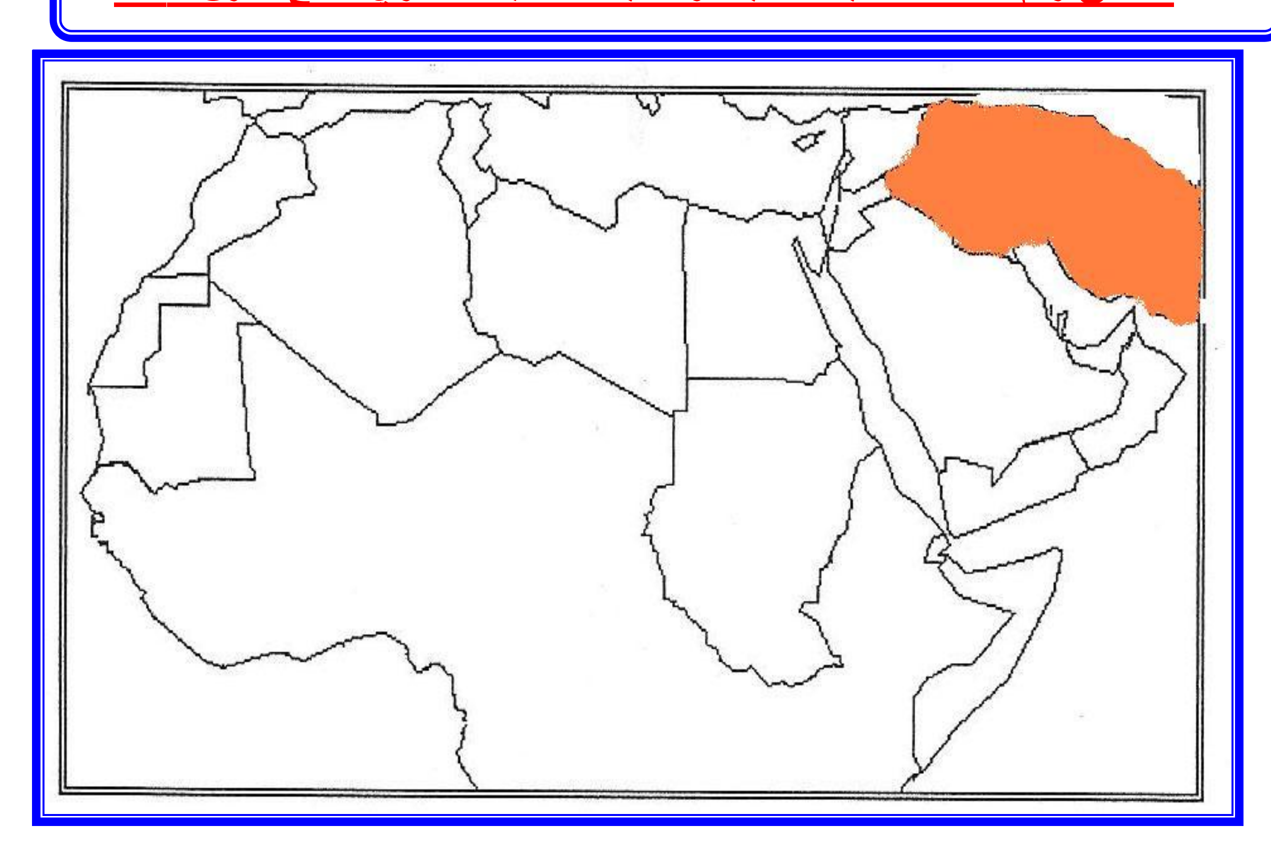
ر المذهب الأشعري في الدولة الزنكية (541هـ - 570 هـ / 1146 م – 1175 م) .

تطور المذهب الأشعري في الدولة الموحدية (505هـ - 524 هـ / 1112 م – 1130 م)

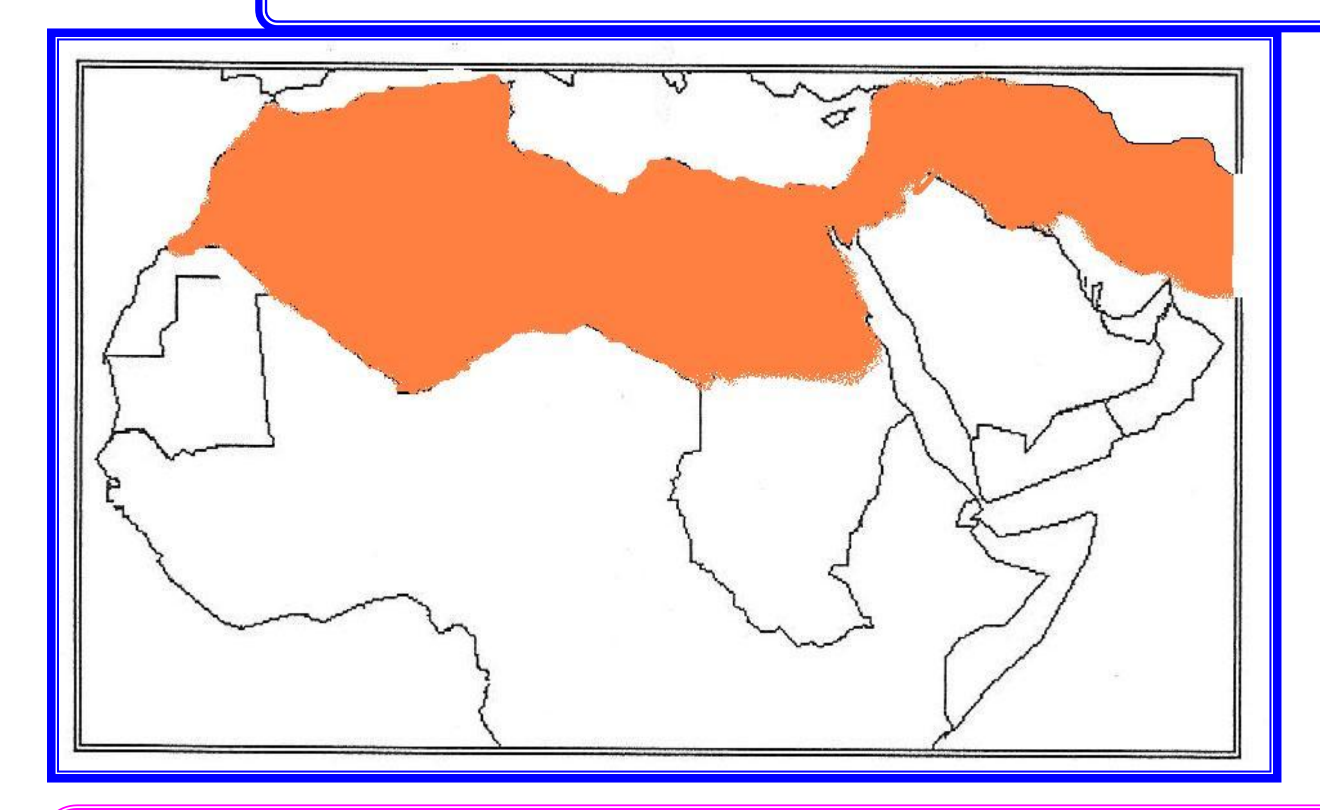
تطور المذهب الأشعري في الدولة الأيوبية (567هـ -589هـ/1172 م – 1193 م) .

تطور المذهب الأشعري في الدولة المملوكية (698 هـ - 709 هـ / 1299 م – 1310 م) .

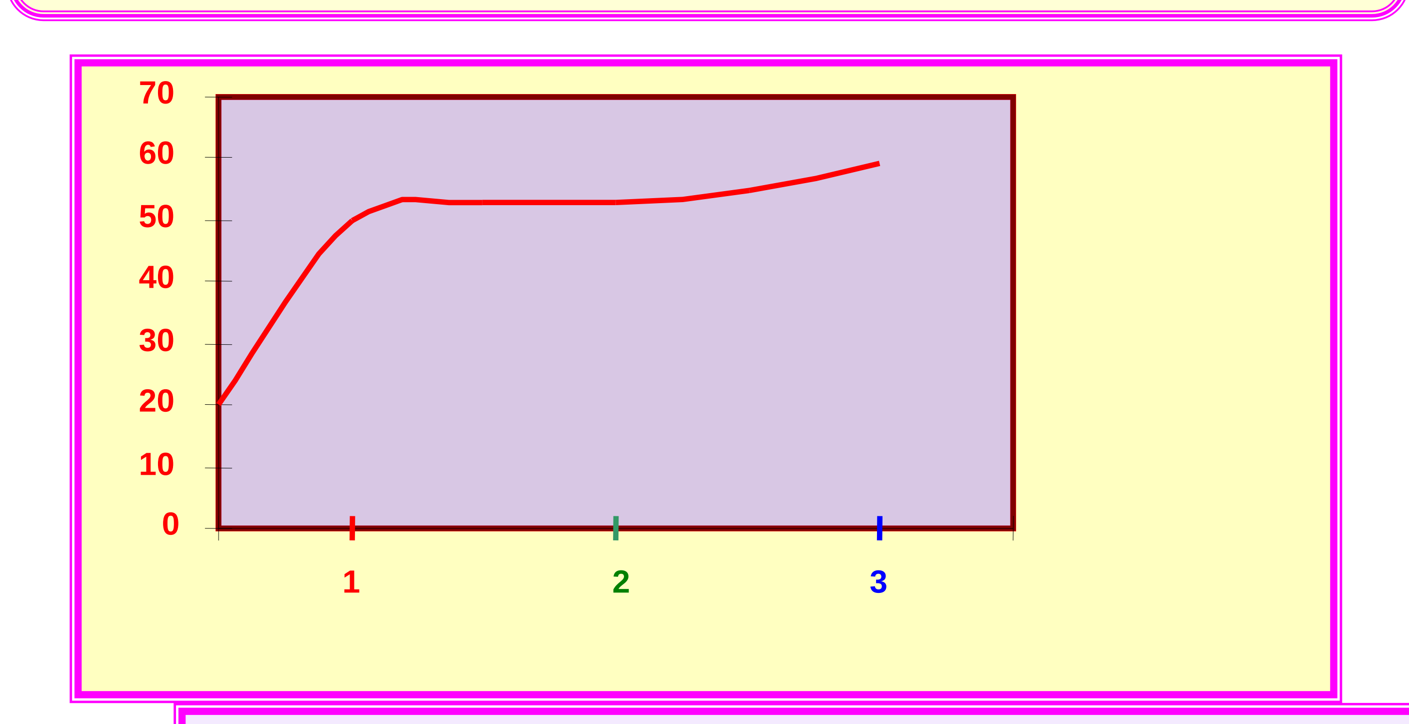
الملحق رقم : 02 : تمثيل تخطيط لوضعية المذهب الأشعري مطلع القرن 5هـ .



الملحق رقم : 03 : تمثيل تخطيطي لامتداد المذهب الأشعري مطلع القرن 8هـ .



الملحق رقم : 04 : تمثيل بيان ، لتطور المذهب الأشعري خلال العهد السلجوقي ، الزنكي ، و الأيوبي (القرن 5هـ – 8هـ / 11 م / 14 م) مع جدول لأهم المدارس الشافعية الأشعرية لنفس الفترة .



1	تطور المذهب الأشعري خلال العهد السلجوقي (465هـ - 485هـ / 1073 م – 1092 م) .
	تطور المذهب الأشعري خلال العهد الزنكي (541هـ - 570 هـ / 1146 م – 1175 م) .
	تطور المذهب الأشعري خلال العهد الأيوبي (567هـ -589هـ/1172 م – 1193 م) .

العهد السلجوقي	مدرسة بغداد ، مدرسة بلخ ، مدرسة نيسابور، مدرسة هراة ، مدرسة أصبهان ، مدرسة البصرة ، مدرسة مرو ، مدرسة بآمل طبرستان ، مدرسة بالموصل .
العهد الزنكي	المدرسة النفرية النورية ، المدرسة العصرونية ، مدرسة منبج ، مدرسةً حمص ، مدرسة بعلبك ، مدرسة دمشق ، المدرسة الشعيبية ، المدرسة العادلية الكبرى .
العهد الأيوبي	المدرسة الناصرية ، المدرسة الصالحية ، مدرسة لنجم الدين الخبوشاني .

الملحق رقم : 05 : متن {الإعتقاد القادري}

الذي أصدره الخليفة العباسى القادر بالله(تـ422هـ/1031م) .

أخرج الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو جعفر ابن القادر بالله في سنة نيف وثلاثين و أربعمائة {الاعتقاد القادري} الذي ذكره القادر، فقرىء في الديوان، وحضر الزهاد و

العلماء، وممن حضر: الشيخ (أبو الحسن علي بن عمر القزويني)، فكتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه:

أن هذا اعتقاد المسلمين، ومن خالفه فقد فسق وكفر، و هو :

يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز و جل وحده لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحدا.لم يتخذ صاحبه ولا ولدا.ولم يكن له شريك في الملك .

وهو أول لم يزل ، وآخر لا يزال .

قادر على كل شيء ، غير عاجز عن شيء.

إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. غني، غير محتاج إلى شيء. لا إله إلا هو الحي القيوم .

لا تأخذه سنة ولا نوم. يُطعِم ولا يُطـْعـَم.

لا يستوحش من وحده، ولا يأنس بشيء . وهو الغنى عن كل شي.

لا تخلفه الدهور والأزمان، وكيف تغيره الدهور والأزمان وهو خالق الدهور والأزمان ، والليل والنهار، والضوء والظلمة، والسماوات والأرض، وما فيها من أنواع الخلق، والبر والبحر، وما فيهما، وكل شيء حي، أو موات، أو جماد كان ربنا وحده، لا شيء معه، ولا مكان يحويه .

فخلق كل شيء بقدرته، ،وخلق العرش لا لحاجته إليه، فاستوى عليه، كيف شاء، و أراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق.

وهو مدبر السموات والأرضين، ومدبر ما فيهما، ومن في البر والبحر، ولا مدبر غيره ، ولا حافظ سواه. يرزقهم ويمرضهم ويعافيهم ، ويميتهم ويحيهم .

والخلق كلهم عاجزون، والملائكة والنبيون والمرسلون، والخلق كلهم أجمعون.

وهو القادر بقدرة.والعالم بعلم أزلي، غير مستفاد . وهو السميع بسمع . والمبصر ببصر. يعرف صفتهما من نفسه . لا يبلغ كنههما أحد من خلقه .

متكلم بكلام، لا بآلة مخلوقة، كآلة المخلوقين.

لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه عليه السلام .

وكل صفة وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ، فهي صفة حقيقة لا مجازية.

ويعلم أن كلام الله تعالى غير مخلوق، تكلم به تكليما، وأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل، بعد ما سمعه جبريل منه، فتلاه جبريل على محمد صلى الله عليه و سلم ، وتلاه محمد صلى الله عليه و سلم على أصحابه ، وتلاه أصحابه على الأمة.

ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقا، لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به ، فهو غير مخلوق فبكل حال، متلوا، ومحفوظا، ومكتوبا، ومسموعا .

ومن قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه .

ويعلم أن الإيمان قول، وعمل ، ونية ، وقول باللسان، وعمل بالأركان والجوارح، وتصديق به. يزيد وينقص ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهو ذو أجزاء وشعب، فأرفع أجزائه لا إله الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، و الحياء شعبة من شعب الإيمان، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

والإنسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله ، ولا بماذا يختم له، فلذلك يقول: مؤمن إن شاء الله، وأرجو أن أكون مؤمنا، ولا يضره الاستثناء والرجاء، ولا يكون بهما شاكا، ولا مرتابا، لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن أمر آخرته، وخاتمته.

وكل شيء يتقرب به إلى الله تعال، ويعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات، فرائضه وسننه وفضائله، فهو كله من الإيمان منسوب إليه .

ولا يكون للإيمان نهاية أبدا، لأنه لا نهاية للفضائل، ولا للمتبوع في الفرائض أبدا .

ويجب آن يحب الصحابة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم .

ونعلم أنهم خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأن خيرهم كلهم و أفضلهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، ويشهد للعشرة بالجنة .

ويترحم على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن سب عائشة فلا حَظَّ له في الإسلام ، ولا يقول في معاوية إلا خيرا .

ولا يدخل في شيء شجر بينهم، ويترحم على جماعتهم .

قال الله تعالى { والذين جاؤا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم }(الحشر :10) .

وقال فيهم { ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين}(الحجر:47) .

ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها، فإنه من تركها من غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر، وان لم يجحدها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : { بين العبد والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر} .

ولا يزال كافرا حتى يندم ويعيدها، فان مات قبل أن يندم ويعيد أو يضمر أن يعيد لم يصل عليه، وحشر مع فرعون، وهامان، وقارون، وأبي بن خلف.

وسائر الأعمال لا يكفر بتركها، وإن كان يفسق حتى يجحدها .

ثم قال: هذا قول أهل السنة والجماعة، الذي من تمسك به كان على الحق المبين، وعلى منهاج الدين، والطريق الواضح، ورجي به النجاة من النار، ودخول الجنة ، إن شاء الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : { الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله ؟، قال: لله ، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، ولعامتهم}.

وقال عليه السلام: { أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها يشكر، وإلا كانت حجة عليه، والله ليزداد بها إثما، ويزاد بها من الله سخطا } .

جعلنا الله لآلائه من الشاكرين، ولنعمائه ذاكرين وبالسنة معتصمين، وغفر لنا ولجميع المسلمين اهـ .

ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج البغدادي (تـ 597 هـ / 1201 م) ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة01، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1412هـ / 1992م . الجزء : 8 110 . 111 ، الصفحة : 109 -

الملحق رقم : 06 : محضر : شكاية الأشاعرة إلى نظام الملك .

بسم الله الرحمن الرحيم يشهد من ثبت إسمه ونسبه وصح نهجه ومذهبه واختبر دينه وأمانته من الأئمة الفقهاء والأماثل العلماء وأهل القرآن والمعدلين الأعيان وكتبوا خطوطهم المعروفة بعباراتهم المألوفة مسارعين إلى أداء الأمانة وتوخوا في ذلك ما تحظره الديانة مخافة قوله تعالى ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله .

إن جماعة من الحشوية والأوباش الرعاع المتوسمين بالحنبلية أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمخازي الشنيعة مالم يتسمح به ملحد فضلا عن موحد ولا تجوز به قادح في أصل الشريعة ولا معطل، ونسبوا كل من ينزه الباري تعالى وجل عن النقائص والافات وينفي عنه الحدوث والتشبيهات ويقدسه عن الحلول والزوال ويعظمه عن التغير من حال إلى حال وعن حلوله في الحوادث وحدوث الحوادث فيه إلى الكفر والطغيان ومنافاة أهل

الحق والإيمان وتناهوا في قذف الأئمة الماضين وثلب اهل الحق وعصابة الدين ولعنهم في الجوامع والمشاهد والمحافل والمساجد والأسواق والطرقات والخلوة والجماعات ثم غرهم الطمع والإهمال ومدهم في طغيانهم الغي والضلال إلى الطعن فيمن يعتضد به أئمة الهدى وهو للشريعة العروة الوثقى وجعلوا أفعاله الدينية معاصي دنية

وترقوا من ذلك إلى القدح في الشافعي رحمة الله عليه وأصحابه واتفق عود الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر ابن الأستاذ الإمام زين الإسلام أبي القسم القشيري رحمة الله عليه من مكة حرسها الله فدعا الناس إلى التوحيد وقدس البري عن الحوادث والتحديد فاستجاب له أهل التحقيق من الصدور الفاضل السادة الأماثل وتمادت الحشوية في ضلالتها والإصرار على جهالتها وأبو إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل وإنه ينزل بذاته ويتردد على حمار في صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفي رجليه نعلان من ذهب وحفظ ذلك عنهم وعللوه ودونوه في كتبهم وإلى العوام ألقوه وأن هذه الأخبار لا تأويل لها وأنها تجري على ظواهرها وتعتقد كما ورد لفظها وإنه تعالى يتكلم بصوت كالرعد كصهيل الخيل وينقمون على أهل الحق لقولهم أن الله تعالى موصوف بصفات الجلال منعوت بالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة والكلام وهذه الصفات قديمة وإنه يتعالى عن قبول الحوادث ولا يجوز تشبيه ذاته بذات المخلوقين ولا تشبيه كلامه بكلام المخلوقين ومن المشهور المعلوم ان الأئمة الفقهاء على إختلاف مذاهبهم في الفروع كانوا يصرحون بهذا الإعتقاد ويدرسونه ظاهرا مكشوفا لأصحابهم ومن هاجر من البلاد

إليهم ولم يتجاسر أحد على إنكاره ولا تجوز متجوز بالرد عليهم دون القدح والطعن فيهم وان هذه عقيدة أصحاب الشافعي رحمة الله عليه يدينون الله تعالى بها ويلقونه باعتقادها ويبرؤن إليه من سواها من غير شك ولا إنحراف عنها وما لهذه العصابة مستند ولا للحق مغيث يعتمد إلا الله تعالى ورأفة المجلس السامي الأجلي العالمي العادلي القوامي النظامي ارضوي أمتعه الله بحياة يأمن خطوبها باسمة فلا يعرف قطوبها فإن لم ينصر ما أظهره ويشيد ما أسسه وعمره بأمر جزم وعزم حتم يزجر أهل الغواية عن غيهم ويردع ذوي الاعناد عن بغيهم ويامر بالمبالغة في تأديبهم رجع الدين بعد تبسمه قطوبا وعاد الإسلام كما بدأ غريبا وعيونهم ممتدة إلى الجواب بنيل المأمول والمراد وقلوبهم متشوفة إلى النصرة والإمداد فإن هو لم ينعم النظر في الحادث الذي طرقهم ويصرف معظم هممه العالية إلى الكارث الذي أزعجهم وأقلقهم ويكشف عن الشريعة هذه الغمة ويحسم نزعات الشيطان بين هذه الأمة كان عن هذه الظلامة يوم القيامة مسؤولا إذ قد أديت إليه النصائح والأمانات من أهل المعارف والديانات وبرئوا من عهدة ما سمعوه بما أدوه إلى سمعه العالي وبلغوه والحجة لله تعالى متوجهة نحوه بما مكنه في شرق الأرض وغربها وبسط قدرته في عجمها وعربها وجعل إليه القبض والإبرام واصطفاه من جميع الأنام فما ترد نواهيه وأوامره ولا تعصى مراسمه وزواجره والله تعالى بكرمه يوفقه ويسدده ويؤيد مقاصده ويرشده ويقف فكرته وخواطره على نصرة ملته وتقوية دينه وشريعته بمنه ورأفته وفضله ورحمته .

الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر عبد الرحيم

بن عبد الكريم القشيري أكثر الله في أئمة الدين مثله من عقد المجالس وذكر الله عزوجل بما يليق به من توحيده وصفاته ونفى التشبيه عنه وقمع المبتدعة من المجسمة والقدرية وغيرهم ولم أسمع منه غير مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة وبه أدين الله عزوجل وإياه اعتقد وهو الذي أدركت أئمة أصحابنا عليه واهتدى به خلق كثير من المجسمة وصاروا كلهم على مذهب أهل الحق ولم يبق من المبتدعة إلا نفر يسير فحملهم الحسد والغيظ على سبه وسب الشافعي وأئمة أصحابه ونصار مذهبه وهذا أمر لا يجوز الصبر عليه ويتعين على المولى أعز الله نصره التنكيل بهذا النفر اليسير الذين تولوا كبر هذا الأمر وطعنوا في الشافعي واصحابه لأن الله عزوجل أقدره وهو الذي برأ في هذا البلد باعزاز هذا المذهب بما بنى فيه من المدرسة التي مات كل مبتدع من المجسمة والقدرية غيظا منها وبما يرتفع فيها من الأصوات بالدعاء لأيامه أستجاب الله فيه صالح الأدعية ومتى أهمل نصرهم لم يكن له عذر عند الله عزوجل . وكتب إبراهيم بن علي الفيروزأباذي . [وهذا هو الإمام ابو إسحق الشيرازي صاحب اللمع والمهذب الذي شرحه النووي في المجموع]

الأمر على ماذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري جمل الله الإسلام به وكثر في أئمة الدين مثله من عقد المجالس وذكر الله عزوجل بما وصف به نفسه من التنزيه ونفي التشبيه عنه وقمع المبتدعة من المجسمة والقدرية وغيرهم ولم نسمع منه غير مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة

وبه ندين الله عزوجل وهو الذي كان عليه أئمة اصحابنا واهتدى به خلق كثير من المجسمة واليهود والنصارى فصاروا أكثرهم على مذهب أهل الحق ولم يبق من المبتدعة إلا نفر يسير فحملهم الحسد والغيظ على سبه وسب الشافعي رضي الله عنه ونصار مذهبه حتى ظهر ذلك بمدينة السلام وهذا الأمر لا يحل الصبر عليه ويتعين على من بيده قوام الدين والنظر في أمور المسلمين أن ينظر في هذا ويزيل هذا المنكر فإن من يقدر على إزالته ويتوقف فيه يأثم ولا نعلم اليوم من جعل الله سبحانه أمر عباده إليه إلا المولى أعز الله أنصاره فيتعين عليه الإنكار على هذه الطائفة والتنكيل بهم لأن الله سبحانه أقدره على ذلك وهو المسؤل عنه غدا أن توقف فيه وصار قصد المبتدعة أكثره معاداة الفقهاء الذين هم سكان المدرسة الميمونة فإنهم يموتون غيظا منهم لما هم عليه من مذاكرة علم الشافعي وإحياء مذهبه . وكتب الحسين بن محمد الطبري . [مقامه كبير بين فقهاء الشافعية]

الأمر على ما شرح في صدر هذا المحضر . وكتب عبيد الله بن سلامة الكرخي .

الأمر على ما ذكر في هذا المحضر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري أدام الله حراسته من عقد المجالس للوعظ والتذكير في المدرسة النظامية المعمورة والرباط وأطنب في توحيد الله عزوجل والثناء عليه بما يستوجبه من صفات الكمال وتنزيهه عن النقائص ونفي التشبيه عنه واستوفى في الإعتقاد ما هو معتقد أهل السنة باوضح الحجج وأقوى البراهين فوقع في النفووس كلامه ومال إليه الخلق الكثير

من العامة ورجع جماعة كثيرة عن إعتقاد التجسيم والتشبيه واعترفت بانها الآن بان لها الحق، فحسده المبتدعة المجسمة وغيرهم فحملهم ذلك على بسط اللسان فيه غيظا منه وسب الشافعي رحمةالله عليه وأئمة أصحابه ومن ينصرهم وتظاهروا من ذلك بما لا يمكن الصبر معه ويتعين على من جعل الله إليه أمر الرعية أن يتقدم في ذلك بما يحسم مادة الفساد لأن سبب ذلك فرط غيظهم من اجتماع شمل العصابة الشافعية في الاشتغال بالعلم بعمارة المدرسة الميمونة وتوفرهم على الدعاء لأيام من به عزهم ولا عذر للتفريط في ذلك . وكتب محمد بن أحمد الشاشي . [الإمام الشاشي غني عن التعريف]

الأمر على ماذكر فيه . وكتب سعد الله بن محمد الخاطب .

الأمر على المشروح في هذا الصدر من حال الشيخ الإمام الأوحد أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري أكثر الله في أئمة أهل العلم مثله من عقد المجالس ونشر العلم ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه من توحيده وصفاته ونفي التشبيه عنه وقمع أهل البدع من المجسمة والقدرية وغيرهم ولم أسمع منه عدولا عن مذاهب اهل الحق والسنة والدين القويم والمنهج المستقيم الذي به يدان الله تعالى ويعبد ويعمل به ويعتقد فاهتدى بهديه خلق من المخالفين وصار إلى قوله ومعتقده جمع كثير إلا من شقي به من الحاسدين فأخلدوا إلى ذمه وسبه وسب أئمة الشافعيين وقدحوا في الشافعي وأصحابه وصرحوا بالطعن فيهم في الأسواق وعلى رؤوس الأشهاد وهذه غمة ورده لا يرجى لكشفها بعد الله تعالى إلا المجلس السامي الأجلي النظامي القوامي العادلي الرضوي أمتع الله الدنيا

والدين ببقائه وحرس على الإسلام والمسلمين ظليل ظله ونعمائه ويفعل الله ذلك بقدرته وطوله ومشيئته . وكتب الحسين ابن أحمد البغدادي .

حضرت المدرسة النظامية المنصورة المعمورة أدام الله سلطان إعزازها والرباط المقدس للصوفية أجاب الله صالح أدعيتهم في المسلمين مجالس هذا الشيخ الأجل الإمام ناصر الدين محي الإسلام أبي نصر عبد الرحيم ابن الأستاذ الإمام زين الإسلام أبي القسم القشيري أحسن الله عن الشريعة جزاءه فلم أسمع منه قط إلا ما يجب على كل مكلف علمه وتصحيح العقيدة به من علم الأصول وتنزيه الحق سبحانه وتعالى ونفي التشبيه عنه وإقماع الأباطيل والأضاليل وإظهار الحق والصدق حتى أسلم على يديه ببركة التوحيد والتنزيه من أنواع أهل الذمة عشرات ورجع إلى الحق وعلم الصدق من المبتدعة مئات وتبعه خلق غير محصور بحيث لم يستطع أحد ممن تقدم أو علماء العصر أن يشقوا غباره في مثل ذلك فخامرهم الحسد وعداوة الجهل وحملهم على الطعن فيه عدوانا وبهتانا ثم تمادى بهم الجهل إلى اللعن الظاهر للإمام الشافعي قدس الله روحه وسائر أصحابه عجما وعربا وقائلو ذلك شرذمة من ناشية أغبياء المجسمة وطائفة من أرذال الحشوية استغنوا من الإسلام بالإسم ومن العلم بالرسم وتبعهم سوقة لا نسب لهم ولا حسب وتظاهرت هذه اللعنة منهم في الأسواق ولم يستحسن أحد من أصحابه كثرهم الله دفع السفاهة بالسفاهة والسيئة بالسيئة ويجب على الناظر في امور المسلمين من الذي قد انتشر في المشارق والمغارب علمه وعدله وأمره ونهيه الذي لطاعته نبات صدور الأولياء والأعداء رغبة ورهبة نصرته

ومد ضبعيه والشد على يديه وتقديم كلمته العليا وتدحيض كلمة أعدائه السفلى فالصبر في الصدمة الأولى وهذه الصدمة التي كانت قلوب أصحاب الشافعي كثرهم الله وغره وغلة شغله بها منذ سنين فانقشع ذلك وانكشف في هذه الأيام المؤيدة المنصورة المؤبدة النظامية القوامية العالمية العادلية نصرها لله وأعلاها وقد وقف تمامه على الأمر الماضي المنصور منه فإن في شعبة من شعب عنايته ونصرته وكلمته للدين الذي مد أطراره كفاية وبلاغا وعلى الغارس تعهد غراسه فضلا وتعصبا في كل وقت . وكتب عزيزي بن عبد الملك [هو القاضي الشهير المعروف بشيذلة] في التاريخ حامدا لله ومصليا على محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم))اه. المحضر.

ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (تـ 571 هـ / 1176 م) ، **تاريخ دمشق** ، دراسة وتحقيق علي شيري ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1419هـ / 1998 م .

. الصفحة : 311 حتى ص : 317 .

الملحق رقم : 07 : نص : تفسير ابن تيمية لانتشار المذهب الأشعري .

أولئك – أي الأشاعرة- أشد اتباعا للأثارة النبوية، وأقرب إلى مذهب أهل السنة من المعتزلة، ونحوهم من وجوه كثيرة.

ولهذا وافقهم في بعض ما ابتدعوه كثير من أهل الفقه، والحديث والتصوف؛ لوجوه:

أحدها: كثرة الحق الذي يقولونه، وظهور الأثارة النبوية عندهم.

الثاني: لبسهم ذلك بمقاييس عقلية بعضها موروث عن الصابئة، وبعضها مما ابتدع في الإسلام، واستيلاء ما في ذلك من الشبهات عليهم، وظنهم أنه لم يمكن التمسك بالأثارة النبوية من أهل العقل والعلم، إلا على هذا الوجه.

الثالث: ضعف الأثارة النبوية الدافعة لهذه الشبهات، والموضحة لسبيل الهدى عندهم.

الرابع: العجز والتفريط الواقع في المنتسبين إلى السنة والحديث؛ تارة يروون ما لا يعلمون صحته، وتارة يكونون كالأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الأمور.

فلما كان هذا منهاجهم، وقالوا: إن القرآن غير مخلوق لما دل على ذلك من النصوص وإجماع السلف، ولما رأوا أنه مستقيم على الأصل الذي قرروه في الصفات، ورأوا أن

التوفيق بين النصوص النبوية السمعية، وبين القياس العقلي لا يستقيم إلا أن يجعلوا القرآن معنى قائمًا بنفس الله تعالى ـ كسائر الصفات، كما جعله الأولون من باب المصنوعات المخلوقات، لا قديمًا كسائر الصفات ـ ورأوا أنه ليس إلا مخلوق أو قديم، فإن إثبات قسم ثالث قائم بالله يقتضى حلول الحوادث بذاته، وهو دليل على حدوث الموصوف، ومبطل لدلالة حدوث العالم.

ثم رأوا أنه لا يجوز أن يكون معانى كثيرة، بل إما معنى واحد عند طائفة، أو معاني أربعة عند طائفة، والتزموا على هذا أن حقيقة الكلام هي المعنى القائم بالنفس، وأن الحروف والأصوات ليست من حقيقة الكلام، بل دالة عليه فتسمى باسمه؛ إما مجازا عند طائفة، أو حقيقة بطريق الاشتراك عند طائفة، وإما مجازا في كلام الله حقيقة في غيره عند طائفة.

وخالفهم الأولون وبعض من يتسنن أيضا، وقالوا: لا حقيقة للكلام إلا الحروف والأصوات، وليس وراء ذلك معنى إلا العلم ونوعه، أو الإرادة ونوعها، فصار النزاع بين الطائفتين.

ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (تــ 728 هـ / 1328) ، **مجموع الفتاوى** ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية .الجزء 12 ، الصفحة : 33 ، 34 .

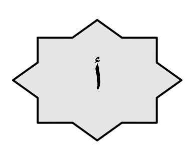
الــفـهــارس

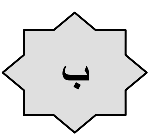
❖فهـرس الأعلام .

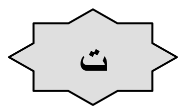
❖فهـرس الأماكن .

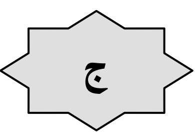
❖فهـرس المذاهب و الفرق .

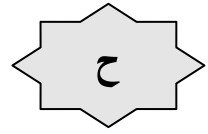
أولاً : فهـرس لأهم الأعـلام .

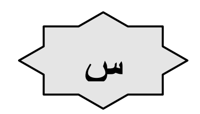


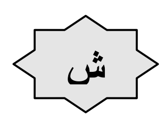

ب

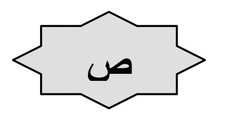

ت


ج

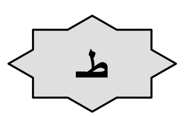

ح

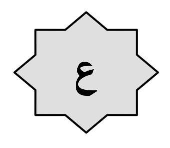

س

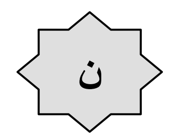

ش

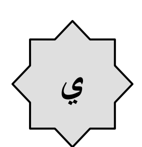

ص


ض

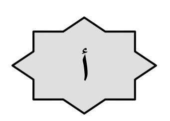

ط

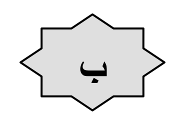

ع


ن

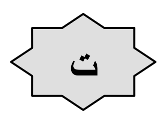

ي

ثـانـيـًا : فـهـرس الأمـاكـن .

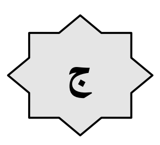




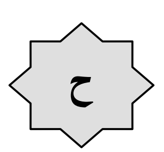
❖ بجاية (2 / 40) .
❖ بعلبك (3 / 84) .
❖ بغداد (1 / 8 – 12 – 14) ، (2 / 36 – 37 – 52 – 61) ، (3 / 75 – 76 – 77 – 78 – 79 – 80 – 81 – 82 – 83 – 87) ، (4 / 115 – 116 – 117 – 118 – 119 – 120 – 121 – 1222 – 123 – 124) .
❖ بيت المقدس (3 / 100) .



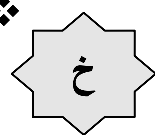
❖ تركيا (2 / 46) .



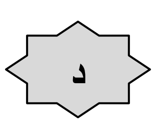
❖ الجزيرة العربية (4 / 133) .
❖ جزيرة الفيل (2 / 58) ، (3 / 86) .



❖ حلب (2 / 51 – 52 – 56) ، (3 / 85) .
❖ حماة (4 / 133) .
❖ حمص (2 / 52) ، (3 / 84) .



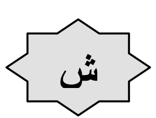
❖ خرسان (1 / 19 – 21 – 23 – 30 – 105 – 109 – 111) ، (2 / 47 – 50 – 52 – 53 – 60 - 61) ، (3 / 74 – 81 – 87) ، (4 / 125 – 127 – 129 – 130 – 131 – 133 – 136 – 137 – 138) .



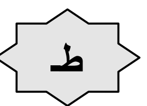
دمشق (3 / 100 - 103) .



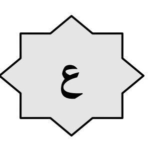
❖ سمرقند (1 / 13) ، (2 / 8) ، (3 / 82) .
❖ السوس (2 / 41 – 42) .



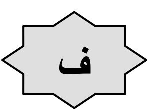
❖ الشام (2 / 46 – 48 – 50 – 52 – 54 – 62) ، (3 / 67 – 86 – 87 – 88) .



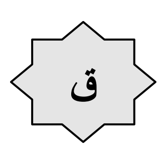
❖ طرابلس (2 / 40) .



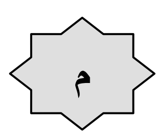
❖ العراق (2 / 31 – 37 – 48) ، (3/ 74 – 86) ، (4 / 120) .



❖ فارس (2 / 37 – 31 – 42) ، (3 / 67 – 86) .

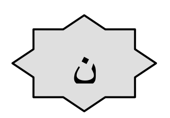


❖ القاهرة (3 / 69 – 74 – 86 – 87 – 103 – 112) .
❖ قرطبة (1 / 28) .
❖ القسطنطينية (3 / 78) .
❖ قسنطينة (2 / 40) .

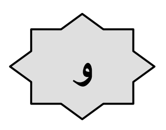


❖ مراكش (1 / 28) ، (2 / 40 / 41) ، (3 / 98) .
❖ مصر (1 / 25 – 27) ، (2 / 46 – 48 – 51 – 55 – 56 – 57 – 58 – 59 – 60 – 61 – 62 – 63) ، (3 / 82 – 86 – 88 – 101 – 103 – 112 -113) ، (4 / 118 – 125 – 129 – 130 – 132 – 134 – 136 – 137 – 140 – 141 - 142) .
❖ المغرب (1 / 14 – 23 – 24 – 25 – 26 – 27 – 28) ، (2 / 31 – 38 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43 – 44 – 45 – 46 – 47 – 64) ، (3 / 82 – 88 – 91 – 93 – 94 – 96 – 99 – 100 – 102) ، (4 / 136) .

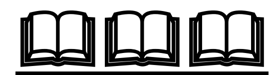
❖ منبج (3 / 84) .
❖ المهدية (2 / 40) .
❖ الموصل (3 / 74) .



❖ نيسابور (1 / 19 – 20 – 22 - 30) ، (3 / 74 – 75 – 77 – 81 – 82 – 84 – 85 – 86) ، (4 / 117) .

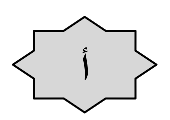


❖ وراء النهر (1 / 8 – 13) ، (3 / 69 – 79 – 82 - 87) .





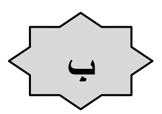
ثـالـثـًا : فـهـرس الـمذاهـب و الـفـرق .



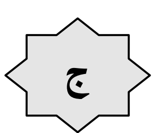
❖ إسماعيلية (2 / 49 – 50) ، (3 / 69 – 83) .
❖ أشعرية (1 / 15 – 17 – 18 – 1 9 – 20 – 21 – 22 – 24 – 25 – 26) ، (2 / 32 – 33 – 35 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43 – 44 – 46 – 47 – 49 – 54 – 56 – 58 – 59 – 60 – 63) ، (3 / 70 – 71 – 73 – 74 – 75 – 76

81 – 86 – 87 – 91 – 99 – 100 – 102 – 104 – 113) ، (4 / 116 – 119 – 121 – 127 – 132) .

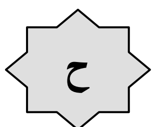
- ❖ إمامية (2 – 47 ، 49 ، 50) ، (3 – 96 ، 83) ،.
- ❖ أهل الحديث (1 – 10 ، 18 ، 42 ، 30) ، (2 – 33 ، 74 ، 62) ،(3 – 71 ، 72 ، 72 ، 99 ، 100 ، 101 ، 103 ، 105) ، (4 - 115 ، 116 ، 119 ، 124 ، 125 ، 127 ، 141 ، 142) .
- ❖ أهل الكلام (3 – 70 ، 71) ، (4 - 132) .



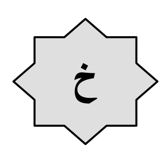
- ❖ باطنية (2 / 39 – 44) ، (3 / 69 – 83) .



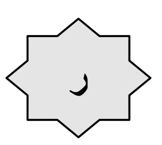
- ❖ جهمية (1 / 13 – 15 – 18 – 24) ، (3 / 71) ، (4 / 134 – 135) .



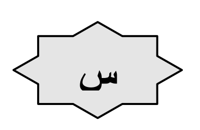
- ❖ حنبلي (1 / 14 – 15 – 20) ، (2 / 33) ، (3 / 73 – 80) ، (4 / 122 – 123 – 127 – 128 – 129 – 132 – 134 – 137 – 138 – 139 – 140) .
- ❖ حنفي (1 / 15 – 18 – 20) ، (2 / 50 – 60) ، (3 / 80 – 107 – 108) .



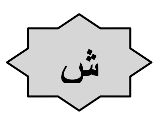
- ❖ خوارج (3 / 71) .



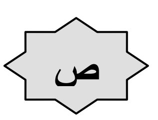
- ❖ رافضة (1 / 18 – 19 – 21 24 – 30) ، (2 / 32 - 46) ، (3 / 71) ، (4 / 133 – 134) .



❖ سلفية (2 / 46) ، (3 / 73 - 99) .



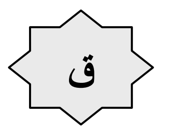
❖ شافعية (1 / 14 – 19 – 20 - 22) ، (2 / 33 – 36 – 49 – 53 – 61) ، (3 / 69 – 70 – 73 – 74 – 83 – 85 – 104 – 105 – 107 – 109 – 112) ، (4 / 120 – 122 – 129 – 133 - 141) .
❖ شيعة (1 / 15) ، (2 / 36 – 49 – 50 – 56 – 61) ، (3 / 69 - 70 – 71 – 83 – 86) ، (4 / 131) .



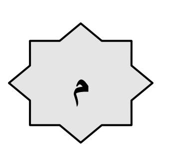
❖ صوفية (1 / 29) ، (3 / 82) ، (4 / 132 – 133 – 136) .



❖ كلابية (1 / 9 – 18 – 24) ، (3 / 105) .



❖ قرامطة (1 / 18) .



❖ مالكية (1 / 14 – 25 – 28) ، (2 / 60) ، (3 / 70 – 107) .
❖ مجسمة (1 / 21) ، (2 / 35 - 44) ، (3 / 77) .

❖ مذهب السلف (1 / 10 – 25 – 26) ، (2 / 35 – 46 – 47) ، (3 / 72 – 99) ، (4 / 132 - 133) .
❖ معتزلة (1 / 11 – 12 – 13 – 14 – 18 21 – 22 – 30) ، (3 / 70 – 71 – 72 – 94 – 100) .

📖📖📖

قــائمـة المصادر و الـمـراجــــع

أولاً : الـمـصـادر :

1. القـرآن الكـريـم .
2. ابن أبي زرع أبو الحسن بن الحسن الفاسي (تـ 728 هـ / 1328 م) ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينـة فاس** ، الرباط ، صور للطباعة و الوراقة بالرباط ، 1392هـ / 1972 م .
3. ابن أبي يعلى محمد أبو الحسين الحنبلي (تـ 521 هـ / 1127 م) ، **طبقات الحنابلة** ، تحقيق محمد حامد الفقي ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون ت.ط .
4. ابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (تـ 630 هـ / 1233 م) ، **الكامل في التاريخ** ، تحقيق ، أبي الفداء عبد الله القاضي ، بيروت ، الطبعة 02 ، دار الكتب العلمية ، 1415 هـ / 1995 م .

5. ـــــــ ، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل** ، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، بغداد ، مكتبة المثنى ، 1382هـ / 1963م .

6. ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج البغدادي (تـ 597 هـ / 1201 م) ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة01، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1412هـ / 1992م .

7. ابن الخطيب لسان الدين (تـ 776 هـ / 1375 م) ، **رقم الحلل في نظم الدول** ،المطبعة العمومية بتونس ، 1316هـ / 1898 م .

8. ـــــــ ، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، كتاب إلكتروني من موقع مكتبة نداء الإيمان : www.al-eman.com .

9. ابن العديم كمال الدين عمر بن احمد بن أبي جرادة ، **بغية الحلب في تاريخ حلب** ، تحقيق : سهيل زكار ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفكر ، 1409هـ / 1988 م

10. ـــــــ ، **زبدة الحلب** ، كتاب إلكتروني من مكتبة المصطفى للكتب المصورة : www.al-mostafa.com أو المكتبة الشاملة الإلكترونية : www.shamela.ws أو الموقع الإلكتروني : www.book.t3as.com .

11. ابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الحنبلي الدمشقي (تـ 1089هـ / 1679 م) ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون ت.ط .

12. ابن الفوطي كمال الدين عبد الرزاق ، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة** ، بغداد ، مكتبة الفرات .

13. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (تـ 751 هـ / 1351 م) ، ، **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة و الجهمية** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1404 هـ/ 1984 م .

14. ـــــــــ ، **المنار المنيف في الصحيح و الضعيف** ، الطبعة 02 ، الرياض ، دار العاصمة ، 1419 هـ / 1998 م .

15. ابن النجار ، **ذيل تاريخ بغداد** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417 ه/ 1997 م .

16. ابـن النديم محمد بن إسحاق أبو الفرج (تـ 385 هـ / 996 م) ، **الفهرست** ، دار المعرفة ، بيروت ، 1398 هـ / 1978م .

17. ابن تغرى بردى جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (تـ 874 هـ / 1470 م) ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة** ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون ت.ط .

18. ابن تومرت أبو عبد الله محمد بن عبد الله المصمودي (تـ 522 هـ / 1128م) ، **أعز ما يُطلب** ، تحقيق عمار الطالبي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1406 هـ / 1985م .

19. ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (تــ 728 هـ / 1328) ، **الصفدية** ، تحقيق محمد رشاد سالم ، الطبعة 02 ، دار العاصمة ، 1406 هـ / 1986 م

20. ــــــ ، **النبوات** ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1386 هـ / 1966 م .

21. ــــــ ، **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية** ، تحقيق موسى سليمان الدويش ، الطبعة 01 ، مكتبة العلوم والحكم ، 1408 .

22. ــــــ ، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة 01 ، مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة .

23. ــــــ ، **درء تعارض العقل والنقل** ، تحقيق : محمد رشاد سالم ،الرياض ، دار الكنوز الأدبية ، 1391هـ / 1971 م .

24. ــــــ ، **شرح العقيدة الأصفهانية** ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، الطبعة 01 ، الرياض ، مكتبة الرشد ، 1415هـ / 1994 م .

25 ـــــــ ، **مجموع الفتاوى** ، تحقيق : عبد الرحمن محمد قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية .

26 ـــــــ ، **منهاج السنة النبوية** ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، الطبعة 01 ، مؤسسة قرطبة ، 1406هـ .

27 ـــــــ ، **نقض المنطق** ، تحقيق محمد بن عبد الرزاق ، مكتبة السنة المحمدية ، بدن ت. ط .

28 ابن جرير محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري)** ، الطبعة01 ، دار الفكر .

29 ابن حجر أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي (تـ 852هـ / 1449 م) ، **إنباء الغمر بأبناء العمر** ،تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطابع الأهرام ،1389هـ / 1970 م .

30 ـــــــ ، **لسان الميزان** ، حقيق : دائرة المعرف النظامية بللهند ، بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، 1406 هـ / 1986 م .

31 ـــــــ ، **الدّررالكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، حقّقه وقدّم له ووضع فهارسه محمد سيد جار الحقّ ، دار الكتب الحديثة، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1385هـ / 1966 م .

32 ـــــــ ، **رفع الإصر عن قضاة مصر** ، كتاب إلكتروني من مكتبة الوراق الإلكترونية : www.alwaraq.net ، أو مكتبة الشاملة الإلكترونية : www.shamela.ws .

33 ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (تـ 808 هـ / 1406 م) ، **المقدمة** ، الطبعة 05 ، الكويت ، دار القلم ،1405 هـ / 1984 م .

34 ـــــــ ، **تاريخ ابن خلدون** ، بيروت ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،1401هـ/1981م .

35. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (تـ 681 هـ / 1283 م) ، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1968 م .

36. ابن رجب شهاب الدين ، أبي العباس عبد الرحمان بن أحمد بن حسن (تـ 795هـ/1392م) ، **ذيل طبقات الحنابلة** ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية .

37. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد (تـ 520 هـ / 1126 م) ، **فتاوى بن رشد** ، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1407هـ / 1987 .

38. ابن شداد بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (تـ 623 هـ / 1239 م) ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، أو سيرة صلاح الدين** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1414هـ / 1994م .

39. ابن شداد عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (تـ : 684هـ / 1285 م) ، **الأعلاق الخطيرة في ذكر ملوك الشام و الجزيرة** ، تحقيق: يحيى زكريا عبارة ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1412 هـ / 1991م .

40. ابن عبد الهادي أحمد بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو عبد الله ، **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،** تحقيق : محمد حامد الفـقي ، بيروت ، دار الكاتب العربي .

41. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (تـ 571 هـ / 1176 م) ، **تاريخ دمشق** ، دراسة وتحقيق علي شيري ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1419هـ / 1998 م .

42. ابن فرحون اليعمري المالكي (تـ 799 هـ / 1396 م) ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون ت.ط .

43. ابن قاضي شهبة الأسدي تقي الدين أبو بكر أحمد (تـ 581 هـ / 1448م) ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1407 هـ / 1986 م .

44. ابن كثير أبو الفداء القرشي الدمشقي الحنبلي (تـ 774هـ / 1372 م) ، **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون ت.ط .

45. ـــــــ ، **تفسير ابن كثير** ، بيروت ، دار الفكر العربي ، 1401 هـ / 1981 م

46. ابن منظور حمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (تـ 711هـ / 1311 م) ، **لسان العرب** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار صادر ، دون ت.ط .

47. ابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي ، **الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية كافر** ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة 01 ، 1973 هـ / 1393م .

48. أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمان بن إبراهيم بن إسماعيل الدمشقي (تـ 665 هـ / 1267م) ، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية** ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، الطبعة 01 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1417 هـ / 1997 م .

49. الأشعري علي بن إسماعيل أبو الحسن (تـ 324 هـ / 936 م) ، **الإبانة عن أصول الديانة** ، تحقيق : د. فوقية حسين محمود ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار الأنصار ، 1397هـ / 1977 م .

50. ـــــــ ، **تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن** الأشعري ، الطبعة 03 ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1404 هـ / 1984 م .

51. ـــــــ ، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ، تحقيق : هلموت ريتر، الطبعة 03 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

52. الألوسي النعمان خير الدين ، **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** ، مطبعة المدني، 1401هـ / 1981م .

53. البـاقلانـي محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر (تـ 403 هـ / 1013م) **، تمـهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، الطبعة 01 ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1407 هـ / 1987م .

54. البغدادي إسماعيل باشا ، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المنتصرين** ، بيروت ، دار الفكر، ،1402 هـ /1982م .

55. البلنسي ابن أبي بكر القضاعي ، **التكملة لكتاب الصلة ،** تحقيق : عبدالسلام الهراس ، دار الفكر ، بيروت ، 1416 هـ / 1995م .

56. البندراوي قوام الدين الفتح بن علي ، **سنا البرق الشامي** ، تحقيق الدكتورة فتحية النبراوي ، مصر ، مكتبة الخانجي ، 1979 م.

57. البيدق أبي بكر الصنهاجي (تـ أواخر القرن 6هـ / 12 م) ، **أخبار المهدي بن تومرت** ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1975 – 1396 هـ .

58. التميمي عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ، **مختصر سيرة الرسول** ، الطبعة 01 ، دمشق ، الرياض ، دار الفيحاء ، دار السلام ، 1417هـ / 1997م .

59. الجبرتي عبد الرحمن بن حسن ، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، بيـروت ، دار الجيـل ، بدون ت.ط .

60. حافظ حكمي ، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، الطبعة 01 ، الدمام ، دار ابن القيم ، 1410 / 1990 .

61. الوزان الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (تـ 873 هـ / 1468 م) ، **وصف إفريقيا** ، ترجمة : محمد حجي ، و محمد الأخضر ، الجزء 01 ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1403 هـ / 1983 م .

62. الحصيني تقي الدين الدمشقي (تـ 829 هـ / 1426 م) ، **دفع شبه من شبه و تمرد و نسب ذلك إلى السيد الجليل أحمد** ، الطبعة 01 ، دار المصطفى للنشر و التوزيع ، 1423هـ / 2003 م .

63. الحموي ياقوت ، **معجم البلدان** ، دار الفكر ، بيروت ، دون ت.ط .

64. الخطيب أبي بكر أحمد بن على البغدادي (تـ 463 هـ / 1070 م) ، **تاريخ بغداد** ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون ت.ط .

65. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (تـ 748 هـ / 1347 م) ، **تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير والأعلام** ، بغداد ، تحقيق بشار عواد ، 1397 هـ / 1977م .

66. ـــــــ ، **تذكرة الحفاظ** ، مراجعة عبد الرحمان بن يحي المعلمي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1374 هـ / 1954 م .

67. ـــــــ ، **العلو للعلي الغفار** ، تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، الرياض ، مكتبة أضواء السلف ، بدو ت.ط .

68. ـــــــ ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة 09 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413 هـ / 1992 م .

69. ـــــــ ، **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق : د.صلاح الدين المنجد ، الطبعة 02 ، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، 1368هـ / 1948 م .

70. الرازي فخر الدين ، **أساس التقديس في علم الكلام** ، ط01 ، 1415هـ / 1994 م ، بيروت ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بدون ت.ط .

71. الزبيدي محبّ الدِّين أبو الفيض محمد بن محمد الواسطي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق علي شيري ، بيروت ، دار الفكر .

72. السبكي أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (تـ 771 هـ / 1369 م) ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، الطبعة 02 ، الجيزة ، مصر ،هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، 1413هـ / 1992 م .

73. السجزي أبي نصر (تـ 444هـ / 1052 م) ، **رسالة الإمام أبي نصر السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت** ، ، تحقيق محمد كريم عبد الله ، الطبعة 01 ، دار الراية ، 1404 هـ / 1984 م .

74. السكوني أبو عبد الله محمد بن خليل الإشبيلي (تـ 749 هـ / 1348 م) ، **شرح مرشدة بن تومرت** ، تحقيق يوسف احنانا ، دار الغرب الإسلامي ، 1414 هـ / 1993 م .

75. السلاوي أبو العباس خالد الناصري (تـ 1319 هـ / 1901م) ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا** ، تحقيق : جعفر الناصري و محمد الناصري الطبعة 01 ، الدار البيضاء ، دار الكتاب ،1418هـ / 1997 م .

76. السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل (تـ 911 هـ / 1505م) ، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال : طبع : دار الفكر العربي1367هـ/1948م ، بدون ت.ط .

77. ـــــ ، **الأشباه والنظائر** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1403 هـ / 1983 م .

78. ـــــ ، **الوسائل إلى مسامرة الأوائل** ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1406هـ / 1986 م .

79. ـــــ ، **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة 01 ، مصر ، مطبعة السعادة ، 1371هـ / 1952 م .

80. ـــــ ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة 01 ، 1387هـ / 1967م .

81. ـــــ ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق : علي محمد عمر ، طبعة 01 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1396 هـ / 1976 م .

82. الأدنـروي احمد بن محمد ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، الطبعة 01 ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم و الحكم ، 1418 هـ / 1997 م .

83. الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (تـ790 هـ / 1388 م) ، **الإعتصـام** ، تحقيق : أحمد عبد الشافي ، بيروت ، الطبعة 01 ، دار الكتب العلمية ، 1408 هـ / 1988 م .

84. الشافعي محمد بن إدريس أبو عبد الله (تـ 2014هـ / 820 م) ، **الأم** ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1413 هـ / 1393 م .
85. الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (تـ 548 هـ / 1153 م) ، **نهاية الإقدام في علم الكلام** ، مصر ، مكتبة الثقافة الدينية .
86. الشوكاني محمد بن علي بن محمد (تـ 1250 هـ / 1834 م) ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، بيروت ، دار المعرفة .
87. ــــــ ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، الطبعة01 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع .
88. الصفدي بن أيبك خليل بن عبد الله (تـ 764 هـ / 1362 م) ، **الوافي في الوفيات** ، كتاب إلكتروني من موقع : www.islamport.com .
89. عماد الدين الأصفهاني المعروف بعماد الدين الكاتب (تـ 597 هـ / 1200 م) ، **تاريخ دولة آل سلجوق** ، اختصره : الفتح بن علي البنداري الأصفهاني ، الطبعة 02 ، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، 1398 هـ / 1978م .
90. الغزالي أبو حامد بن محمد (تـ 505 هـ / 1111 م) ، **إحياء علوم الدين إحياء علوم الدين** ، بيروت ، دار المعارف .
91. ــــــ ، **الاقتصاد في الاعتقاد** ، كتاب إلكتروني من مكتبة موقع الغزالي ، http://www.ghazali.org/books .
92. ــــــ ، **المنقذ من الضلال و الموصل إلى ذي العزة و الجلال** ، تحقيق : كامل عيَّاد وجميل صليبا ، الطبعة 05 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1409 هـ / 1988م .
93. ــــــ ، **فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية** ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، بدون ت.ط .
94. القاضي عياض أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي اليحصبي السبتي المالكي ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ،

تحقيق أحمد بكير محمود طبع دار مكتبة الحياة بيروت ، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا .

95 ـــــ ، **الغنية** ، تحقيق علي عمر ، بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية .

96 القرشي عبد القادر بن أبي الوفاء محمد (تـ 775هـ / 1373 م)، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، دار مير محمد كتب خانه ، كراتشي، بدون ت.ط ، ص: 130 -131 .

97 القزويني زكريا بن محمد بن محمود (تـ 682 هـ / 1283 م) ، **آثار البلاد وأخبار العبـ اد** ، كتــاب إلكترونــي، مكتبــة نداء الإيمــان الإلكترونــيــة : www.al-eman.com .

98 القلقشندي أحمد بن علي (تـ 821 هـ / 1418 م) ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، تحقيق : د.يوسف علي طويل، دمشق ، الطبعة 01 ، دار الفكر ،1408هـ / 1987 .

99 القنوجي صديق بن حسن (تـــ 1307 هـ / 1889 م) ، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم** ، تحقيق عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1398 هـ / 1978م .

100 مؤلف مجهول (منسوب في هذه الطبعة لابن الخطيب) ، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية** ، قدم له السيد البشير الفورتي ، تونس ، 1329 هـ / 1911 م ، مطبعة التقدم الإسلامية .

101 المـاوردي ، **أدب الدين والدنيا** ، الطبعة 01 ، دار الفكر ، 1424 هـ / 2000 م .

102 محمد عبد الطيف بن عز الدين بن عبد السلام ، **إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام** ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مصر ، دار الأنوار للطبع و التجليد ، 1370 هـ / 1951 م .

103 المراكشي عبد الواحد (تـ 647 هــ / 1249 م) ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين** ، تحقيق : محمد

سعيد العريان ، محمد العربي العلمي ، الطبعة 01 ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، 1368 هـ / 1949 م .

104 مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، **الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية** ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ، 1404 هـ / 1984 م .

105 المقدسي عبد الله بن أحمد بن محمد أبو محمد (تـ 620 هـ / 1223 م) ، **حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة** ، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، الطبعة 01 ، الرياض ، مكتبة الرشد ، 1409 هـ / 1989 م .

106 المقري أحمد بن محمد التلمساني (تـ 758ه - / 1357 م) ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1388هـ / 1968 م .

107 المقريزي أبو العباس (تـ 845هـ / 1441 م) ، **السّلوك لمعرفة دول الملوك** ، صحَّحه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، الطبعة 01 ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1377 م / 1958م .

108 ـــــــ ، **المواعظ و الإعتبار في ذكر الخطط و الآثار** ، بور سعيد ، القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ، بدون ت،ط .

109 المكي بن هبة الله ، **منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول في علم الكلام** ، الطبعة02 ، دار المشاريع ، 1426 هـ / 2005م .

110 نظام الملك حسين الطوسي (تـ 485 هـ / 1092 م) ، **سياست نامه (أو سير الملوك)** ، تحقيق : يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، قطر ، الطبعة 02 ، 1407هـ / 1987 م .

111 النعمان أبو حنيفة ، **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر** (المنسوبين لأبي حنيفة) ، تحقيق : محمد بن عبدالرحمن الخميس ، الطبعة 01 ، عجمان ، مكتبة الفرقان ، 1420 هـ / 1999 م .

112 النعيمي عبد القادر بن محمد الدمشقي ، **الدارس في تاريخ المدارس** ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، الطبعة 01 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1410 هـ / 1989 م .

113 النويري شهاب الدين التميمي البكري (تـ 733 هـ / 1332 م) ، **نهاية الأرب في فنون الأدب** . تحقيق سعيد عاشور طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة 1401 هـ / 1980م .

114 الوزير محمد بن إبراهيم (تـ 840 هـ / 1436 م) ، **الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، قدم له و اعتنى به بكر بن عبد الله أبو زيد و علي بن محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، بدون ت.ط .

115 الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (تـ 9 هـ / 12 م) ، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب** ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، 1401هـ / 1981م .

116 اليافعي عبد الله بن أسعد بن علي الشافعي (تـ 768 هـ / 1366 م) ، **مرآة الجنان و عبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1417 هـ / 1997م .

117 اليونيني قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (تـ 726 هـ / 1326 م) ، **ذيل مرآة الزمان** ، الطبعة 01، حيدر آباد الدكن ، 1380 هـ / 1960 م .

ثــانيًا : الـمـــراجــع :

1. أبو زهرة محمود ، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية** ، القاهرة ،دار الفكر العربي ، بدون ت.ط .
2. ألفرد بل ، **الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى** ، ترجمه عن الفرنسية : عبد الرحمان بدوي ، الطبعة 01 ، بيروت لبنان ، دار الغرب الإسلامي 1389 هـ / 1969م .
3. احنانا يوسف ، **تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي** ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1424 هـ/ 2003 م .
4. أدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجرى** ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الطبعة 02 ، الهيئة المصرية للكتاب .
5. أشباخ يوسف ، **تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1958م .
6. **إحصاء مصنفات الإمام أبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى** ، دراسة على الموقع : www.aslein.net .

7. آل عبد اللطيف عبد العزيز بن علي ، **مناظرات بن تيمية لأهل الملل و النحل** ، سلسلة إصدارات مجلة البيان ، الطبعة 01 ، 1426هـ / 2005م .

8. آل معمر حمد بن ناصر بن عثمان ، **التحفة المدنية في العقيدة السلفية** ، دار العاصمة – الرياض .

9. الألباني محمد ناصر الدين ، **الجامع الصغير وزيادته** ، المكتب الإسلامي .

10. ــــــــ ، **السلسلة الضعيفة** ، الرياض ، مكتبة المعارف .

11. ــــــــ ، **ضعيف الجامع** ، طبعة المكتب الإسلامي .

12. أمين أحمد ، **ضحى الإسلام** ، الطبعة 02 ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1997 م.

13. ــــ ، **ظهر الإسلام** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون ت.ط .

14. بدوي عبد المجيد أبو الفتوح ، **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي** ، الطبعة 02 ، دار الوفاء المنصورة ، 1408هـ - 1988م .

15. بهجت منى محمد ، **أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية و المملوكية** ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، 1423 هـ / 2002 م .

16. التهامي إبراهيم ، **الأشعرية في المغرب دخولها ، رجالها ، تطورها ، و موقف الناس منها** ، الطبعة 01 ، دار قرطبة ، 1427هـ / 2006 م .

17. ــــ ، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة** ، الجزائر ، دار الرسالة ، 1422هـ / 2002 م .

18. ــــ ، **حكم الإشتغال بعلم الكلام في الدفاع عن عقائد الإسلام** ، الطبعة 01 ، دار قرطبة ، 1427 هـ / 2006 م .

19. الجاسم فيصل بن قزار ، **الأشاعرة في ميزان أهل السنة** ، الطبعة 01 ، الكويت ، المبرة الخيرية لعلوم القرآن و السنة ، 1428 هـ / 2007 م .

20. جلال موسى، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982م ، و **موجز دائرة المعارف الإسلامية** ، ترجمة مركز الشارقة للإبداع الفكري ،الطبعة 01 1418هـ/ 1998م ، مادة – أشعرية .

21. جمعه محمد عزيز شمس ، و علي بن محمد العمران **الجامع لسيرة شيخ الإسلام بن تيمية خلال لسبعة قرون** ، قدم له : بكر بن أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر و التوزيع.

22. حافظ حكمي ، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول** ، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر ، الطبعة 01 ، الدمام ، دار ابن القيم ، 1410 / 1990 .

23. حسن إبراهيم حسن ، **تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي** ، الجزء 4 ، الطبعة 13 ، بيروت ، دار الجيل ، 1411هـ /19991م .

24. حسين أمين ، **تاريخ العراق في العصر السلجوقي** ، بغداد ، المكتبة الأهلية ، 1385هـ / 1965م .

25. الحوالي سفر بن عبد الرحمن ، **منهج الأشاعرة في العقيدة** ، الطبعة 01 ، الكويت ، الدار السلفية ،1407 هـ / 1987 م .

26. دائرة سفير للمعارف الإسلامية ، حرف الألف ، مركز الشارقة للإبداع الفني ، الطبعة الأولى ، 1418هـ / 1998 م ، ج : 29

27. السلالي هدى ناصر ، **أراء الكلابية العقدية و أثرها في الأشعرية في ضوء عقيدة أهل السنة و الجماعة** ، الطبعة 01 ، مكتبة الرشد بالرياض ، 1420 هـ / 2000م .

28. السيلي عبد العزيز ، **العقيدة السلفية بين الإمام ابن حنبل و الإمام ابن تيمية** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المنار ، 1413هـ / 1992 م .

29. الشرقاوي عبد الرحمان ، **أئمة الفقه التسعة** ، بيروت ، دار الشروق الأولى ، 1411هـ / 1991 م .

30. شلبي أحمد ، **التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها** ، القاهرة ، الطبعة 06 ، مكتبة النهضة المصرية 1398 هـ / 1978م .

31. صبحي محمود ، **في علم الكلام ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، المعتزلة و الأشاعرة** ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1406 هـ / 1987م .

32. الصلابي محمد علي ، **الدولة الموحدية** ، الأردن ، الطبعة 01 ، دار البيارق ، 1419 هـ / 1998م .

33. ــــــ ، **دولة السلاجقة** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، مؤسسة اقرأ ، 1427هـ / 2006م .

34. ــــــ ، **صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي : الدولة الفاطمية** ، الطبعة 01 ، دار البيارق، عمّان الأردن ، 1420 هـ / 1999م .

35. ــــــ ، **عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي** ، كتاب إلكتروني من موقع الدكتور محمد علي الصلابي :

36. طالبي عمار ، **أراء أبي بكر بن العربي الكلامية و نقده للفلسفة اليونانية**، ، الطبعة 02 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1981م .

37. عبد الرزاق زكريا المصري ، **الإمام الشيرازي بين العلم و العمل و المعتقد و السلوك** ، الطبعة 01 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1413هـ / 1992م .

38. عبد الستار الشيخ ، **الحافظ الذهبي ، مؤرخ الإسلام ناقد المحدثين إمام المعدلين و الجارحين** ، الطبعة 01 ، دمشق ، دار القلم ، 141هـ / 1994م .

39. عبد الله بن صالح الغصن ، **دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية ، عرض و نقد** ، أصل هذا الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، متوفر على موقع موقع صيد الفوائد : www.saaid.net و موقع الكاشف : www.alkashf.net .

40. عز الدين عمر موسى ، **الموحدون في المغرب الإسلامي ، تنظيماتهم و نظمهم** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1411 هـ /1991 م .

41. خالد كبير علال ، **الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث خلال القرنيين 5 – 6 الهجريين** ، الطبعة 01 ، دار الإمام مالك للكتاب ، 1426 هـ / 2005 م .

42. ــــــ ، **صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة ببغداد (200- 500 هـ / 815 – 1106م)** ، دار هومة ، بوزريعة .

43. علام عبد الله علي ، **الدعوة الموحدية بالمغرب** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المعرفة ، 1964م .

44. عنان محمد عبد الله ، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس** ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1411هـ/ 1990م .

45. عويس عبد الحليم ، **دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية** ، الطبعة 03،دار الوفاء، 1410هـ / 1989م .

46. الفيومي إبراهيم ، **تاريخ الفلسفة الإسلامية بالمغرب** ، الطبعة 01 ، القاهرة ، دار المعارف ، 1412 هـ / 1992 م .

47. كنون عبد الله الحسني ، **النبوغ المغربي** ، الطبعة 02 ، مطبعة تطوان ،1380هـ / 1960 م .

48. الكيلاني ماجد عرسان ، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين و هكذا عادت القدس** ، الطبعة 03 ، دبي ، دار القلم للنشر و التوزيع ، 1423 هـ /2003م .

49. لسترنج كي ، **بلدان الخلافة الشرقية** ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس ، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

50. سالم محمد رشاد ، **مقارنة بين الغزالي و ابن تيمية** ، دار القلم للنشر و التوزيع ، 1413 هـ / 1992 م .

51. خان محمد صديق ، **خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب و الأديان** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن لبنان ، الطبعة الأولى ، 1405هـ / 1984م .

52. المحمود عبد الرحمان ، **موقف بن تيمية من الأشاعرة** ، الرياض ، مكتبة الرشد .

53. المدني أبو عبد الله ، حقيقة العز بن عبد السلام وموقف شيخ الإسلام بن تيمية منه ، بحث إلكتروني من موقع : **www.alsonan.n et** .

54. معجم الوراق الإلكتروني : **http://www.alwaraq.net** .

55. المغراوي محمد بن عبد الرحمن ، **العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات القسم الخامس : الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين بأمر خليفة المسلمين ابن تاشفين** - دار المنار - الرياض - الطبعة الأولى - 1414 هـ / 1994 م .

56. المناوي عبد الرؤوف ، **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، الطبعة 01 ، مصر ، المكتبة التجارية الكبرى ، 1356 هـ / 1937 م .

57. النجار عبد المجيد ، **المهدي بن تومرت : حياته أراؤه و ثورته الفكرية و الإجتماعية و أثره بالمغرب** ، دار الغرب الإسلامي ، 1403هـ/ 1983م .

58. ـــــــ ، **تجربة الإصلاح في حركة بن تومرت** ، الطبعة 02 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1415هـ/1995م .

59. ـــــــ ، **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب** ، الطبعة 01 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1413هـ / 1992 م .

60. همام بن محمد الجزائري ، **الثبت المأمون لمؤلفات الردود على المخالفين عبر القرون** ، رسالة إلكترونية من مكتبة موقع جمعية الدعوة إلى القرآن و السنة بمراكش المغربية : **www.maghrawi.net** .

المقالات :

61. التهامي إبراهيم ، الأشعرية في المغرب ، **مجلة الموافقات** ، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، 1416هـ/جوان 1995 م ، مجلة صادرة عن المعهد الوطني لأصول الدين بالخروبة.

62. رينر محمد ، حول بعض الوقائع الموحدية ، **مجلة البحث العلمي** ، يناير / إبريل 1967م / شوال / محرم 1387هـ .

63. السحيباني حمد بن صالح ، حقيقة دعوة ابن تومرت ، **مجلة البيان** العدد 17، شعبان 1409 - مارس 1989 .

64. سعد طارق محمد ، ابن تيمية و موقفه البطولي في معركة المسلمين ضد التتار ، **مجلة الأمة** ، ذو الحجة ، 1403هـ / 1983 م .

65.

الموسوعات :

1 . موجز دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أبو الحسن الأشعري ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة 01 ، 1418هـ / 1998م .

2. موجز دائرة المعارف الإسلامية ، **مادة أشعرية** ، الجزء : 3 ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الطبعة الأولى ، 1418هـ / 1998م .

المواقع الإلكترونية :

1. موقع مكتبة مشكاة الإسلامية : www.almeshkat.net .
2. موقع مكتبة المصطفى للكتب المصورة : www.al-mostafa.com .
3. موقع للكتب المصورة : www.lisaanularab.com .
4. موقع و مكتبة الغزالي : www.ghazali.org .
5. الشبكة الإسلامية العالمية : www.arabic.islamicweb.com .
6. موقع التاريخ الإسلامي : www.islamichistory.net .
7. ملتقى أهل الحديث : www.ahlalhdeeth.com .
8. منتديات التراث المغربي والأندلسي : www.atourath.com .
9. موقع الدكتور سفر الحوالي : www.alhawali.com .
10. المكتبة الإسلامية لموقع الإيمان : www.al-eman.com .

11. موقع مجلة الفسطاط المتخصصة في التاريخ الإسلامي : www.fustat.com.
12. موقع مكتبة المكنز للكتب المصورة : www.almaknaz.com .
13. المكتبة الوقفية : www.waqfeya.com .
14. مكتبة منتدى نداء الإيمان : www.daraleman.org .
15. موقع الكاشف : www.alkashf.net .
16. المكتبة الإلكترونية الشاملة : www.fiseb.com .
17. مكتبة الدرر السنية : www.dorar.net .
18. موقع مكتبـة سحـاب : www.sahab.org .
19. موقع الرازي : www.al-razi.com .
20. موقع مكتبة منتدى رسالة الإسلام : www.islammessage.com.
21. مكتبة صيد الفوائد الإسلامية www. saaid.net . .
22. مكتبة موقع جمعية الدعوة بمراكش : www.maghrawi.ne .
23. مكتبة موقع مدرسة نور : www.nourschool.com .
24. موقع الحكواتي في التاريخ : www.al-hakawati.net .
25. موقع روح الإسلام : www.islamspirit.com .
26. موقـع مكتبة الوراق للكتب الإلكترونيـة : www.alwar saaid.netaq.com .
27. موقع ومنتدى المسلم : www.muslm.ne .

الـمـحــــتـوى

